

مقالات

دينيَّة قديمة

لبعض مشاهير الكتبة النصارى

من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر

عُني بنشرها وتصحيحها

الاب لويس شيخو اليسوعي

مع الابوين لويس معلوف اليسوعي وقسطنطين الباشا ب م

وهي ٢٠ مقالة ظهر معظمها في اعداد مجلَّة المشرق

طبعة ثانية مصحَّحة ومزيد عليها

طبع في بيروت

بمطبعة الآباء اليسوعيين

سنة ١٩٢٠

توطئة

هذا مجموع نفيس نزفّهُ لمحبّي الآثار النصرانيّة القديمة كنّا نشرنا اوّلاً معظم موادّه في مجلّة المشرق في اعداد سنيها الثاني الاولى . ثمّ اشار علينا بعض المستشرقين ان نجمع شتاتها اذ يصعب على كثيرين طلبها في مظانّها المتفرّقة فأجبنا الى ملتمسهم . فاقبلوا على مطالعتها بكل رغبة ونقلوا اكثرها الى لغات اوربيّة تعميماً لفائدتها

واذ قد نفد طبعها في هذه المدّة الاخيرة أعدنا فيها النظر وراجعناها على نسخ خطيّة جديدة حصلنا عليها . ثمّ اضفنا اليها مقالات اخرى من جنسها عثرنا عليها فبلغ عددها العشرين . عُنينا بنشرها ليس فقط لصون هذه الدُّرَر من الضياع ولتقريب فوائدها الى طالبيها بل لتكون ايضاً كدستور لكتبة عصرنا في المواد الدينيّة لاسيّما ان هذه المقالات كُتبت في قرون سابقة كانت فيها العربيّة في عزّها فاعتادها النصارى ونسوا ما سواها واتقنوا اصولها فكتبوا يوضحون معتقداتهم ويشرحون امور دينهم بكلام منسجم خالٍ من التعقيد والتقعير لا يشوبهُ تعبير اللغات الاجنبيّة ويسهل ادراكهُ على عقول العامّة مع ما يحتويهِ من المعاني السامية ويحاول تفسيرهُ من الاسرار العويصة . على انّنا نعلم حقّ العلم انّ مثل هذه الآثار وكثيراً غيرها لا تزال مطمورة في زوايا النسيان سننشر منها ان شاء الله ما وقفنا عليهِ ونتمنّى ان يقبل ادباء النصارى على درس ما خلّفهُ لهم اجدادهم من المآثر الدينية والتفتيش عمّا فُقد منها

امّا ما يحتويه هذا المجموع فهو اوّلاً عشر مقالات جليلة الفائدة لبولس الراهب الملكي اسقف صيداء جامعة بين حسن الانشاء ووضوح الكلام والتدقيق التام في شرح أسمى وارفع المعتقدات المسيحيّة واسرارها الغامضة مع الردّ على اوهام المعترضين من مسلمين ويهود ومبتدعين فيجوز ان تُعَدّ كخلاصة اللاهوت النظري في بيان اسرار التوحيد والتثليث وتجسُّد السيّد المسيح واقنومهِ وطبيعتَيْهِ وتعاليمهِ . وقد ازهر المؤلف في القرن الثالث عشر للمسيح كما يؤخذ من بعض كتابات ابن تيميّة المتوفّى سنة ٧٢٨ ﻫ (١٣٢٧ م) . ويصرّح ابن الراهب في مقالتهِ الثالثة (ص١٥) انهُ رحل الى بلاد الروم والفرنج وانهُ زار مدينة رومية وتباحث مع اهلها وقد قابلنا ما ننشرهُ من مقالاتهِ على خمس نسخ مختلفة في مكتبتنا الشرقيّة

وفي هذا المجموع مقالتان لاسقف آخر ملكيّ وهو ثاودوروس ابو قرّة اسقف حرّان الذي نبغ في اوائل القرن التاسع للميلاد فيُعتبر من اقدم الكتبة النصارى بالعربيّة . فنشر مقالتهُ الاولى حضرة الخوري قسطنطين الباشا المخلّصي والثانية حضرة الاب لويس معلوف اليسوعيّ وكلتاهما من ابدع الآثار النصرانيّة سديدة الرأي جليّة البرهان قريبة المنال

امّا بقيّة المقالات فهي لكتبة نصارى من الكلدان النساطرة والسريان والاقباط اليعاقبة لا تكاد تجد فيها اثراً لبدعهم فيجوز ان تنظم في سلك البقايا النصرانيّة الخطيرة التي خلّفها اولئك الكتبة وكلّهم من المشاهير كحنين بن اسحاق المتوفي سنة ٧٧٣ م وكالشيخ يحيى بن عدي المتوفّى سنة ٩٧٤ للمسيح وعيسى بن يحيى الجرجاني من نطس الاطباء وعلمائهم في القرن الحادي عشر وايليّا اسقف نصيبين المعروف بابن شينا المتوفّى سنة ١٠٩٤ م وعبد يشوع الصوباوي المتوفّى سنة ١٣١٨ والشيخ ابن عسّال احد مشاهير كتبة النصارى في مصر في القرن الثالث عشر .

وكلّها جديرة بأطيب الثناء . وبين هذه المقالات نبـذة حسنة لابراهيم النظّام المعتزليّ الشهير يُثبت فيها لاحد اليهود انّهُ يجوز لله نسخ الشرائع الوضعيَّة كشريعة موسى وابدالهـا من غيرها كشريعة السيّد المسيح القائمة بعدها . رويناها عن نسختين خطيّتين اثباتاً لمقـالةٍ من جنسها لبولس الراهب

فكفى بهذه الخلاصة شاهداً على خطورة هـذا المجموع ومحتوياتهِ النفيسة فنحضّ الادباء عموماً ورعاة الدين خصوصاً لاسيَّما المترشحين للكهنوت على مطالعتهِ والاقتباسِ من فوائده

بيروت في ٢٩ حزيران ١٩٢٠

شَرح

العقيدة النصرانية

يحتوي شرح الحال الموجب للامم على اختلاف ألسنتها وتشاسع بلدانها الدخول مع اليهود في دين النصرانيَّة طوعاً

بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد

اما بعد فانهُ لمَّا كنا معشر النصارى في الكفر بالله العظيم منهمكين . وعمَّا يهواهُ معرضين . وعلى ما لا يُرضيهِ مقبلين . والى ما يُغضبهُ مبادرين . نتنافس في السيئات العظيمات . ونبتدع الخطايا القبيحات . لا نفكّر بالفوز بالنعيم . ولا نتوقّى العذاب الاليم . ولا نخشى تخليد الجحيم . حينئذٍ شاء الله تقدَّست اسماؤهُ . وجلَّت آلاؤهُ . ان ينتاشنا من الورَطات . ويقيلنا العثَرات . ويهدينا الى ما بهِ نصل الى ملكوت السماوات . وذلك رحمةً منهُ لنا وتعطُّفاً علينا . وابتغاء خلاصنا من ايدي ابليس عدوّنا

فارسل الحواريين الاطهار الينا منبثّين في الارض باسرها صادرين الى شرقها وغربها مخاطبين لأسود الخلق وأَحمرهِ يتلون على كلّ امة التورية والانجيل بلسانها لا يطلبون من احد مالاً ولا يرغبون في شيءٍ من امور الدنيا وزخرفتها وهم مع ذلك قليلون ضعفاء مساكين لا عدد معهم ولا مال ولا قوَّة غالبة ولا رجال فعجبنا من امورهم وسألناهم عن حالهم وسبب ورودهم

فقالوا انَّ الله تعالى ارسلنا اليكم لننقذكم من الكفر والطغيان . وننهاكم عن

النفاق والعصيان . ونصدَّكم عن عبادة العناصر والكواكب والاصنام ونحذركم من عذاب الآخرة في الجحيم بالنيران . فجزيناهم خيرًا وقلنا : اذا كان عن معبودات آبائنا تنهونا فالى ماذا تدعوننا ؟

قالوا : ندعوكم الى عبادة الله الاله الواحد الذي لا اله الَّا هو وحده لا شريك لهُ في الربوبيَّة ولا مثيل لهُ في الالهيَّة ولا نظير في الازليَّة ولا ضدٌّ يقاومهُ ولا يدٌ تنازعهُ غير ذي جسم وغير مركَّب ولا مؤلَّف وغير محسوس وغير متجزئ وغير متبعّض وغير مدرَك لا يقبل عرَضًا ولا يشغل حيّزًا ولا يحويهِ مكان ولا يحصرهُ زمان اوَّل بلا ابتداء وآخِر بلا انتهاء خفيٌّ في ذاتهِ ظاهرٌ في افعالهِ محدِث كل شيء بلا بطش ولا حواسّ ومنشئ كل الموجودات من غير مادّة ولا آلــة ولا جوارح عالم بالاشياء قبل كونها وعارف بالسرائر قبل إضمارها خالقٌ حيٌّ حكيم خلق الدنيا كما شاء لما يشاء ويفنيها اذا شاء كما يشاء ثمَّ يأذن بالبعث والنشور ويحيي مَن في القبور ويجازي الاخيـار بايصالهم الى النعيم الدائم وينتقم من الاشرار بتخليدهم في الجحيم . الهٌ واحد ربٌّ واحد خالق واحد لا اله قبلهُ ولا بعده ولا ربَّ الَّا هو ولا خالق سواه . وهذا الاله الذي هذه اوصافهُ هو جوهر واحد في ثلثة اقانيم اب وابن وروح قدس

فنفرنا من هذه الاسماء وانكر فلاسفتنا ومتكلّمونا عليهم ذلك وقالوا : كيف يمكن ان يكون واحد ثلثةً وثلثةٌ واحدًا ؟ وكيف يجوز ان يكون اباً وابناً معاً اذ الاب ضرورة يتقدَّم الابن ؟ وكيف يستقيم ان يكون ابن بغير تناسل ومباضعة؟ هذا ممَّا يخالف العقول ويناقي القول الذي ابتدأتم بهِ في التوحيد .

قالوا : لا تنفروا من قولنا ولا تظنُّوا بنا ظنونا تخالف رأينا ليس الامر على ما تتوهَّمون ولا الحـال على ما تظنُّون لكن يجب ان تعلموا ان الابوَّة والبنوَّة قد تكون على وجهين : فمنها بنوَّة كثيفة بتناسل ومباضعة وتقدُّم الاب على الابن وتأخر الابن عن الآب مثل ما انتم من ابائكم وابناؤكم منكم . ومنها ولادة لطيفة بغير مباضعة ولا تناسل ولا تقدُّم ولا تأخُّر وذلك مثل ولادة العقل للنطق وولادة قرص الشمس للضوء ومـا يجري هذا المجرى . فاذا كانت هذه الولادة في المخلوقات على هذه الصفة في اللطف ففي خالق اللطائف والكثائف ألطف والطف وانَّما اوردنا ذلك من حيث تعلمونهُ وخاطبناكم بهِ من حيث تفهمونهُ

فأنسنا الى كل قولهم وأقررنا به لهم وقلنا : فأوضحوا لنا كيف تكون الثلثة واحدًا والواحد ثلثة ؟ قالوا : انَّا ليس نقول انهُ تعالى ثلثة بمعنى ما هو واحد ولا واحد بمعنى ما هو ثلثة بل هو جلَّت قدرتهُ ثلثة في معنًى وواحدٌ في معنًى . وذلك كما يقال قرص الشمس وضوء الشمس وسخونة الشمس فهي من حيث الجوهر شمس واحدة ومن حيث الخواصّ ثلثة . وكما يقال عقل الانسان ونطق الانسان وحياة الانسان فالانسان واحد والخواصّ ثلثة وكما يقال لهيب النار وضوء النار وحرارة النار فالثلاث الصفاتُ نارٌ واحدة وليست ثلاث نيران

كذلك نقول الاب والابن والروح القدس الاله واحد وليس ثلثة الهة . ومع هذا فكل واحد من هذه الاقانيم الثلثة اذا رُكّب على انفراد من القنومين الآخرين كان الهاً تاماً والثلثة اله واحد . ومثل ذلك مثل انسان اخذ سبيكة ذهب فعمل منها خاتماً وسوارًا ودملجاً فالخاتم والسوار والدملج من حيث الجوهر واحد ومن حيث الاعيان ثلثة وكل واحد من الاعيان الثلثة قطعة ذهب تامّ والثلث القطع ذهب واحد لانَّ التثنية والتكثير لا يقعان على الجوهر بل على الاعيان

فسُررنا بما اوردوه لنا واغتبطنا بما اوضحوه لنا لعلمنا انهُ اذا كان هذا المجرى يجري فيما يتبعَّض ويتجزَّأ ففيما لا يتبعَّض ولا يتجزَّأ اكثر واعظم . غير انَّا انكرنا عليهم قولهم جوهرًا وقلنا لهم . انكم قد ذكرتم في ابتداء القول انهُ لا يقبل عرَضاً ولا يشغل حيّزاً والجوهر هو الذي يقبل الاعراض ويشغل المكان . قالوا : ان الذي يقبل عرَضاً ويشغل حيّزاً الجوهر الكثيف فامَّا الجوهر اللطيف مثل النفس والعقل والضوء وما يجري مجراها فلا يقبل عرَضاً ولا يشغل حيّزاً . واذا كانت الجواهر اللطائف تجري هذا المجرى فخالق الجواهر الطف

قلنا : فلمَ سمَّيتموه جوهرًا . قالوا : لانهُ ليس في الموجودات شيء الَّا وهو إمَّا جوهر وامَّا عرض فالجوهر القائم بذاتهِ الغير مفتقر في الوجود الى غيره والعرض لا يقوم بذاتهِ ولا يوجد الَّا في غيره ولمَّا كان الجوهر اشرف قلنا جوهرًا لنوضح انهُ قائمٌ بذاتهِ غير مفتقر في الوجودِ الى غيره . ومع هذا فنقول « انهُ جوهر لا كالجواهر المخلوقة » اذ هو الخالق للجواهر اللطيفة والكثيفة كما نقول « انهُ شيء لا كالاشياء

المخلوقة » لأنا لما رأينا حدوث الاشياء علمنا انَّ شيئاً غيرها احدثها اذ لا يمكن حدوثها من ذوات انفسها لما فيها من التضادّ فقلنا شيئاً لننفي العدم عنهُ

ثم لما رأينا الشيء ينقسم قسمين شيء حيّ وشيء غير حيّ وعاينّا ان الحيّ افضل من غير الحيّ وصفناهُ تعالى حيًّا لننفي عنهُ الموتانيّة . ورأينا الحيّ ينقسم قسمين حيّ ناطق وحيّ غير ناطق فوصفناهُ باجلّ الاسمين فقلنا ناطقاً لننفي الجهل عنهُ ولانَّ الناطق افضل من الصامت . وهذه هي الثلثة الاقانيم التي تقدَّم ذكرها فالشيء الاب الذي هو الذات والنطق الابن والحياة الروح القدس وهذا ما زادنا بهِ تصحيح القول بانهُ تعالى شيء حيّ ناطق . ومع هذا فانتم الفلاسفة تقولون علّة ومعلولاً وتوجبون انَّ العلّة هي ما اوجبت حكماً ما من غير ان يكون لها في ذلك الحكم فعلٌ اراديّ والحكم مقتضى العلّة ومُوجبها وكذلك يجب ان يكون كونهما قديماً فهاذان المعلولان للعلّة الاولى لا تقدُّم فيهما ولا تأخر وليس العالم معلَّلاً للعلّة الاولى لانَّ تضادّه يوجب حدوثهُ والمحدَث ليس معلَّلاً للعلّة الاولى بل هي علّة فاعلة وصانعة لهُ

قلنا : افهذا الاله الحق الحيّ الناطق هو سميع بصير قادر جواد كريم رحمان ام لا . قالوا : هو كما ذكرتم واكثر من ذلك . قلنا : فأضيفوا كلَّ واحدة من هذه الصفات الى الثلث التي ذكرتموها فتكون عشرين وثلثين صفة واكثر من ذلك . قالوا : ان هذه الصفات ليست تجري مجرى الحياة والنطق لانَّ هذه ايَّ صفة ذكرتَ منها جرَت معها جوهراً آخر مثل « سميع » فقد جرَت معها المسموع منهُ « وقادر » المقدور عليهِ « ورحمان » المرحوم وما يجري هذا المجرى . فاماَّ شيء حيّ ناطق فما يجرِ احدهما معهُ بوصفهِ جوهراً آخر غير جوهر الباري تعالى اذ هي صفات جوهرية ولانهُ لا يكون شيء مماَّ وُصف الّا حيّاً ناطقاً

قلنا : ان الصفات أعراض وانتم فقد جعلتموها أعياناً والاعيان هي جواهر . قالوا : انَّ الصفات اعراض في الجواهر الكثيفة فاما في الجواهر اللطيفة فليست اعراضاً بل قوًى لانّا اذا قلنا « الشمس » قلنا جوهراً واذا قلنا « ضوء الشمس » فليس عرضاً بل قوّةً من قوى الجوهر مماَّ يقيم ذات الشيء وما يقيم ذات الشيء لا يقال لهُ عرض بل قوة من قوى الجوهر مماَّ يقيم ذات الشيء وانتم فقد تقولون انَّ العرض هو الشيء الحالّ في الشيء ويجوز زوالهُ وبزوالهِ عنهُ لا تنفسد الذات الحاملة لهُ وكلٌّ يعلم انَّ

الشمس لو زال منها ضوءُها لما كانت شمساً فكذلك النار لو زالت حرارتها لما كانت نارًا والماء لو زالت رطوبتهُ لما كان ماء. وانَّما الصفات اعراض في الجواهر الكثيفة فامَّا في اللطائف فقوًى من قوى الجوهر ممَّا يقيم ذات الشيء. فامَّا في البارئ تعالى فأعيان وهي الاقانيم لعلوّه تعالى عن ان تكون صفاته الذاتيَّة كصفات المخلوقين منهُ اللطائف منهم والكثائف. فلمَّا انَّا وزنَّا ما ذكره الرسل الاطهار بميزان العقل الذي هو اصحُّ من المحكّ والمعيار علمنا انهُ قول الحقّ الذي لا عيب فيهِ فسعينا لله الواحد الموحَّد بالجوهر المثلث بالاقانيم الاب والابن والروح القدس

ثمَّ لمَّا تصفَّحنا الانجيل الذي سلموهُ الى كل امَّةٍ بلسانها وجدنا فيهِ ما ينافي العقول وذلك انَّ في موضع يقول انَّ المسيح ابنُ الله وفي موضع آخر انهُ انسانٌ ويخبر عنهُ بافعال بشريَّات ويصفهُ بصفاتٍ الهيَّات ومعجزاتٍ عظيمات. فعجبنا اذ رأينا الشيء وضدَّه وسألنا الرسل الاطهار عن ذلك فقالوا: قد اخبرناكم انَّ الله تعالى واحدٌ بالذات مثلَّث بالصفات وانهُ اب وابن وروح قدس وان ابنهُ نطقهُ والروحَ القدس حياتهُ وأقمنا لكم على ذلك دلائلَ عقليَّة وبراهين منطقية والان يجب ان تعلموا ان الله تعالى في اخر الزمان جاد على خلقهِ فارسل كلمتهُ اي نطقهُ من غير انفصال منهُ ولا تجزّيء كما يرسل احدكم كتاباً الى بلدةٍ بعيدة متضمناً كلاماً مولودًا من عقلهِ من غير انفصال بين العقل الوالد للنطق وكما يُرسل قرصُ الشمس الضوءَ على الارض من غير مباينة بين القرص الوالد والضوء المولود

وكذلك ارسل الله نطقهُ من غير انفصال منهُ ولا تجزّي متجسِّمًا من السيدة مارتمريم العذراء الطاهرة ليطهّر جبلة آدم المتدنسة بالخطايا والآثام ويرفعها بعد الانحطاط ويُعليها الى اجلّ الدرجات. فمن حيث هو كلمة الله هو قديم ازلي ومن حيث هو ابن مريم هو محدَث زمني ففعل المعجزات بالطبيعة الالهيَّة [واحتمل الاوجاع بالطبيعة البشريَّة]. فلا تنكرون ذلك لانكم قد ترون قطعة الحديد اذا هي أُحميت بالنار كانت من حيث النار تضيء وتحرق ومن حيث الحديد تقبل الشجّ والقطع ولا يدخل على النار التي هي طبيعة لطيفة شيءٌ ممَّا يدخل على الحديد الذي هو طبيعة كثيفة. والقطعة واحدة جامعة لطبيعتين وعلى هذا القياس وألطف بما لا يُحدّ ولا يُدرك كان المُعجز والعجز من السيد المسيح يسوع ابن الله الذي لم يأنف ان يتخذ طبيعةً بشريَّة يظهر فيها قدرتهُ

قلنا : فقد ذكرتم في ابتداء القول انَّ الثلثة اقانيم لا تتبعَّض ولا تتجزأ فكيف يجوز ان يصير احد الثلثة اقانيم انساناً دون الاقنومين الآخرين ؟ . قالوا : أما ترون النار اذا ما هي أُوقدت تحت الماء كيف تتَّحد الحرارة بالماء دون الضياء من غير انفصال من الحرارة والضياء كذلك الانسان الذي يكتب كتاباً الى بلدةٍ بعيدة كيف يصير اللفظ كتاباً من غير انفصال من العقل . كذلك وألطف بما لا يوصف مصيرُ احد اقانيم اللاهوت الذي هو الابن الازلي انساناً بغير انتقال عن لاهوتهِ ولا انفصال من الاب والابن والروح القدس

قلنا : فقد كان قادراً ان يخلّص البشر من عدوهم ابليس من غير ان يتجسَّم كما هو مكتوب في الانجيل من ولودهِ ونموّهِ وألمهِ وصلبهِ . قالوا : انَّ الله جواد والجواد انمَّا يجودُ باجلّ الموجودات والَّا فليس هو جواد ولمَّا لم يكن في الموجودات اجلّ من كلمتهِ جاد بها على خلقهِ وليُبكم بالعدل ابليس المحَّال لئلَّا يقول « اني قهرت انساناً وقهرني اله » فلهذا السبب تجسَّم ليكون قد جاد باجلّ الموجودات ولكي تكون الطبيعة التي غلبها ابليس واستعبدها بها يُقهرَ وليعلّم الناس التواضع والتمسكن والصبر على الامور التي يكرهها البشريون بالفعل لا بالقول فقط

فقلنا : فلايّ حال لم يدفع عن ذاتهِ الألم والصلب . قالوا : اراد ان يمكّن عندنا نحن تلاميذهُ انهُ اله وانسان والَّا فكنَّا نقول انهُ اله ليس انسان فنكون مُبطلين وليس مصدّقين فلا يكون على ايدينا معجزة ولا آية . فقلنا : فكأنكم تفعلون آيات ومعجزات . قالوا : نعم وذلك ليس بقدرتنا بل بقدرة الذي ارسلنا السيد يسوع المسيح ابن الله . فقدَّمنا اليهم موتى فبتسميتهم الاب والابن والروح القدس عادوا احياء . وعمياناً فأبصروا . ومخلَّعين فنهضوا . وبرصاً فتنقَّوا . فصح عندنا ما وعدهم بهِ السيد المسيح في انجيلهِ المقدَّس وذلك قولهُ : « انَّ من يأمن بي يعمل اكثر من اعمالي » وتحققنا انَّ الهُ وصلبهُ مكّن في قلوب المؤمنين بهِ قيامتهُ وعلمنا صدق التلاميذ الاطهار فيما دعونا اليهِ لما رأيناهُ من زهدهم وتيقنَّا انَّ المعجزات لا تكون على ايدي رسل مبطلين

غير انَّا سألناهم قائلين : انكم قد اوضحتم لنا انَّ المسيح اله وانسان فاذا نحن عبدناه فنكون قد اشركنا في العبادة لله انساناً ذا رأس واضراس . قالوا :

ليس الامر على ما تظنُّون ولا العبادة للطبيعة البشريَّة كما تتخيَّلون بل العبادة والسجود لله الموحَّد بالذات المثلث بالصفات وانَّما عبادتنا لأُقنوم المسيح الذي هو احد اقانيم الله الجامع بلا افتراق لطبيعتين طبيعة الهيَّة وطبيعة بشريَّة ومع هذا فالذين كانوا يعبدون النار وقد انتقلوا عن عبادتها يوضحون لكم ذلك لانهم الآن منكم

فسألناهم هل كانت عبادتكم للنار والحطب ام للنار دون الحطب . فقالوا : انَّ عبادتنا كانت للنار ولكن لاتحادها بالحطب ولكونهما جمرة واحدة كنَّا نجلُّهما وليس العبادة للحطب . ومثل ذلك مثل من يقبِل كتاب الملك بالتقبيل لِما فيهِ ويبجّل الكتاب لاتحاد لفظ الملك به . وأمَا تعلمون انهُ اذا دخل انسان على ملك لابس ثوباً من قزّ او كتَّان هل يقول : لا اسجد للملك لئلَّا اشرك سجودي للملك بثوبه . كلَّا بل يسجد ويحرص ان يصل الى طرف الكمّ ليقبلهُ فالسجود والتقبيل الملك لا للثوب واكمامُ الثوب لانهُ ملبوس الملك

فلمَّا سمعنا هذه الاحتجاجات العقليَّة والبراهين المنطقية آمنا واعتمدنا باسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد الموحَّد جوهرهُ المثلَّثة اقانيمهُ وتبعنا اوامر الرسل القديسين وهدمنا هياكل الاصنام وجعلناها بيعاً يُذكر فيها اسم الله الذي لهُ المجد والاكرام والحمد والاعظام من الآن والى ابد الابدين امين

*

واما نحن اليهود فأتينا الرسل ونبَّاهم على ما فعلوه مع الامم ولُمناهم على مجيئهم اليهم وقلنا لهم : « قد تعلمون انكم مثلنا عبرانيون مختونون وقد كان سبيلكم ان تبتدئوا منَّا نحن الذين اظهر الله آياتهِ لآبائنا واجترح المعجزات لاسلافنا وانقذهم من العبوديَّة الفرعونيَّة وشقَّ لهم البحر واجازهم فيهِ بغير بلَل الى البرّيَّة وغرَّق المصريين اعداءهم وغذاهم اربعين سنة بالمنّ والسلوى في التيه وسقاهم الماء من الصخرة وارواهم ثم ظفَّرهم بالعمونيين وسكَّنهم مدن الفلسطنيين وتمَّم وعدهُ لابينا ابراهيم الذي لم يشفق على ابنهِ الوحيد ان يذبحهُ طاعةً لرب العالمين وارسل فيهم الانبياء منذرين وجعل منهم كهنة للقرابين مقدِّمين وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ ويعظم وصفهُ فتركتم هذا الدين وتبعتم انساناً مسكيناً ابن امرأة بائسة ثم اتيتم الى قوم غُلف لا دينَ لهم ولا كتاب معهم وكلَّمتموهم كلاماً لا نفهمهُ وخاطبتموهم

خطاباً لم يثبت عندنا منهُ شيء وقلتم لهم « جوهرًا وعرَضاً ولطيفاً وكثيفاً وعلّة ومعلولًا » بما لم يرد في كتبنا شيء منهُ

فقالوا لنا : قد صدقتم اننا منكم كنّا ولكن لمّا رأينا الحقّ الذي ذكره الله في كتبهِ المنزلة على ألسن انبيائه اتبعناهُ ولم نفعل شيئاً يخالف ما هو مسطور عندكم ولا علّمنا تعليمًا ينافي ما قد رسمتموه وثبت قبلكم

فامّا افتخاركم بهذه الامور التي ذكرتموها والاسباب التي اعددتموها فهي عار عليكم وخزي لديكم لانكم مع هذه الآيات الباهرات والمعجزات العظيات لم تزالوا بالله كاذبين ولنعمهِ جاحدين ولانبيائهِ قاتلين وللاصنام عابدين ولبنيكم وبناتكم للشياطين ذابحين حسب قول الله على لسان داود النبي (مز ١٠٥ : ٣٧) : « وذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين واراقوا دماً زكيًا دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لمنحوتات كنعان » حتى انهُ لمّا تواتر سوء افعالكم وتكاثر نفاقكم رذلكم الله وطرحكم واختار الامم عليكم حسب قوله على لسان داود النبي (مز ٨٥ : ٩) : « كل الامم الذين صنعتَ يأتون ويسجدون امامك يارب ويمجدون اسمك » . وكقولهِ بلسان اشعيا النبي ١) : « ساختار من جميع الامم أمّة لنفسي واكون لهم الهاً وهم يكونون لي شعباً وانتظِروني ايها الامم الى يوم اقوم للشهادة . قال الله : قد بلغ الاوان الذي فيهِ تجتمع الامم فاطرح على الامة خزيي لانّ نار غضبي تأكل الارض ثم ارجع الى الامم فاختارهم ويدعون باسم الله كلهم ويعبدونهُ بدين واحد ويقرّبون لله القرابين في (كلّ) المواضع » : وايضاً على لسان ملاخي (١ : ١٠—١١) : « يا بني اسرائيل ليس لي فيكم هوًى وذبيحة من ايديكم لا اقبلها لأنَّ من مطلع الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم يسبَّح ويمجَّد في كل موضع يبخّرون ويقرّبون لاسمي قرابين نقيّة » . وايضاً (اشعيا ١ : ١٤) : « ابغضتْ نفسي لسباتهم ورؤوس شهورهم وصارت عليَّ ثقيلة . وفي ذلك اليوم أبطل الاسبات كلها واعطيهم سُنّة جديدة مختارة من صهيون ليست كالسُنّة التي أعطيتها لموسى عبدي في حوريب يوم المجمع الاكبر » . فامّا السُنّة الجديدة التي اعطاها الله للأمم في صهيون على ايدينا نحن التلاميذ فهي عوض الختان المعمودية وعوض السبت الاحد وعوض

١) كذا في الاصل والاصحّ ارميا النبيّ (الفصل ٣١ ع ٣٣—٣٥) وفي الشهادة بعض تصرُّف

القرابين والحيوانات الخبز والخمر وموضع الصلاة الاتجاه الى بيت المشرق وموضع القصاص الفضل. وهذا فعلهُ الله بكم لاجل إزرائكم باسمه حسب قوله على لسان اشعيا النبي وتنجيسكم مذابحهُ وذلك من طغيانكم فلهذا قال: (١: ١٣-١٤) «لا اقبل منكم توبة ولا اعود عليكم برحمةٍ». وايضاً قد ارسل الله اشعيا النبي الى بني اسرائيل يقول لهم (٦ : ١٠) : «سماعاً تسمعون فلا تفهمون ونظرًا تنظرون فلا تبصرون عميَتْ ابصاركم لئلا ترجعوا اليَّ فاشفيكم. فقال النبي: يارب فحتى متى. قال الله: الى ان تبلى الارض وتبور ويفنى اسمها». وايضاً وقد شبّهكم باهل صدوم وعامورة الذين ضربهم بالنار والكبريت اذ يقول (١ : ١٠ - ١٥) : «اسمعوا كلمة الله يا رؤساء صدوم وأنصتوا ناموس الرب يا امّة عامورة ذبائحكم واعيادكم وسبوتكم قد ابغضتْها نفسي ما اريدها مثلكم لا تطأوا دياري ولا تكثروا الصلوات لي لاني لا اقبل ذلك منكم لانَّ ايديكم مملوءَة دماً». ثم قال على لسان اشعيا النبي ما هو اعظم من هذا (٦٤ : ٦) : «ولذلك ارذلكم كما أرذلَتِ المرأة خرقة رِفادة حيضها». ويقول الله على لسان ارميا النبي بقولهِ (١٥ : ١ - ٣) : «ثمَّ قال لي الرب: لو قام قدّامي موسى وصموئيل لم تؤثر نفسي هذا الشعب فأخرجهم من بين يدي. قال الربّ مَن للموت يموت ومن للقتل يُقتل ومن للسبي يُسبى وسآمر فيهم باربعة انواع من الآفات فيُقتلون بالسيف وتجيءُ الكلاب وطيور السماء وحيوان الارض تأكلهم واجعلهم ابدًا تحت الفزع والمخافة بين الملوك والممالك». وايضاً يقول الله على لسان ارميا النبي (١٥ : ١١): «قال لي الله امَّا انت فلا تصلِّ على هذه الامة ولا تدعُ لهم لانهم ان صلّوا لم اسمع منهم صلواتهم وان قرّبوا قرباناً لم أُرِدْه». ومثل هذا كثير ما لو رمنا وصفهُ لطال شرحهُ فتأملنا نحن اليهود كلَّ ما ذكره الرسل فوجدناه كما قالوا. الَّا انّا قلنا لهم: فكيف يرفض الله ديناً قد اختاره وارتضاه ويطرحهُ هكذا. قالوا: ليس دين اليهود ديناً اختاره الله وارتضاه لانَّ الدين الذي اختاره الله وارتضاه لهُ ثلاث علامات فاي دينٍ لم يكن فيهِ هذه الثلاث العلامات فليس هو الدين الذي ارتضاه الله

قلنا: وما هي الثلاث العلامات. قالوا: امَّا الاولى فأن تكون رسلهُ الى سائر الامم اذ ليس بينهُ وبين امة صداقة وبين غيرها عداوة ولأن الله عدلٌ وليس

من عدلهِ ان يطالب يوم القيامة أمّةً من الامم بدين لم يدعُها اليهِ . والثانية ان يكون على ايدي الرسل الآيات الباهرات لان للمدعوّين حجةً في ترك القبول اذ لم يكن على ايدي الرسل آيات ومعجزات وليس من العدل تعذيبهم مع وضوح حجتهم . والثالثة ان يخاطب الرسل كلَّ أمّة بلسانها ويسلّموا اليها الاوامر والنواهي بلغتهم ليفهموا ما يلزمهم ويحيدوا عمّا يُحذَّرون منهُ

قلنا : فما عندكم في الدين الذي اتى بهِ موسى النبي . قالوا : ان الدين الذي اتى بهِ موسى النبي لم يكن الدين الذي اختاره الله لسائر الناس بل ارسل الله موسى ليخلص بني اسرائيل من عبودية المصريين ويهديهم الى معرفة رب العالمين ويصدّهم عن عبادة الاصنام وينهاهم عن قبائح الاعمال وذلك لِما أزمعهُ من تجسُّد الكلمة الخالق منهم لاجل ما تقدَّم من حسن ايمان ابيهم ابراهيم ولم يزل يرسل فيهم نبيًا بعد نبيّ ويأمرهم وينهاهم وينذرهم بظهور السيد المسيح منهم الى ان ظهر فدعا بنا نحن التلاميذ لسائر الناس ولذلك قلنا ان الدين الذي اتى بهِ موسى ليس هو الدين الذي اختاره الله لسائر الناس

قلنا : فمن هو انسانٌ كيف يكونُ الهاً . قالوا : قد تقدم القول منّا اله وانسان .

قلنا : فاين يوجد عندنا في كتبنا ان الاله يظهر على الارض . قالوا : الم تسمعوا الله يقول على لسان اشعيا النبي (٧ : ١٤) : « هذه العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمهُ عمانوئيل الذي ترجمتهُ الله معنا . او لم تسمعوا ان الله يقول على لسانه ايضاً (٩ : ٩ — ٧) : « صبيٌّ وُلد لنا وابنٌ أُعطيناه الذي رئاستهُ على منكبهِ وسلامتهُ ليس لها حدٌّ ويدعى اسمهُ ملك المشورة العظمى مشيرٌ عجيب الهٌ قوي مسلَّط على الدوام اركون السلامة اب الدهور المزمعة » . او لم تسمعوا الله يقول على لسان ارميا النبي (بروك ٣ : ٣٧— ٣٨) : « هذا هو الهنا لا نعدّ معهُ الهاً آخر وجد كل طريق مستقيم فاعطاهُ ليعقوب فتاه واسرائيل المحبوب منهُ وبعد هذا على الارض ظهر وبين الناس مشى » . او لم تسمعوا ما قالهُ الله على لسان زخريا النبي (١٤ : ٤) : « سيأتي يوم تقف فيهِ ارجل الربّ على جبل الزيتون الذي هو مقابل اورشليم من ناحية المشرق مطلع الشمس » . او لم تفهموا ما قالهُ الله على لسان دانيال النبي عن الرؤيا التي رآها اذ يقول (٧ : ٩ — ١٠) : « رأيت عتيق الايّام ثيابهُ من الثلج وشعره من الصوف الابيض جالساً

على كرسي ونهر نارٍ يجري تحتهُ والآف الاف قيامٌ عن يمينهِ وربوات عن شمالهِ وجاءَهُ مثل ابن الانسان فاعطاه السلطة » . ومثل هذا لو رمنا نأتي على جميعه لطال ذلك

قلنا : قولكم اباً وابناً وروح القدس اوضحوهُ لنا من كتبنا لنعلمهُ . قالوا : نعم اماً تعلمون انَّ الله قال على لسان موسى النبي مخاطباً لبني اسرائيل (تث٣٢ : ٦) : « اليس هذا الاب الذي صنعك وبرأك واقتناك » . وقال الله في سفر الخليقة (١ : ٢) : « وكان روح الله يرفّ على الماء » وقال الله على لسان ايوب الصديق (٣٣ : ٤) : « روح الله خلقني وهو يعلمني » . وقال الله على لسان داود النبي (مز١٤٢ : ١٠) : « روحك القدوس يهديني في ارض مستقيمة » وقال الله بلسان داود النبي ايضاً (مز٣٢ : ٦) : بكلمة الرب تشدَّدت السماوات وبروح فيهِ جميع قواهنَّ » . وقال ايضاً على لسان اشعيا النبي (٤٠ : ٨) : « يلبس القتاد ويجفّ العشب وكلمة الله باقية الى الابد » . وقال الله على لسان داود النبي (مز ٢ : ٧) : « الرب قال انت ابني وانا اليوم ولدتك سَلني فأُعطيك الامم ميراثكِ وسلَطتُك على اقاصي الارض فترعاهم بعصاً من حديد ومثل آنية الفخَّار تسحقهم » . وقال الله على لسان حزقيال النبي (٥٠ : ٢٠) : « الله وكلمتهُ وروحهُ ارسلني »

قلنا : نحن نعلم انهُ يأتي المسيح وقد اعطانا الله لمجيئهِ على لسان دانيـال النبي حساباً (٩ : ٢٤) وذلك انهُ ذكر لنا سوابيعَ وذكر ان عند نهايتها يكون مجيئهُ . وما انتهت السوابيع . قالوا : ان السوابيعَ قد انتهت غير اننا نختصر معكم بالقول ونقول : أَيجيءُ السيد المسيح الذي وُعدتم بهِ وتقولون انهُ لم يجيءْ بل انتم تنتظرونهُ جيدًا ام لا . قلنا : جيدًا . قالوا : اذا كان الله قد وعد بشيءٍ جيد الى زمان ما ثم قدَّمهُ أَفيكون ملوماً ام مشكورًا . فقلنا : لا بل مشكورًا متطولًا كما انهُ وعد لابراهيم ان يستعبد نسلهُ اربعمائة سنة ولمَّا استُعبد بمصر لم يهملهُ في العبوديَّة اربعمائة سنة بل خلصه قبل ذلك بكثير من السنين . غير اننا قد انكرنا قولكم انهُ قد تألَّم وصُلب . قالوا : لا تنكروا ذلك بل انظروا فيما قالهُ الله عن أَلسن انبيائهِ فتجدوا انهُ قال على لسان داود النبي (مز ٨٧ : ٧) : « وضعوني في حفرة اسفل السافلين في الظلمات وأَفناء الموت » . وايضاً على لسان داود النبي (مز٦٨ : ٢٢) : « اعطوني في طعامي مرارة وفي عطشي سقوني خلاً » . وايضاً على لسان هذا النبي (مز ٢١ : ١٩) : « اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا » . وايضاً على لسان داود النبي (مز٩٨ : ٥) : « يُرفع الربّ الهنا

ويُسجَد لموطئ قدميهِ لانهُ قدوس هو » . ويقول الله على لسان اشعيا النبي (٥٣ : ٧) : « هو تألَّم لاجل خطايانا وباوصابهُ نحن شُفينا . مثل الخروف سيق الى الذبح وكالحمل قدَّام الجزَّار صامت لايفتح فاه ولم يصنع اثماً . وغش لم يوجد في فيهِ وحُسب مع المنافقين وهو رفع خطايا كثيرين » . ومثل هذا كثير لو ذكرناهُ لصار شرحاً طويلاً . قلنا فاين تُذكر قيامتهُ التي ذكرتموها . قالوا : الم تسمع الله يقول على لسان داود النبي (مز ١٥ : ١٠) : « لم تدع نفسي في الجحيم ولا أعطيتَ بارَّك ان يرى فساداً » . وايضاً على لسان هذا النبي (مز ٦٧ : ١٠) : « يقوم الله وتتبدَّد أعداؤهُ » . وايضاً على لسان داود (مز ٨١ : ٨) : « قم يارب ودِن الارض » . ومثل هذا كثير لو ذكرناه لطال شرحهُ

قلنا : وما معنى ما نراكم تفعلونهُ من تقبيل الصور والصليب . قالوا : ليس التقبيل للصور والصليب والسجود للايقونات عبادة لها معاذ الله من ذلك بل هو اكرامٌ للذي ارتفع على الصليب ولمن الايقونة على صورتهِ . كما انهُ لمَّا دخل يعقوب على ابنهِ يوسف بمصر فسجد على طرف العصا التي كانت بيد ابنهِ يوسف وقبَّلها فكان سجوده وتقبيلهُ اكراماً ليوسف ماسكها لا لها . وكما انهُ اذا كان للانسان ولد وغاب عنهُ فيأخذ منديلهُ او ثوبهُ فيضمُّهُ الى صدرهِ ذلك اكراماً لصاحب الثوب او المنديل لا للثوب ولا للمنديل . وكما انهُ اذا وصل لانسان كتاب ممن يجلُّ قدرهُ عنده فيقبلهُ فالتقبيل لا للورق والمداد بل لمرسل الكتاب

فلمَّا سمعنا ما اوردهُ الرسل الاطهار سُررنا بما اوضحوه لنا ودخلنا فيما اتوا بهِ الينا واغتبطنا بما تلوه علينا وذلك انهم زعموا انَّ الامم قد اشركونا في الاخوَّة والبنوَّة اذ صرنا نحن الرسل مثل الخمير للعجين الذي يكون واحداً باتحاد الخمير وان الكل واحد بالرب يسوع المسيح فتعمَّدنا وتقرَّبنا وتبعنا اوامر الرسل الاطهار وسُررنا بما انعم الله بهِ علينا وشكرنا احسانهُ الينا وانعامهُ لدينا الذي لهُ المجد والوقار مع ابنهِ سيدنا يسوع المسيح وروح قدسهِ من الان و كل اوان والى دهر الداهرين امين



خلاصة معتقد النصارى

في التوحيد والاتحاد

رسالة لبولس الراهب اسقف صيداء الانطاكيّ لمّا ان سأله الشيخ ابو السرور التنّيسي الرقّام (١ ان يشرح له شرحاً مختصراً رأيَ (٢ النصارى في التوحيد والاتحاد

« امّا بعد فانّا معشر النصارى نعتقد في الله تقدّست اسماؤهُ وجلّت آلاؤهُ انّهُ واحدٌ بالذّات مثلّثٌ بالصفات (٣ التي نسميها اباً وابناً وروحاً قُدُساً . نُزيد بذلك تصحيح القول انّهُ تعالى شيءٌ حيٌ ناطقٌ فالشيء الذي هوَ عندنا الذّاتُ هو الآبُ (٤ والنطقُ الابن والحياة الروح القدس والثلاث الصفات هي الاله الواحد الذي لا يتبعّض ولا يتجزّأ . فلا هوَ ثلثةٌ بمعنى ما هو واحدٌ اي ليس هو ثلثَ ذواتٍ بل هو ذاتٌ واحدةٌ ولا هو واحدٌ بمعنى ما هو ثلثةٌ اي ليس هو صفةً واحدةً بل ثلثُ صفاتٍ . وقد نرى الشمس المخلوقة توصف بثلث صفاتٍ جوهريّاتٍ لا مستعاراتٍ فيقال قرص الشمس وضوءُ الشمس وسخونة الشمس . وكلُّ صفةٍ من (الثلثِ) الصفات حافظةٌ لخاصّتها بلا اختلاطٍ ولا تفريقٍ ولا تبعيضٍ ولا تجزيء . فالقرص والدٌ للضوء والضوء مولودٌ من القرص والسخونة منبعثة من القرص مستقرّةٌ في الضوء . والثلثُ الصفاتُ شمسٌ واحدةٌ وليست ثلث شموسٍ وان كان قد يقال لكل صفةٍ من الثلثِ الصفات شمسٌ . لانّهُ قد يُقال عن القرص انّ الشمس قد جرت (٥ في وسط السماء وعن الضوء انّ الشمس دخلت الى وسط الدار . وعن السخونة انّ الشمس قد أحرقتني . واذا كان هذا المجرى يجري في الشمس المخلوقة ففي خالق الشمس ألطف وافضل

١) لم نطّلع على شيء من اخبار ابي السرور هذا . وفي نسخة يدعى ابا السرقاء التليني ويروى : التيبسي ٢) ويروى : في رأي ٣) اعلم انّ في الله عزّ وجلّ نوعين من الصفات منها كماليّة كالقدرة والعلم والقداسة الخ . وهذه الصفات مشتركة بين الاقانيم الثلاثة . ومنها شخصية وهي نسبة الاشخاص الى بعضها كنسبة الاب الى الابن ونسبة كليهما الى الروح القدس وهذه النسب لا تشترك بين الاقانيم الثلاثة ومنها تتوقّف الاقانيم وهي صفات جوهريّة قائمة بذاتها ٤) يريد ان الذات الالهية اي طبيعتهُ تعالى كلها في الاب ٥) ويروى : صارت

واماّ رأينا في الاتحاد فنقول : ان الابن الازليّ الذي هو النطق تجسَّد انساناً كاملاً من الروح القدس ومن السيّدة مرتمريم (١ بلا انتقال عن اللاهوت ولا انفصال عن الذات كما انَّ كلام الانسان المولود من عقلهِ يصير كتاباً فيسير (٢ الى بلدةٍ ما فيتخرَّق الكتاب او يُحرَق . فمن حيث الورقة والمداد يدخل عليهِ التخريق والحريق ومن حيث الكلام غير داخل عليهِ عرَضٌ بل هو ثابتٌ في العقل الوالد لهُ بلا انفصال والكتاب واحدٌ . كذلك نقول انَّ السيد المسيح من حيث هو كَلِمَةُ الله قديمٌ ازليٌّ ومن حيث هو ابن السيدة مرتمريم هو محدَثٌ زمنيٌّ ففعلَ المُعجزَ بالطبيعة الالهيَّة واظهر العَجْز بالطبيعة البشريَّة . والفعلان للسيد المسيح الواحد . كما انَّ قطعة الحديد اذا هي أُحميت بالنار كانت من حيث النار تحرق وتضيء ومن حيث الحديد تقبل الشجَّ والطيَّ والقطع من غير وصبٍ يدخلُ على طبيعة النار . والقطعة واحدةٌ جامعةٌ لطبيعتين طبيعةٍ لطيفة غير داخل عليها عرَضٌ وطبيعةٍ كثيفة قابلةٍ للاعراض . واما قولنا « انَّ السيد المسيح الهٌ » فلأنَّ اللطيف اذا اتّحد بالكثيف غلب اسم اللطيف على الكثيف كما يغلب اسم النار على الحطب فلا يقال نارٌ وحطبٌ بل نارٌ . واذا كان هذا المجرى يجري في اتحاد المخلوقات ففي الخالق هو أجلّ واعظم . واماَّ الولادة (٣ فقد تكون على وجهين منها ولادةٌ كثيفةٌ بمباضعةٍ وتناسل وتقدُّم الاب على الابن وتأخر الابن عن الاب مثل زيدٍ من ابيهِ . ومنها ولادةٌ لطيفةٌ بغير مباضعةٍ ولاتناسلٍ ولا تقدُّم ولا تأخر الابن عن الاب مثل ولادة العقل للنُّطق وولادة قرص الشمس للضوء والى هذا المعنى ننحو في قولنا « اباً وابناً » . والحمد لله على ما انعم علينا بهِ من المعرفة بتوحيد جوهره وتثليث اقانيمهِ التي هي الاب والابن والروح القدس لهُ المجد والقدرة والتسبحة والكرامة من الآن والى دهر الداهرين . آمين

يا جوهراً من جوهرٍ في جوهرٍ لا ينقسمْ (٤
مَن قال غير مقالتي في ذي العلى لم يستقمْ (٥

---

١) هكذا كان يدعو نصارى المشرق العذراء مريم حتَّى الملكيون وقد استعاروا هذه اللفظة من السريانية ܡܪܬܐ ܡܪܝܡ اي السيدة مريم ٢) ويروى : ويصل ٣) ويروى : الولودة

٤) الجوهر هنا بمعنى الذات الشخصيَّة والاقنوم لا بمعنى الطبيعة التي هي واحدة في الله سبحانهُ وتعالى لا تقبل التجزيّ

٥) هذان البيتان في نسخة واحدة

رسالة بولس اسقف صيدا الراهب الانطاكي

قد ارسلها لبعض معارفهِ الذين بصيدا

من المسلمين

ايها العزيز

نفعنا الله واياكَ بالاعتبار وجعلهُ مؤدياً لك ولنا الى الاستبصار في الاعمال القائدة الى الجنة والمنقذة من النار

امَّا بعد فاني لمَّا عرفتك ايها الصديق الشفيق والاخ الشقيق اطال الله في أتمّ النعيم(١ بقاءَك. وحرسك من الاسواء وتولَّاك. بسفري(٢ الى بلاد الروم والقسطنطينيَّة وبلاد الملاطفة(٣ وبعض بلاد الافرنج وروميَّة واني لما أُهلتهُ من المنزلة اعني الاسقفيَّة اجتمعتُ باجلَّاء اهل تلك الديار ورؤَسائهم وفاوضتُ افاضلهم وعلماءهم فقد سأَلتني ان اشرح لك شرحاً بيّناً ما عرفتهُ من رأي القوم الذين رأيتُهم وخاطبتهم في محمد نبيك (٤ فاجبتُ الى مسأَلتك لاجل افراط مودتك وكثرة محبتك قائلًا : ان القوم يقولون: اننا لمَّا سمعنا انهُ قد ظهر في العرب انسان اسمهُ محمَّد (٥ يقول انهُ رسول الله وانهُ اتى (٦ بكتاب يذكر انهُ مُنزَل عليهِ من الله تعالى توصَّلنا الى ان حصل الكتاب عندنا. قلتُ: فان كنتم قد سمعتم بهذا الرسول واجتهدتم في تحصيل الكتاب الذي اتى بهِ عندكم فلايّ حالٍ لم تتبعوهُ لاسيَّما وفي الكتاب يقول: « ومن يبتغِ غيرِ الاسلام ديناً فلن يُقبَل منهُ وهو في الآخرة من الخاسرين»(سورة آل عمران٧٩)

اجابوا : لاحوالٍ شتّى . قلتُ : وما هي . قالوا: منها ان الكتاب عربيّ وليس بلساننا حسبما جاءَ فيهِ وهو قوله: « انزلناهُ قرآناً عربياً » (سورة يوسف ٢). ولاننا

١) ويروى : اتمّ النعم
٢) ويروى : سفري
٣) الملاطفة اهل ملداقيا من اعمال النمسة
٤) ويروى : في محمَّد نبيك وما جاء بهِ
٥) ويروى : فلان
٦) ويروى : أُتيَ

وجدنا فيه ايضاً : « وما ارسلنا من رسول الّا بلسان قومه » (سورة ابرهيم ٤) . وايضاً : « هو الذي بعث في الأُميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين » (سورة الجمعة ٢) . وايضاً : « لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير من قبلك لعلّهم يهتدون » (سورة السجدة ٢) . وايضاً : « اوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر أمّ القرى ومَن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه » (سورة الشورى ٥) . وايضاً : « لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون » (سورة يس ٥) . وايضاً : « وأنذر عشيرتك الاقربين » . فلما رأينا هذا فيه علمنا انّهُ لم يُرسَل الينا بل الى الجاهلية من العرب الذين (١ قال : انهُ لم يأتهم من نذير من قبله وانّهُ لم يلزمنا اتباعهُ لاننا نحن قد اتانا رسلٌ من قبلهِ وخاطبونا بألسنتنا وسلموا لنا التورية والانجيل بلغاتنا واذا قد اتّضح من الكتاب انهُ لم يرسل الّا للجاهلية من العرب فقوله « من يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منهُ وهو في الاخرة من الخاسرين » فيريد بهِ حسب مقتضى العدل قومه الذين اتاهم بلغتهم لا غيرهم ممَّن لم يأتهم حسبما جاء فيه

ثم وجدنا في الكتاب ايضاً من تعظيم السيد المسيح وامهِ الطاهرة مريم : وان الله جعلها اية للعالمين . وذلك كقوله عن مريم : « التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين » (سورة الانبياء ٩١) . وايضاً : « واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين » (سورة آل عمران ٣٧) . مع الشهادات للسيد المسيح بالمعجزات وانهُ حُبل بهِ لا من مباضعة رجل بل ببشارة ملاك الله لامّهِ وانهُ تكلّم في المهد واحيا الميت وابرأ الاكمه ونقّى البرص وعمل من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فطارت باذن الله وانهُ روح الله وكلمتهُ (على) ما يوافق رأينا فيهِ واعتقادنا . ووجدنا فيهِ ايضاً ان الله رفع المسيح اليهِ وجعل الذين اتبعوهُ فوق الذين كفروا (به) الى يوم القيامة وذلك كقوله : « واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اني متوفّيك ورافعك اليَّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » (آل عمران ٤٨) . وايضاً قولهِ : « وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناهُ الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوه رحمة ورأفة »

١) ويروى من الجاهليّة من العرب

(سورة الحديد ٤٧) ثم وجدنا ايضاً انهُ يعظِم انجيلنا ويقدّم صوامعنا وبِيَعَنا على المساجد ويشهد لها بانَّ اسم الله يُذكر فيها كثيرًا وذلك كقوله : « ولولا دَفعُ الله الناسَ بعضَهم ببعض لَهُدّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرًا (سورة الحج ٤١) » . فهذا وغيره مما اوجب لنا التمسُّك بديننا وان لا نهمل مذهبنا ولا نرفض ما معَنــا ولا نتَّبع غير السيّد المسيح كلمة الله وحوارّييهِ الذين ارسلهم الينا جميعاً ليُنذرونا والذين قد عُظِموا في هذا الكتاب وبُجلوا بقولهِ : « لقد أرسلنا رُسُلنــا بالبيّنات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط (سورة الحديد ٢٥) » . يعني رسلهُ الحواريين لانهُ لو كان عن ابراهيم وداود وموسى ومحمد لكان قال «معهم الكتب» ولم يقل «الكتاب» الذي هو الانجيل . وقد قال الكتاب ايضاً : « وجاء من (اقصى) المدينة رجل يسعى قال : يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرًا وهم مهتدون (سورة يس ١٩) » . يعني الحواريّين لانهُ لم يقل «الرسول» . ثم شهد عنهم (١ انهم انصار الله اذ يقول : « كما قال عيسى ابن مريم للحواريّين : مَن انصاري الى الله . قال الحواريُّون : نحن انصار الله . فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيَّدنا الذين آمنوا على عدوّهم فاصبحوا ظاهرين (سورة الصف ١٤) » واما تعظيمهُ لانجيلنا وكتبنا التي في ايدينا فقولهُ : « وقفَّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدّقاً لِما بين يديهِ من التوراة واتيناه الانجيل فيهِ هدى ونورٌ مصدّقاً لمــا بين يدَيهِ من التورية والانجيل وهدى وموعظة للمتقين (سورة المائدة ٥٠) » . ثم قولهُ ايضاً : « ان كنت في شك مما انزلنا عليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك (سورة يونس ٩٤) » . فثبت بهذا المعنى ما معَنا . نعم ونفى عن انجيلنا وكتبنا التهم (٢ بالتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقهِ اياها

قلت : فان قال قائل ان التبديل قد يجوز ان يكون بعد هذا القول . قالوا : هذا ما لا يجوز لقائل ان يقولهُ لان كتبنا قد جاز عليها من نحو ستمائة سنة وصارت في ايدي الناس يقرأونها باختلاف ألسنتهم على شاسع بلدانهم فكيف يمكن ان احدًا يغيّر شيئاً منها او يبدّلهُ . فاما الانجيل فيشهد لهُ الكتاب بانهُ هدًى للمتَّقين . وذلك قولهُ : « آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيهِ هدًى للمتقين (سورة البقرة ١) » .

١) ويروى : لهم ٢) ويروى : التهمة

فالف لام ميم قسم وهو المسيح (وحذفتم السين والياء والحاء) . وذلك الكتاب فهو الانجيل لانهُ قال: «وان كذَّبوك فقد كُذِّبت رسل من قبلك جآؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير (سورة آل عمران ١٨١)». فالكتاب المنير هو الانجيل الذي جاء وأرسل من قبله بهِ البيّنات . وانهُ ذلك الكتاب لان ذلك لا يكون هذا . ولو كان قال عن القرآن ومحمد لكان قال: «وارسلنا رسولنا» وكان يقول ايضاً «آلم . هذا الكتاب لا ريب فيهِ» بل قال «ذلك الكتاب» يعني المتقدّم قبل هذا وهو الانجيل . ثم وجدنا ما هو اعظم برهاناً مما تقدَّم وهو قولهُ: «آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمرتُ لأَعدل بينكم اللهُ ربُّنا وربُّكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حُجَّة بيننا وبينكم واليهِ المصير (سورة الشورى ١٤)». واما لغير اهل الكتاب فقال فيهم: «قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي ديني (سورة الكافرين ١ — ٥)». وقولهُ ايضاً للذين جاءهم: «لا تجادلوا اهل الكتاب الَّا بالتي هي احسن الَّا الذين ظلموا منهم وقولوا: امنَّا بما أُنزل الينا وأُنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن لهُ مسلمون (سورة العنكبوت ٤٥)». ولم يقل «كونوا لهُ مسلمين». فاما الذين ظلموا فما يشكُّ احد بانهم اليهود الذين سجدوا لرأس العجل وكفروا بالله وقتلوا الانبياء ورسلهُ وعبدوا الاصنام وذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين ليس حيوانات غير ناطقة فقط بل بنيهم وبناتهم حسبما شهد الله عليهم على لسان داود النبي اذ يقول (في المزمور ١٠٥): «وذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين واراقوا دماً ذكياً دم بنيهم وبناتهم الذين ذكوه[1] لمنحوتات كنعان وتنجَّست الارض باعمالهم . واماَّ نحن النصارى فلم نفعل شيئاً مما فعلتهُ اليهود ولذلك جاء في الكتاب: «لتجدنَّ اشدَّ عداوةً للذين آمنوا اليهودَ الذين اشركوا ولتجدنَّ اقربهم مودَّة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبان وانهم لا يستكبرون (سورة المائدة ٨٥)». فذكر القسيسين والرهبان لئلا يقال ان هذا قيل عن غيرنا ودلَّ بهذا على جميل افعالنا وحسن نياتنا . نعم ونفى عنَّا اسم الشرك بقولهِ: اليهود والذين اشركوا اشدّ عداوة للذين آمنوا والنصارى اقربهم مودَّة . وقد اوضح

١) ويروى : ذبحوا

هذا بقولهِ :«ان الذين آمنوا والذين هادُوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيهِ يختلفون (سورة الحج ١٧)». وليس انهُ نفى عنَّا اسم الشرك فقط بل اوضح انهُ لا ميزة لغيرنا عنَّا بقوله : « ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أَجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (سورة البقرة ٥٩)». فساوى بهذا القول بين سائر الناس والمسلمين وغيرهم وقد بين ذلك بقولهِ: «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم (سورة الحجرات ١٣) ». ثم مدح قرابيننا وتوعَّدنا ان اهملنا ما معنا وكفرنا بما أُنزل الينا انَّ يعذبنا عذاباً لا يعذبهُ لاحد من العالمين بقولهِ : « واذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان يُنزّل علينا مائدة من السماء . قال: اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا: نريد ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهمَّ ربَّنا أنزلْ علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاوَّلنا وآخرنا وآيةً منك وارزقنا وانت خير الرازقين . قال الله : اني منزلها عليكم فمن يكفر بعدُ منكم فاني اعذّبهُ عذاباً لا اعذبهُ احداً من العالمين » (سورة المائدة ١١٢ — ١١٥) . فالمائدة هي القربان الذي نقرّبهُ في كل قداس . فلما تقدَّم بهِ القول ولانهُ غير لائق عند ذوي الالباب ان نهمل روح الله وكلمتهُ الذي شهد لهُ في هذا الكتاب بالعظائم وقال عنهُ : «وإنْ من اهل الكتاب الَّا ليؤمننَّ بهِ قبل موتهِ ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً (سورة النساء ١٥٧)». ثم نتبع من لم يُرسَل الينا مع تسلُّكهِ فيما اتى بهِ بقولهِ في هذا الكتاب : «وانَّا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين (سورة سبأ ٢٣)». مع الامر لهُ في فاتحة الكتاب بان يسأل « الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين انعمتَ عليهم غيرِ المغضوب عليهم ولا الضالين » . فالذين أُنعم عليهم نحن النصارى والمغضوب عليهم اليهود والضالُّون عبَّاد الاصنام والصراط الطريق الى المذهب . ولاننا نعلم ان الله عدل وليس من عدلهِ ان يطالب يوم القيامة امَّةً من الامم باتباع رسول لم يرسلهُ اليهم ولا وقفوا على كتابهِ بلسانهم لا من جهتهِ ولا من جهة داعٍ من قبلهِ فلهذا لم نتبع هذا الرسول وما اهملنا ما في ايدينا

قلتُ : فانهم ينكرون علينا قولنا اباً وابناً وروحَ قدس . قالوا : لو علموا ان قولنا هذا انما نريد بهِ تصحيح القول ان الله تعالى شيء حيٌّ ناطق لما أنكروا ذلك علينا لاننا معشر النصارى لمّا رأينا حدوث الاشياء علمنا ان شيئاً غيرها أحدثها اذ لا يمكن حدوثها من ذاتها لما فيها من التضادّ فقلنا «انهُ شيء» لا كالاشياء المخلوقة اذ هو خالق كل شيء وذلك لننفي العدم عنهُ . ورأينا الاشياء تنقسم قسمين شيء حيّ وشيء غير حيّ فوصفناهُ باجلّ القسمين فقلنا « انهُ حيّ» لننفي الميتوتة عنهُ ورأينا الحي ينقسم الى قسمين حيّ ناطق وحيّ غير ناطق فوصفناه باجلّ القسمين فقلنا « انهُ ناطق » لننفي الجهل عنهُ . والثلثة الاسماء هي الاله الواحد الذي لم يزل ولا يزال شيئاً حيًّا ناطقاً . فالذات هو عندنا الاب . والابن هو النطق . والحيوة هو الروح القدس .

وقد جاء في الكتاب : «الله لا اله الّا هو الحيّ القيوم (سورة البقرة ٢٥٦)» . وهذه الاسماء لم نسمهِ نحن النصارى بها من ذوات انفسنا بل الله تعالى أسمى لاهوتهُ بها وذلك كقولهِ على لسان موسى النبي مخاطباً لبني اسرائيل : «اليس هذا الاب الذي صنعك وبرأك واقتناك » (تثنية ٣٢ : ٦) . وايضاً على لسان موسى النبي : « وكان يرفُّ روح الله على الماء (تكوين ١ : ٢) » . وكقولهِ على لسان داود النبي : « بكلمة الله تشددت السماوات وبروح فيهِ كل قواتها (مزمور ٣٢ : ٣) » . وكقولهِ على لسان داود النبي : «روحك القدوس لا تنزعهُ مني (مزمور ٥٠ : ١٣)» . وكقولهُ على لسان ايوب الصديق : «روح الله خلقني وهو يعلمني (ايوب ٣٣ : ٤)» . وقولهِ على لسان اشعيا النبي : «ييبس القتاد ويجفّ العشب وكلمة الله باقية الى الابد (اشعيا ٤٠ : ٨)» . وقول السيد المسيح في انجيلهِ المقدس لتلاميذه الاطهار : « اذهبوا الى سائر الامم وعمدوهم بسم الاب والابن والروح القدس وعلّموهم حفظ جميع ما اوصيتكم بهِ (متى ٢٨ : ١٩) » . وقد قال في هذا الكتاب : «هو الذي يحيي ويميت واذا قضى امرًا انما يقول لهُ : كن فيكون (سورة المؤمن ٧٠) » . وقال : « ولقد سبقت كلمتنا الى عبادنا المرسلين (سورة ص ١٧١) » . ثم ايضاً : «واذ قال الله : يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتُك بروح القدس (سورة المائدة ١٠٩) » . وايضاً : «وكلم الله موسى تكليماً (سورة النساء ١٣٢)» . وايضاً : « ومريم ابنة عمران

التي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وصدَّقتْ بكلمات ربّها وكتبهِ وكانت من القانتين (سورة التحريم ١٢) ». وسائر المسلمين يقولون: «ان الكتاب كلام الله ولا يكون كلام الَّا لحيّ ناطق وهذه صفات جوهرية تجري مجرى اسم وكل صفة منها غير الاخرى والاله واحد لا يتبعَّض ولا يتجزأ وقد قال في اول الكتاب: « بسم الله الرحمن الرحيم ». فاختصر(١ على ثلث صفات دون غيرها التي هي عندنا الاب والابن والروح القدس ونعني بها شيئاً حيّاً ناطقاً لانهُ لا يكون شيء من سائر الصفات الّا وفي التي يوصف (٢ بها الّا لحيّ ناطق (كذا) وقد جاء في هذا الكتاب « : قُل ادعُوا الله او ادعوا الرحمن ايّاً ما تدعوا فلهُ الاسماء الحسنى » (سورة الأسرى ١١٠)

فامَّا قولنا المسيح ابن الله المولود منهُ بلا حدَث قبل الدهور فنريد بهِ انهُ لم يزل ابناً اي نُطقاً ولم يزل الآب اباً اي ناطقاً الذي لمّا كان اخر الزمان يعني زمان الكفر والطغيان ارسل الله كلمتهُ اي نطقهُ من غير مفارَقة الاب الوالد لهُ ولا مباينة منهُ كما يُرسل ضوء الشمس على الارض من غير مفارقة القرص الوالد له وكما تُرسل كلمة الانسان الى من يسمعها من غير مفارقة الوالد لها فتجسَّم انساناً كاملًا من الروح القدس ومن السيدة مريم العذراء ووُلد منها بالطبيعة البشرية لا بالطبيعة الالهية اذ الطبيعة الالهية غير داخل عليها عَرَض وولدَتهُ من غير فساد دخل على عُذرتها كما حبلت من غير مباضعة رجل بل حفظ عُذرتها كما حفظ العلّيقة التي رآها موسى النبي تتّقد ولم تحترق. فهذا ينفي عنّا التُهم اننا اذا قلنا المسيح ابن الله فاننا « لا نريد بنوّة بشرية او ان الاب قبل الابن او ان لهُ ولدًا من صاحبةٍ » وان كان قد نفى عنّا ذلك في هذا الكتاب بقوله: « بديع السماوات والارض انىَّ يكون لهُ ولد ولم تكن لهُ صاحبة (سورة الانعام ١٠١) ». وثبَّت الابن الذي يقول انهُ النطق فقال: « لا أُقسِم بهذا البلد وانت حلٌّ بهذا البلد ووالدٍ وما ولد (سورة البلد ١—٢) ». فامَّا تجسُّم كلمة الله انساناً تامّاً فلأنهُ لم يخاطب الباري، تعالى احدًا من الانبياء الّا من وراء حجاب حسبما جاء في الكتاب: « ومـا كان لبشر ان يكلمُ الله الّا وَحياً من وراء حجاب (سورة الشورى ٤٢) ». واذا كانت اللطائف لا تظهر الّا في الكثائف أفكلمةُ الله

١) ويروى: فاستحضر
٢) ويروى: يصف

تعالى التي خلقت اللطائف تظهر في غير كثيف ؟ كلاً وكذلك ظهر في عيسى ابن مريم اذ الانسان اجلُّ ما خلقهُ الله ولهذا خاطب الخلق الذي شاهدهُ منهُ كما خاطب موسى النبي من العوسجة ففعل المعجز بلاهوتهِ واظهر العَجْز بناسوتهِ والفعلان فللسيد المسيح الواحد كما انهُ يقال : زيدٌ باقٍ غير ميت ولا مضمحلٍّ بنفسهِ وزيد داثر ميتٌ[1] مضمحلٌّ بجسده . والقولان مطَّردان على زيد الواحد . وعلى هذا القياس نقول ان المسيح صُلب يعني انهُ صلب بناسوته وانهُ لم يُصلب بلاهوتهِ وقد جاء في الكتاب : « ولا صلبوهُ ولكن شُبِّه لهم (سورة النساء ١٥٣) » . وقد نرى الحدَّاد يأخذ قطعة من حديد فيحميها حتى تصير نارًا ويطرقها ويقطعها والنار متَّحدة بها والشجُّ والقطعُ داخلان على طبيعة الحديـــد والنار بريئة من ذلك بل تفعل ما في طبيعتها وهو الإحراق والضياء اماَّ القطعة فواحدة جامعة الطبيعتين . وعلى هذا المعنى كانت طبيعتا المسيح المتَّحدتان في شخصهِ الواحد . وقد جاء في الكتاب ما يوافق رأينا وذلك انهُ سمَّى المسيح روحهُ وكلمتهُ واسماه عيسى ابن مريم بقولهِ : « وانما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمتهُ القاها الى مريم وروح منهُ (سورة النساء ١٦٠) » . وقال في موضع آخر من الكتاب : « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيهِ يمترون (سورة مريم ٣٥) . فوحَّده بهذا القول . فاما ما تقدَّم بهِ القول الذي قال الله على لسان موسى مخاطباً لبني اسرائيل : « اليس هذا الاب الذي خلقك وبرأك واقتناك » . وقولهُ على لسان داود النبي : « وروحك القدوس لا تنزعهُ مني » . وايضاً : « وبكلمة الرب تشدَّدت السماوات وبروح فيهِ كلُّ قوَّاتها » . فليس يدلُّ على ثلثة خالقين بل خالق واحد الاب وروحهُ اي حياتهُ وكلمتهُ اي نطقهُ كما يقال : الخيَّاط خيَّط الثوب ويدُ الخيَّاط خيَّطت الثوب والنجَّار عمل الكرسي ويَدُ النجَّار عملت الكرسي وما يجري هذا المجرى[1] . فليس الخيَّاط ويده خيَّاطين ولا النجَّار ويده نجَّارَين بل الخيَّاط ويدُه واحدٌ والنجَّار ويدُه واحدٌ . كذلك قولنا الاب وكلمتهُ وروحهُ اله واحد وهذا الذي نزيد بهِ اباً وابناً وروحاً قدساً . وعلمنا انهُ لا تلزمنا اذا قلنا هذا عبادةُ ثلاثة الهة كما لا يلزمنا اذا قلنا عقل الانسان ونطق الانسان وروح الانسان ثلثةُ اناس ولا اذا قلنا لهيب النار وضوء النار وحرارة النار ثلثة نيران ولا

١) ويروى : في هذا المعنى

اذا قلنا قرص الشمس وضوء الشمس وسخونة الشمس ثلثة شموس. واذا كان هذا رأينا في الله تقدَّست اسماؤُه وجلَّت آلاوه فلا لوم علينا ولا ذنب لنا اذ لم نهمل ما اقتبلناه ولم نرفض ما تسلَّمناه وتقلَّدناه ونتَّبع ما سواه ولا سيما اذ لنا مثل هذه الشهادات البيّنات والدلائل الواضحات من الكتاب الذي اتى بهِ هذا الرسول

قلتُ: فان المسلمين اذا احتججنا بما في كتابهم يقولون اذا كنتم تحتجّون ببعضه فيلزمكم قبولهُ كلهُ. قالوا: ليس الامر على هذه الصورة لانهُ اذا كان لانسان على انسان كتابٌ بدين مئة دينار وقد ذُكر في الكتاب انهُ قد وفى فاظهر صاحب الدين الكتاب وطالب المديون بالمئة دينار أيجوز اذا احتجَّ المديون بما في الكتاب من انهُ قد وفى ان يقول لهُ صاحب الدين كما تقبل هذا اقبل المائة دينار وأدّنيها؟ كلَّا: بل يدفع عنهُ المئة دينار التي في الكتاب بما في الكتاب ايضاً من انهُ قد وفى وكذلك اي شيء قيل عنَّا واحتُجَّ بهِ علينا من هذا الكتاب دفعناهُ من هذا الكتاب بما نجده فيهِ من الحجج لنا ولهذا قيل: ان اعظم الحجج حجَجُنا بما وجدناه في هذا الكتاب الذي اتى بهِ هذا الرسول الشاهد لنا « بان الله جعلنا فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » باتباعنا السيد المسيح روح الله وكلمتهُ وانَّنا « اقرب مودَّة للذين آمنوا وانهُ جعل في قلوبنا رحمة ورأفة » مع تعظيمهِ انجيلنا وكتبنا وصوامعنا وبيَعنا وان لا تميز لغيرنا عنَّا وغير هذا ما لم يقبلهُ فينا الَّا لفضلنا وجميل فعلنا. فكيف يجوز لنا او يحسن بنا ان نترك ما في ايدينا ومعنا المائدةُ التي أنزلها الله علينا وجعلها عيداً لاوَّلنا وآخرنا وآيةً منهُ مع توعُّدهِ ايَّانا باننا ان كفرنا يعذبنا عذاباً لا يعذبهُ احداً من العالمين ونتبع من لم يأتِ الينا بل الى غيرنا بل حسبما يوضحهُ الكتاب وتوجبهُ دلائل (١ العقل الذي هو مثل المحكّ والمقياس (٢

قلتُ: فانهم يقولون اذا كان اعتقادهم (٣ في الباريء تعالى انهُ واحد فما حملكم على ان تسموه ثلثة اقانيم وان تسموا بعضها اباً وبعضها ابناً وبعضها روحاً وتُوهمون السامعين انكم تعتقدون ان الله ثلاثة اشخاص مركَّبة او ثلثة آلهة اوثلثة اجزاء وان لهُ ابناً ويُظنّ من لا يعرف اعتقادكم انكم تريدون بذلك ابن المباضعة

١) ويروى: يوجبهُ دليل
٢) ويروى: والمعيار
٣) ويروى: اذ انَّ اعتقادكم

والتناسل فتُطرقون على انفسكم تهمةً انتم منها بريئون. قالوا : وهم ايضاً لمّا كان اعتقادهم في البارئ جلّت قدرتهُ انهُ غير ذي جسم وغير ذي جوانح واعضاء وغير محصور في مكان فماذا حملهم على ان يقولوا ان لهُ عينين يبصر بهما ويدَين يبسطها وساقاً يكشفها ووجهاً يولّيهِ الى كل الجهات وجنباً وانهُ يأتي في ظلّ الغمام ويوهمون السامعين ان الله تعالى جسمٌ ذو اعضاء وجوارح وانهُ ينتقل من مكان الى مكان في ظل الغمام فيظنّ من يسمع ولا يعرف اعتقادهم انهم يجسّمون البارئ تعالى حتى ان قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوهُ مذهباً ومن لا يتحقق اعتقادهم يُتهمهم بما هم منهُ بريئون . قلت : فانهم يقولون ان العلّة في قولنا ان الله لهُ عينان ويدان ووجه وساق وجنب وانهُ ياتي في ظل الغمام هي ان القرآن نطق بهِ والمراد بذلك غير ظاهر اللفظ وكلّ من يحمل ذلك على ظاهرهِ ويعتقد ان لهُ عينين ويدين ووجهاً وجنباً وساقاً وهي جوارح واعضاء وانّ ذاتهُ تنتقل من مكان الى مكان وغير ذلك مما يقتضي التجسُّم والتشبيه فنحن نلعنهُ ونكفّرهُ فاذا كفَّرنا من يعتقد ذلك وما جانسهُ فليس لمخالفنا ان يلزمنا بعد ان لا نعتقدهُ . قالوا : فكذلك العلّة في قولنا ان الله ثلثة اقانيم آب وابن وروح قدس هي ان الانجيل نطق بذلك فالمراد بالاقانيم غير الاشخاص المركبة والاجزاء والابعاض وغير ذلك مما يقتضي الشرك والتكثير وبالآب والابن غير ابوة وبنوة نكاح وتناسل وجماع ومباضعة وكل من يعتقد ان الثلثة الاقانيم هي ثلثة آلهة مختلفة او متفقة او ثلاثة أجسام مؤلفة او ثلاثة اجزاء متفرقة او ثلاثة اشخاص مركَّبة او أعراض او قوى او غير ذلك مما يقتضي الإشراك والتبعيض والتشبيه او ان المراد بذكر الاب والابن ابوةٌ وبنوّةُ نكاح وتناسل او مباضَعة او جماع او ولادة من زوجة او من بعض الاجسام او من بعض الملائكة او من بعض المخلوقين فنحن نلعنهُ ونحرمهُ ونكفر بهِ واذا كفرنا بمن يعتقد ذلك وما جانسهُ مما يؤدي الى الشرك والتشبيه فليس لمخالفنا ان يلزمنا بعد ان لا نعتقدهُ . فان ألزمونا الشرك والتشبيه لاجل قولنا ان الله تعالى جوهر واحد وثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس لان ظاهر ذلك يقتضي التكثير والتشبيه الزمناهم التجسُّم والتشبيه لقولهم ان الله لهُ عينان ويدان ووجه وساق وجنب وانهُ استوى على العرش بعد ان لم يكن عليهِ وغير هذا مما يقتضي ظاهر لفظهِ التجسُّم والتشبيه

قلت : فانهم ينكرون علينا قولنا ان الله تعالى جوهر . قالوا : اننا نسمع عن هولاء القوم انهم ذوو فضل وادب ومعرفة ومَن هذه صورتُهُ وقد قرأ كتب الفلاسفة ومَن عَلِم المنطق فما ينكر هذا اذ ليس في الوجود شيءٌ الّا وهو امّا جوهر واماً عرَض لانَّ ايّ امر نظرنا فيهِ وجدناه اماً قائماً بنفسهِ غير مفتقرٍ في وجودهِ الى غيرهِ وهو الجوهر واما مفتقراً في وجوده الى غيرهِ لا قوام لهُ بنفسهِ وهو العرَض ولا يمكن ان يكون لهذين القسمين قسم ثالث فاشرفُهما القائم بذاتهِ الغير المفتقر في وجودهِ الى غيرهِ وهو الجوهر . ولمّا كان الباريءُ تقدَّست اسماؤه اشرف الموجودات اذ هو سبب سائرها وجب ان يكون اشرف الامور . واشرفُها الجوهر ولهذا قلنا انهُ جوهر لا كالجواهر المخلوقة كما نقول« انهُ شيء »لا كالاشياء المخلوقة ايضاً والّا لزم(١ ان يكون قوامهُ بغيرهِ ومفتقراً في وجوده الى غيرهِ وهذا قبيح(٢ ان يقال عن الباريءُ تعالى

قلت : فانهم يقولون لنا اننا نمتنع عن ان نسميهُ جوهراً لان الجوهر ما قبلَ عرضاً وشغل حَيزاً ولهذا ما نطلق (٣ عليهِ القول بانهُ تعالى جوهر . قالوا : ان الذي يقبل عرَضاً ويشغل حيزاً الجوهر الكثيف فاما الجوهر اللطيف فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيزاً مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطائف . واذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تقبل عرضاً ولا تشغل حيزاً أفيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركِّب اللطائف منَ الكثائف يقبل عرضاً او يشغل حيزاً ؟ كلّا

ثم قالوا : اننا نعجب من هولاء القوم الذين مع أدبهم وما يأخذون بهِ انفسهم من الفضل كيف لم يعلموا ان الشرائع شريعتان شريعة عدل وشريعة فضل لانهُ لمّا كان الباريءُ تعالى عدلاً جواداً (٤ وجب ان يظهر عدلهُ على خليقته فأرسل موسى النبي الى بني اسرائيل يوضح شريعتهُ العدل وامرهم بفعلها الى ان استقرَّت في نفوسهم . ولما كان الكمال الذي هو الفضل لا يمكن ان يصنع(٥ الّا اكملَ الكمال

١) ويروى : فلزم
٢) ويروى : من قبيح
٣) يروى : نطلق
٤) ويروى : وجوداً
٥) ويروى : يصنعهُ

وجب ان يكون هو تقدَّست اسماؤه وجلّت آلاوه الذي يصنعهُ لأنهُ ليس شيء اكمل منهُ . ولانهُ جواد وجب ان يجود باجلّ الموجودات وليس في الموجودات اجود من كلمتهِ يعني نطقهُ ولذلك وجب ان يجود بكلمتهِ حتى يكون اجود الاجواد وقد جاد باجود الموجودات . فعلى هذا وجب ان يتخذ ذاتاً محسوسة يظهر منها قدرتهُ وجوده . ولمّا لم يكن في المخلوقات منهُ اشرف من الانسان اتخذ الطبيعة البشرية من السيدة مُرْتمريم الطاهرة المصطفاة على نساء العالمين . وبعد هذا الكمال ما يبقى شيءٌ يوضع لان جميع ما تقدَّم يقتضيهِ وما يأتي بعده غير محتاج اليهِ لأنهُ لبس شيءٌ ياتي بعد الكمال فيكون فاضلاً بل دون الآخذ منهُ فهو فضل لا يُحتاج اليه . وفي هذا القول ما هو مقنع والسلام على من اتَّبع الهدى

وهذا ما عرفتهُ من القوم الذين رأيتهم وفاوضتهم وما يحتجُّون بهِ عن انفسهم فان يكن ما ذكروه صحيحاً فلله الحمد والمنّة اذ وفّق الاراء والاقوال وازال المِرْية من بين عبيده النصارى والمسلمين حرسهم الله اجمعين. وان كان بخلاف ذلك فليبينهُ لي الاخ المكرم والصديق المعظم اطال الله بقاءهُ وادام حراستهُ وفسح في مدّتهِ لأُوقفهم عليهِ وانظر ما عندهم فيهِ فقد سألوني ذلك وجعلوني سفيرًا . صحَّ وتمَّ والحمد لله تعالى وحده

وجاء في آخر نسخة مكتبتنا الشرقية ما حرفهُ :

وقد كان الفراغ منهُ بعون الله الكريم الواهب بيد القس رافائيل انطون زخور راهب ومعلم اللغة العربية بمدينة باريس المحمية وذلك يوم السبت الواقع في ١١ من شهر تموز سنة ١٨٠٧ مسيحية



الفرق النصرانيَّة

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

الموحد جوده المثلَّث اقانيمهُ

لبولس الراهب اسقف صيداء الانطاكي [١]

قول يدلّ على الفرق المتعارفة من النصارى في هذا الزمان

ونوضح رأي كل فرقةٍ منهم ونبّين الخلف بينهم والردّ على معتقدي الخطإ منهم [٢]

امَّا بعد فاني لمَّا تأملت الخلف الذي بين النصارى رأَيت ان اشرح ما تراهُ كلُّ فرقة منهم واوضح الخلف بينهم والردّ على المخالفين منهم بشرح مختصر ليسهل على من ينظر فيهِ واقول مستمدًّا العون والتوفيق من الله تعالى :

ان فرق النصارى المتعارفة في وقتنا هذا اربع فرق . وذلك ملكيَّة ونسطوريَّة ويعاقبة وموارنة . وهذه الاربع الفرق فلا خلف بينها في ان الله تعالى واحد بالذات مثلَّث بالصفات التي يسمُّونها اقانيم . وهي الآب والابن والروح القدس وان الله تعالى في آخر الزمان ارسل كلمتهُ يعنون نطقهُ الذي هو ابنهُ المولود منهُ قبل كل الدهور من غير انفصالٍ منهُ ولا تجزؤ كما يرسل الانسان كلمتهُ الى من يسمعها من غير انفصال من العقل الوالد لها وكما يرسل قرص الشمس للضوء المولود منهُ على الارض من غير انفصال بين القرص الوالد للضوء . فتجسَّد من الروح القدس ومن السيدة مُرتمريم العذراء بلا مباضعة رجل بل ببشارة ملاك الله لها . وولد منها بلا فساد دخل على عذرتها لانهُ حفظ العذرة [٣] كما حفظ العلَّيقة التي رآها موسى النبي تتَّقد ولا تحترق وليس يختلفون

---

١) اعلم انَّ هذه المقالة نُشرت في المشرق في اواسط السنة السابعة لهذه المجلَّة . وكان حينئذٍ حضرة الخوري كيرلُّس الاورشليمي ساعيًا في نشرها على حدةٍ فظهرت بعد مدَّة في الاسكندريَّة عند ايلياس افندي زيَّات في ١٢ صفحة وقد وقعت في تلك الطبعة بعض اغلاط يمكن اصلاحها بالمقابلة مع طبعتنا ٢) وفي نسخة : ونجاوب عن ذلك ٣) ويروى : العذراء

الّا في السيد المسيح المولود من السيدة مُرتمريم . وجميعهم متمسكون بالامانة البهيَّة التي وضعها الآباء القديسون الثلثمائة والثمانية عشر في المجمع الاوَّل بمدينة نيقية الذي اجتمع في ايَّام قسطنطين الملك الكبير ابن هيلانة الملكة على آريوس المُلحد . واذ قد ذكرتُ الامانة فيجب ان اشرحها لتكون دليلًا يُستدلُّ منها على ايّ الفرق متعلقة بالرأي القويم والاعتقاد المستقيم وهي :

أومن باله واحد . ابٍ ضابط الكل . خالق السماء والارض . ما يُرى وما لا يُرى . وبربٍ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد . المولود من الآب قبل كل الدهور . نور من نور . اله حقّ من اله حق . مولود غير مصنوع . مساوٍ للآب في الجوهر . الذي به خلق كلًّا . الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء . وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء . وتأنس وصُلب عنَّا على عهد بيلاطوس البنطي . وتألم ودُفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب . وصعد الى السماوات . وجلس عن يمين الاب . وايضاً يأتي بمجده ليدين الاحياء والاموات . الذي ليس لملكه نهاية . وبالروح القدس الرب المحيي الذي من الآب ينبثق . الذي مع الآب والابن . يُسجد له ويُمجَّد . الناطق بالانبياء . وفي كنيسة واحدة جامعة رسوليَّة . واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وارجّى قيامة الموتى وحياة الدهر الموتنف امين

واذ شرحتُ الامانة التي لا خلف فيها بين هذه الاربع الفرق التي في زماننا هذا [ابيّن اختلافها] في شيءٍ منها فاوضح [اوَّلًا] ما تعتقدهُ الملكيَّة فاقول :

ان الملكيَّة يعتقدون ان السيد المسيح المولود من السيدة مُرتمريم قنوم واحد الهي وهو المولود من الآب قبل كل الدهور . وانهُ طبيعتان طبيعة الهيَّة وطبيعة بشريَّة . وفعلان فعل الهي وفعل بشري . ومشيئتان مشيئة الهيَّة ومشيئة بشريَّة . وان السيدة مرتمريم والدة الإله بقولهم اقنوم واحد الهي

واماَّ النسطوريَّة فيعتقدون انهُ قنومــان قنوم الهي وقنوم بشري . وطبيعتان طبيعة الهيَّة وطبيعة بشريَّة . وفعل واحد ومشيئة واحدة الهيّــة وان مُرتمريم ليست والدة الاله بل والدة المسيح

واماَّ اليعاقبة فيعتقدون انهُ قنوم واحد الهي وطبيعة واحدة الهيّــة وفعل واحد الهي ومشيئة واحدة الهيَّة

امَّا الموارنة فيعتقدون انـهُ قنوم واحد الهي وطبيعتان طبيعة الهيَّة وطبيعة بشريَّة وفعل واحد الهي ومشيئة واحدة الهيَّة (١

فامَّا احتجاج الملكيَّة الذي انا الحقير احدهم عن قولهم قنوماً واحدًا وطبيعتين ومشيئتين فقالوا انَّا لمَّا رأينا السيد المسيح محبولًا بهِ مولودًا مختوناً لثمانية ايَّام ذا جسم يُحَدُّ بالطول والعرض والعمق قـابلًا للزيادة والنموّ يلزمهُ حدّ الانسان الذي هو حي ناطق ميّت. معمَّدًا من يوحنَّا المعمدان يأكل ويشرب. قابلًا للاعراض مصاوباً متألماً مدفوناً علمنا ان هذه الافعال افعالٌ بشريَّة لازمة لطبيعةٍ بشريَّة. لان الطبيعة الالهيَّة تعلو عن جميع ما ذكرنا فاعتقدنا فعلًا بشرياً لطبيعةٍ بشريَّة. ثم لما رأيناهُ محبولًا بهِ من غير مباضعة رجل ومولودًا من غير فساد عذرة الوالدة الطاهرة مسجودًا لهُ من ملوك فارس هابطاً عليهِ في العماد الروح القدس مقولًا عنهُ من الآب (متى ٣: ١٧): « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت لهُ فاسمعوا ». محوّلًا للماء في العرس بقـانا الجليل شراباً. محيياً للاموات منهضاً للمخلَّعين منقيّاً للبرص مكثّرًا للقليل غفّارًا للخطايا فاتحًا لاعين العميان عالماً بما تحويهِ الصدور مشفياً لامراض لا شفاء لها مظلماً للشمس وهو على الصليب هاتكاً لستر الهيكل منهضاً لقوم ممَّن في القبور ناهضاً من الاموات لثلثة ايَّام صاعدًا الى السموات على الغمام جالساً عن يمين الآب باعثاً للروح القدس الى التلاميذ في عِلّيَّة صهيون كموعده لهم. ورأينا هذه الافعال بامرٍ منهُ لا بطلبة (٢ ولا بسؤال مثل الانبياء الذين كانوا اذا رُبَّمَا أُجيبوا الى ما لا يطلبونهُ (٣ وربَّما لم يُجابوا (٤ علمنا انها افعال الهيَّة للاله فاعتقدنا فعلًا الهيّاً لطبيعة الهيَة. لأن هذه الافعال تجلّ عن الطبيعة البشريَّة

وعلمنا انّنا ان قلنا انهُ طبيعة اله وليس طبيعة انسان كان ذلك مخالفاً لما في الامانة البهيَّة من انهُ نزل من السماء وتجسَّد من الروح القدس ومن مرتمريم العذراء وتأنس. ثم نكون قد اطلقنا على طبيعة اللاهوت ما لا يجوز ان يتفوَّه بهِ من هو ذو لبّ وعقل.

١) ينكر الموارنة انهم قـالوا مشيئة واحدة وفعلًا واحدًا في السيّد المسيح امَّا المطران يوسف دريان فانهُ يسلّم بهِ ويؤوّلهُ في كتابه لباب البراهين الجليَّة بقولهِ انّ الموارنة بقولهم مشيئة واحدة في المسيح ارادوا نفي المضادّة بين مشيئتيهِ

٢) ويروى: بطلبهِ ٣) ويروى: يسألونهُ ٤) ويروى: لا يُجابون

وان قلنا انهُ طبيعة بشريَّة وليس طبيعة اله فنكون قد خالفنا ايضاً في الامانة من انهُ ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور . فنظرنا في الانجيل المقدَّس فوجدنا متى الانجيلي (١ : ١—١٧) ولوقا (٣ : ٢٣—٣٢) ينسبان للسيد المسيح نسبة بشرية ووجدنا مرقص الانجيلي (١ : ١) ويوحنَّا المتكلّم في اللاهوت (١ : ١—١٤) ينسبان لهُ نسبةً الهيَّة ووجدنا السيد المسيح يقول عن ذاتهِ في مواضع عدَّة (متى ٨ : ٢٠ و٩ : ٦ الخ) : « انهُ ابن البشر » . وفي غيرها يقول (يوحنا ٨ : ٣٠ و١٤ : ٩—١٠) : « انا والآب واحد . من رآني فقد رأى الآب وانا في الآب والآب فيَّ » . فلمَّا قالت لهُ اليهود « انك انسان وتجعل ذاتك الهاً » . فقال لهم (يو ١٠ : ٣٧) : « ان لم افعل افعال ابي فلا تؤمنوا بي » . ولمَّا قال لهُ بطرس : انت هو المسيح ابن الله لم ينكر عليهِ ذلك بل مدحهُ وقال انهُ اعلان من الآب (متى ١٦ : ١٦ —١٧) . فلمَّا رأينا امرين ظاهرين من شخص واحد وذكر مولدين مولد الهي ومولد بشري من الانجيل المقدَّس ومن الامانة البهيَّة فنظرنا في الاتحاد فوجدناهُ يقال على ثلثة انحاء (١ : منها اتحاد ظهوري وهو اتحاد النار بالحديد . ومنها اتحاد مجاوَرة كالزيت والماء في القنديل . ومنها اتحاد ممازجة كالخلّ والعسل . فنظرنا في هذه الاتحادات فوجدنا الاتحاد الظهوري اقرب الى ما نحن عنهُ فاحصون لأنَّ النار اذا ما هي اتحدت بالحديد كانت القطعة واحدة جامعة لطبيعتين . وكل طبيعة منها قائمة بذاتها من غير فساد يدخل على الطبيعة الواحدة من الاخرى والقطعة واحدة وليست اثنتين وهي من حيث النار تحرق وتضيء ومن حيث الحديد تقبل الشجّ والقطع والطيّ من غير وَصَب يدخل على طبيعة النار اللطيفة ممَّا يدخل على طبيعة الحديد الكثيفة . فعلمنا ان اتحاد طبيعتي السيد المسيح في قنومه الواحد مُشاكل لاتحاد طبيعة النار اللطيفة وطبيعة الحديد الكثيفة في قنوم القطعة الواحدة الجامعة لطبيعتين وفعلين مختلفين . وانهُ من حيث هو اله فعل المُعجز ومن حيث هو انسان أظهر العجز والفعلان للسيد المسيح الواحد الذي من حيث هو ابن الله اي نطقهُ المولود منهُ قبل كل الدهور هو اله قديم ازلي خالق ومن حيث تجسَّد من مريم العذراء وتأنس وتألم هو انسان زمني مخلوق فتمسكنا بالاتحاد الظهوري الذي هو كالنار والحديد

(١ ويروى : وجوه

ولمّا صحّ لنا الاحتجاج على الطبيعتين والفعلين من وجوه لا يمكن دفعها وذلك من الانجيل المقدَّس ومن الامانة التي لا يختلف فيها احد من سائر النصارى اجمعين ومن العقل (١ الذي هو كالمحكّ والمعيار رأينا ان نوضح ايضاً على القنوم الواحد احتجاجاً بيّناً من الانجيل المقدَّس كايضاحنا قنوم قطعة الحديد الجامعة طبيعتين من المشاهدة فنقول :

ان السيد المسيح يقول في الانجيل المقدَّس لتلاميذه الاطهار (متى ٢٧ : ١٩) : « اذهبوا الى سائر الامم وعمّدوهم بسم الاب والابن والروح القدس » . فعلمنا انّا ان قلنا انّ السيد المسيح قنومان لكل طبيعة قنوم كقول النسطوريّة لم يصحّ لنا قول السيد المسيح في الانجيل المقدَّس للتلاميذ اذ تصير الثلاثة الاقانيم المأمور بالتعمّد(٢ بها اربعة . وذلك قنوم الاب وقنوما السيد المسيح وقنوم الروح القدس . وان تمسَّكنا باحد قنومي السيد المسيح اللذين يذكرهما النسطوريّ ورفضنا الآخر مثلهم فنكون قد جزّأناهُ وقسمناهُ وصار تعمّدنا وايماننا بنصف المسيح لا بكماله . وهذا الكفر الذي نعوذ بالله منهُ . فمن هاهنا صحّ عندنا السيد المسيح قنوم واحد وطبيعتان وفعلان .

فان قال النسطوري : اذا كانت الملكيَّة تقول ان المسيح قنوم واحد وهو قنوم الابن الازلي فالشخص المرئي الذي اكل وشرب ودخلت عليهِ الاعراض وقبل الحدود والزيادة والنموّ لم يكن لهُ قنوم . قلنا ان الابن الازلي لم يأخذ من السيدة مرتمريم قنوماً بل طبيعة بشريّة وصار قنومهُ قنوماً لها لتكون الطبيعتان الالهيَّة والبشريّة قد اتحدتا في قنوم واحد وهو قنوم الابن الازلي(٣ . لانهُ لو كان اتخذ قنوماً بشريّاً لمّا كان الاتحاد وقت البشارة وكان يكون اثنين ومسيحين وشخصين

فامّا المشيئتان فردُّ الاحتجاج عليهما في الردّ على الموارنة . وهذا رأي الملكيّة في الاتحاد فامّا النسطورُ فلزموا اتّحاد المجاورَة وهو الزيت والماء في القنديل . لانهم قالوا انّ السَيد المسيح قنومان قنوم الهي وقنوم بشري وطبيعتان طبيعة الهيَّة وطبيعة بشريّة وفعل واحد الهي ومشيئة واحدة بشريّة . وهذا القول يوجب ابنين اثنين وشخصين

---

١) ويروى : ومن الفعل

٢) ويروى : المأمور بالتعميد بها

٣) وفي الطبعة الاسكندرية (ص ٩) : وهو قنوم الآب الازلي وهو غلط ظاهر

ومسيحين . ويتَّضح فسادهُ من قول السيد المسيح للتلاميذ الاطهار : «وعمّدهم باسم الاب والابن والروح القدس » . ثم من قول الرسول بولس الذي ذكرهُ في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٤ : ٤) وهو : « لمَّا اتى كمال الزمان ارسل الله ابنهُ مولودًا من امرأة صائرًا تحتَ الناموس . ليشتري الذين تحت الناموس » . وهذا يدلُّ على ان الابن هو ابن الله المولود من السيدة مرتمريم بالطبيعة البشريَّة التي بها صار تحت الناموس لا بالطبيعة الالهيَّة اذ طبيعة اللاهوت لا توصف بولادة ولا بختان ولا بمصير تحت الناموس ولا بشيءٍ من امور البشريَّة ويتَّضح ذلك من الامانة ايضاً التي يقول فيها الآباء القديسون : « وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسَّد من الروح القدس من مرتمريم العذراء وتانس وصلب على عهد بلاطس البنطي وتألم ودُفن» فعلمنا ان قول النسطوريَّة بقنومين مخالفٌ لِما قالهُ الرسول بولس ولِمَا قالتهُ الاباء القديسون في الامانة البهيَّة اللذان يدلَّان على ان ابن الله المولود من الاب قبل كل الدهور هو المولود من السيدة مرتمريم لمَّا اتى كمال الزمان الذي ذكرهُ بولس الرسول . وهو المتألم المصلوب المدفون بالطبيعة البشريَّة لا بالطبيعة الالهيَّة . ومن هاهنا قلنا ان السيدة مرتمريم والدة الاله بالطبيعة البشريَّة لا بالطبيعة الالهيَّة

واذ قد اوضحنا فساد رأي النسطور وما يلزمهم من الغلط بقولهم ان السيد المسيح قنومان وان السيدة مرتمريم ليست والدة الله وانهُ ذو فعل واحد الهي ولو كانوا قد اصابوا في قولهم بطبيعتين فنوضح سوء رأي اليعاقبة وما يلزمهم من الغلط بقولهم ان السيد المسيح طبيعة واحدة الهيَّة وفعل واحد الهي ومشيئة واحدة الهيَّة وان كانوا قد اصابوا في قولهم قنوم واحد الهي

ونقول انهم بقولهم طبيعة واحدة الهيَّة يوجبون ان المحبول بهِ المولود المختون الداخل عليهِ الحدود والأعراض ابن الله المولود من الاب الذي بهِ خُلق كلٌ [1] بالطبيعة الالهيَّة اذ ليس يعترفون بطبيعتين طبيعة الهيَّة عالية عن الحدود والاعراض وطبيعة بشريَّة داخل عليها الحدود والاوصاب فهم بهذا الرأي القبيح يوجبون انَّ الههم مات

١) ويروي : خَلَقَ كلًّا

ودُفن وبقي في القبر ثلاثة ايَّام ودخل على الطبيعة الالهيَّة الآلام. فالنسطورُ جزَّأوا المسيح وقسموه واليعاقبة مزجوهُ امتزاجاً فاسداً بقولهم طبيعة واحدة من طبيعتين فجعلوهُ لا الهاً ولا انساناً مثل الخلّ والعسل اللذين اذا امتزجا استحال كلٌّ منهما عن طبيعتهِ فيكون الخلّ غير طبيعة خلّ والعسل غير طبيعة عسل لا تقوم كل واحدة من الطبيعتين بذاتها بل قد صارتا طبيعةً ثالثةً وهي طبيعة السَّكَنجبين (١

فان قالوا: انَّا انَّما نقول تألّم ودخلت عليه الاعراض والحدود بالجسد. قلنا: فاذا كنتم معترفين بجسدٍ فقد لزمكم الاعتراف بطبيعتين طبيعة خالقة وطبيعة مخلوقة. فان كان ذلك يلزمكم القول ضرورةً كما قالتهُ الآباء القديسون في الامانة البهيَّة انهُ تجسَّد وتأنس وهذا يدلُّ على طبيعتين طبيعة اله قديم ازلي الذي هو ابن الله وطبيعة انسان مخلوقة التي بها كانت ولادة الازلي من السيدة مرتمريم وعليها دخلت الاعراض وبها كان الجلوس عن يمين الاب الذي ذكره الآباء القديسون حسب ما جاء في الانجيل المقدس وبها يأتي ليدين الاحياء والاموات. فامَّا الطبيعة الالهيَّة فلم يُفارقها من وقت الاتحاد بها في القنوم عند البشارة وهو الاتحاد الظهوري المتقدّم ذكرهُ لا في أحشاء مرتمريم السيدة ولا في الولادة ولا في الختانة ولا على الصليب ولا في القبر مع الجسم ولا في الجحيم مع النفس ولا في الفردوس مع اللصّ ولا في الجلوس عن يمين الآب اذ الطبيعة الالهيَّة غير متبعّضة ولا متجزئة ولا متألّمة ولا منحصرة بل تملأ الكل بلا انحصار ولا دخول عرض عليها

ونحن نزيد البيان بياناً والايضاح ايضاحاً فنقول انَّ السيد المسيح يقول في الانجيل المقدَّس للتلاميذ الاطهار بعد قيامتهِ المحيية (يوحنا ٢٠ : ١٧): «اني صاعدٌ الى ابي وابيكم والهي والهكم» وهذا القول يوضح بهِ انَّ الآب ابوهُ لانهُ مولود منهُ قبل كل الدهور وابوهم بتفضلهِ عليهم واظهارهم من العدم الى الوجود وبتخليفهِ اياهم حسب ما علَّمهم ان يقولوا اذا صلَّوا (متى ٦ : ٧): «ابانا الذي في السماوات» فهو ابوهم على هذه الصفة لا على الصفة التي هو ابوه عليها. وقولهُ (يو ٢٠ : ١٧): «الهي والهكم» يدلُّ على طبيعة بشريَّة مخلوقة مثل طبيعتهم فهو إلهها والههم وقد اوضح ذلك وهو

١) السكنجبين ويروى: سكنجبيل (oxymel) لفظة فارسيَّة مركَّبة من سك خلّ وانكُبين عسل اي مزيج الخلّ والعسل

على الصليب بقولهِ (متى ٢٧ : ٤٦) : « الهي الهي لماذا اهملتني » وفي هذا مقنع على الطبيعتين الالهيَّة والبشريَّة . فان احتجَّ اليعقوبي بقول يوحنَّا الانجيلي المتكلّم في اللاهوت اذ يقول في الانجيل المقدَّس (١ : ١٤) : « والكلمة صار لحماً وسكن فينا » اجبناه ُ انَّ قول الانجيل المقدَّس « والكلمة صار لحماً وسكن فينا » اراد بهِ انهُ صار لحماً بالقنوم لا بالطبيعة لانهُ لوكان صار لحماً بالطبيعة لكان المولود من السيدة مرتمريم الآب والابن والروح القدس اذ ليس اللاهوت ثلث طبائع تتَّحد الواحدة وتبقى الاثنتان غير متحدتين كالاقانيم وان كان اليعقابة والموارنة يوجبون ذلك بقولهم « قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت الذي صُلب من اجلنا » فيجعلون المصلوب الاب والابن والروح القدس لان الله الاب والقوي الابن والذي لا يموت الروح القدس

واذ قد اوضحنا فساد رأي اليعاقبة فنوضح ايضاً فساد رأي النسطور مع رأي الموارنة في قولهم مشيئة واحدة الهيَّة وفعل واحد الهي وان كان الموارنة قد اصابوا بقولهم قنوماً واحداً بطبيعتين . ونقول اماَّ الفعل الواحد الذي يعتقدونهُ في السيد المسيح ويزعمون انهُ الهي فقد اوضحنا ما يُفسد رأيهم فيهِ . وفي احتجاج الملكيَّة بما يدلّ على فعلين ما فيهِ كفاية لردع النسطور واليعاقبة والموارنة

واماَّ المشيئة التي قد اتَّفق عليها الموارنة والنسطور واليعاقبة وخالفوا الملكيَّة وزعموا انَّ في السيد المسيح مشيئة واحدة الهيَّة فنُجيب عن ذلك قائلين ان السيد المسيح يقول وقت الآلام (لوقا ٢٢ : ٤٢) : « ابتاه ُ ان امكن ان تجوز عني هذه الكاس لكن لا كمشيئتي بل كمشيئتك » فهذا يدلّ على مشيئتين لان اللاهوت لا يجوز ان يُقال انَّ لهُ مشيئتين وهذا ردّ على النسطور ايضاً بقولهم مشيئة واحدة الهيَّة وعلى اليعاقبة ايضاً ان السيد المسيح ذو طبيعةٍ واحدة الهيَّة ومشيئة واحدة الهيَّة لانَّ بقولهِ « لا كمشيئتي بل كمشيئتك » دلَّ على مشيئتين لطبيعتين

واذ قد اتينا على ما قصدنا بيانهُ بتأييد الله وعونهِ المؤتي من العود اليابس ثمرًا ومن الصخرة الصمَّاء ماء نسأل الله الآب والابن والروح القدس ان يكفَّ تظالم الكنيسة المقدَّسة ويُضمّ افتراقها ويجمع شملها ويزيل الانشقاق منها ويثبت المحبَّة الروحانية بين اولادها فانَّ لهُ يليق المجد والاكرام والسبح والوقار من الآن والى دهر الداهرين

رسالة اخرى

لبولس الراهب اسقف صيداء

ضادَّ بها كل امانة اراسيسيَّة ووضَّح بها الحقائق حسب تعليم الآباء وبالله المستعان

قال الله على لسان سليمان الحكيم: «لا تَمِل الى اليمين ولا الى الشمال بل الزم الطريق الوسطى الملوكيَّة» (امثال ٤: ٢٧) . فعلَّمنا بهـذا الكلام الذي هو كلام حكمة الله ان نكون في الامانة والعمل طالبين الطريق الوسطى دائماً ابداً . وذلك انَّا في امانتنا بالثالوث المقدَّس نؤمن انهُ واحد وانهُ ثلثة فمتى ما قلنا انهُ واحد لا ثلثة او ثلثة لا واحد فقد ملنا الى اليمين والى الشمال وخالفنا وصيَّة الله . وذلك انَّ الجهة التي هو فيها واحد غير الجهة التي هو فيها ثلثة لانهُ واحد في الطبيعة وثلثة بالاقانيم فمن مال الى احدى الجهتين دون الاخرى فليس هو في الطريق الوسطى مثل آريوس وسبلّيوس اللذين تركا الطريق الوسطى فضلّا وهلكا

فامَّا آريوس فقال: انهُ ثلث طبائع كما هو ثلثة اقانيم . وسبلّيوس قال: انهُ اقنوم واحد كما هو طبيعة واحدة . وهذان القولان متضادَّان وكلاهما خلاف الحقّ ولذلك نحن نؤمن بالواحد من الثالوث الاقدس الرب يسوع المسيح انهُ من بعد تجسدهِ قنوم واحد بطبيعتين لاهوتيَّة وناسوتيَّة لا ممتزج ولا مفترق . لاننا بقولنا قنوماً واحداً انبأنا انهُ غير مفترق . وبقولنا طبيعتين انبأنا انهُ غير ممتزج وهو واحد في جهة غير الجهة التي هو فيها طبيعتان . فمن قال انهُ واحد في كل جهة فقد مال الى اليمين والى الشمال ولم يسلك الطريق الوسطى الملوكيَّة وضلّ واخطأ مثل ضلالة آريوس وسبلّيوس عن معرفة الثالوث المقدَّس

لانَّ الثالوث كما قدَّمنا القول لهُ جهتان هو في احدى الجهتين واحد وفي الاخرى ثلثة فآريوس الذي قال انهُ في الجهتين ثلثة ضلّ وعبد ثلثة آلهة وسبلّيوس الذي قال انهُ في الجهتين واحد ضلّ وجهل كلمة الله وروحهُ . وكذلك الابن الوحيد المتجسد لهُ جهتان هو في احداهما واحد وفي الاخرى اثنان . فمن قال انهُ واحد او اثنان في الجهتين فقد ضلّ واخطأ مثل نسطور الذي قال انهُ طبيعتان واقنومان ففرق ابن الله الوحيد

وجعلهُ اثنين ابناً حقيقياً طبيعياً وابناً غير حقيقي أُنعم عليهِ بالبنوّة على سبيل الكرامة. ومن قال انهُ واحد في الجهتين فقد ضلَّ واخطأ ايضاً مثل افتيشيوس وديسقورس وساويرس الذين قالوا انهُ اقنوم واحد وطبيعة واحدة فجعلوهُ واحداً في الجهتين واوجبوا عليهِ المزاج والاستحالة والتغيير ضرورةً وبذلك يلزمهم الضلالة والكفر والخطأ كما لزم نسطور لان هؤلاء ونسطور يتضادَّان وكلُّهم يخالف الحقّ مثل آريوس وسبليوس اللذين يتناقضان ايضاً وكلاهما يخالف الحقّ. فمن مال الى قول احدهما ولم يمسك نفسهُ ثابتةً في الطريق الوسطى الملوكيَّة فهو يضلّ ويخطئ. والطريق الوسطى هي هذه:

ان نؤمن ان الثالوث الاقدس ليس هو واحداً في الجهتين بل هو واحد في الطبيعة وثلثة في الاقانيم ليس في الجهتين واحداً ولا ثلثةً في الجهتين. كذلك الابن المتجسد ليس هو واحداً في الجهتين ولا اثنين في الجهتين بل قنوماً واحداً في طبيعتين وهو من جهة القنوم واحد ولا يكون اثنين ابداً ولا يتجزَّأ ولا يتبعَّض ولا ينقسم ولا يفترق ولا ينفصل. وهو من جهة الطبيعة طبيعتان لاهوتيَّة وناسوتيَّة لا يمتزج ولا يختلط ولا يستحيل ولا يتغيَّر ولا ينتقل بل اللاهوت لاهوت في الطبيعة ولكنهُ بالقنوم ناسوت والناسوت ناسوت في الطبيعة ولكنهُ بالقنوم لاهوت واللاهوت لاهوت حقيقي من جهة الطبيعة والناسوت ناسوت حقيقي من جهة الطبيعة وهو لاهوت حقيقي من جهة القنوم وهو ناسوت حقيقي من جهة القنوم لا اللاهوت هو الناسوت ولا الناسوت هو اللاهوت. ومن جهة القنوم الناسوت بالحقيقة هو اللاهوت واللاهوت بالحقيقة هو الناسوت (١. هذه هي امانة الحق التي بها يثبت قول الانجيل المقدَّس ان المسيح هو ابن الله وابن الانسان. وكيف يستقيم ان يكون ابن الله وابن الانسان؟ يستقيم ذلك بالقنوم الواحد والطبيعتين لان بالطبيعتين يثبت ابن الله وابن الانسان وبالقنوم الواحد يثبت ان ابن الله هو هو بالحقيقة ابن الانسان. فطبيعة لاهوتهِ غير طبيعة ناسوتهِ بالطبع

١) يريد انَّ لاهوت المسيح الذي هو قبل اتحادهِ بالناسوت مستقلّ قائم بذاتهِ اذ اتَّحد بالطبيعة البشريَّة صحَّ فيهِ ما يُقال عن البشر لا من حيث هو اله لكن من حيث هو انسان فينسب اليهِ التجسُّد والالآم والموت. وعلى عكس ذلك ناسوت المسيح فانَّهُ باتحادهِ بوحدة اقنوم ابن الله صحَّ ان تُنسب لهُ الافعال والصفات الالهيَّة لا من حيث هو انسان لكن من حيث هو اله

واماً بالقنوم فاللاهوت هو بالحقيقة الناسوت والناسوت هو بالحقيقة اللاهوت . فقول نسطور انهُ طبيعتان وقنومان يوجب انهُ اله وانسان ولا يوجب انَّ الالهَ هو الانسان وهذا كفرٌ بيّن . وقول افتيشيوس ومَن وافقهُ انهُ قنوم واحد وطبيعة واحدة فهو كفر يعادل ذلك لان احد هذين القولين مائل الى اليمين والاخر الى الشمال

وذلك ان الذي يقول انهُ قنوم واحد وطبيعة واحدة فهو يقول انهُ اله فقط او انسان فقط لان قولنا طبيعتين واقنوماً واحداً هو الذي اوجب انهُ اله وانسان وان الاله هو الانسان لان قولنا « طبيعتين » دلَّ على اله وانسان وقولنا « اقنوماً واحداً » دلَّ على ان الاله هو الانسان وهو يدلُّ على المعنيين كليهما وعلى وجود اللاهوت والناسوت بلا تغيُّر وعلى اتحادهما بلا انفصال . واماً من يقول اقنوماً واحداً وطبيعة واحدة فلا يدلّ على لاهوت وناسوت ولا على اتحاد البتَّة : لأَن لفظة الاتحاد انما هي اشياء يقال عليها اتحدت مثل قولنا طبيعتين اتحدتا . واماً من يقول انهُ واحد من كل جهة فلا يعني بقولهِ عنهُ انهُ اتحد لانهُ واحد وكيف يمكن ان يقال انهُ اتحد . فمن يقول انَّ المسيح طبيعتان واقنوم واحد هو يدلّ بهذا القول على لاهوتهِ وناسوتهِ واتحادهما . ومن يقول انهُ اقنوم واحد وطبيعة واحدة فلا يدلُّ على شيءٍ من ذلك وهو قول لا يدلّ على تجسُّدٍ البتَّة

بل القول بقنوم واحد وطبيعة واحدة اماً ان يكون هـذا القنوم قنوماً لاهوتياً وطبيعتهُ كذلك فيكون المسيح على هذا القول ابن الله فقط وليس هو ابن مريم . وهذا مثل قول نسطور الذي قال : انَّ مريم ليست والدة الاله . واماً ان يكون هذا القنوم ناسوتي وطبيعتهُ كذلك فيكون المسيح على هذا القول ابن مريم وليس هو ابن الله وهذا القول جحود للاهوت المسيح . واماً ان يكون هذا القنوم لاهوتياً ناسوتياً وطبيعتهُ ايضاً كذلك . فهذه الطبيعة اللاهوتيَّة الناسوتيَّة ليست مساوية لطبيعة الاب ولا مساوية لطبيعة مريم لان طبيعة الاب لاهوتيَّة فقط وليست لاهوتيَّـة ناسوتيَّة وطبيعة مريم ناسوتيَّة فقط وليست ناسوتيَّة لاهوتيَّة . فطبيعة المسيح على قولهم اذاً غير طبيعة الاب وغير طبيعة مريم وبهذا لا يكون ابن الاب بالحقيقة ولا ابن مريم بالحقيقة

واماً نحن فنعترف انهُ اقنوم واحد بطبيعتين طبيعة لاهوتيَّة وطبيعة ناسوتيَّة وهو بطبيعتهِ الالهيَّة اللاهوتيَّة ابن الله الاب ومساوٍ لهُ في الجوهر وهو ايضاً بطبيعتـهِ

الناسوتيَّة ابن مريم العذراء، ومساوٍ لها في الجوهر (١ . وبهذا القول يصحّ انهُ بالحقيقة اله حقيقي طبيعي جوهري وهو بعينهِ انسان حقيقي طبيعي جوهري اقنوم واحد لا اثنان لئلّا يُجعَل الاله غير الانسان بل نعترف ان الطبيعتين الاله والانسان هما اقنوم واحد حتى يكون الاله هو هو بالحقيقة الانسان بالاقنوم والانسان هو هو بالحقيقة الاله بالاقنوم . الخالق بطبيعتهِ الخالقة والازلي بطبيعتهِ هو هو المحدَث بالاقنوم . والمحدَث بطبيعتهِ هو هو بالحقيقة الازلي بالاقنوم . ابن الله بالطبيعة هو هو بالحقيقة ابن مريم بالاقنوم . وابنُ مريم بطبيعتهِ بالحقيقة هو ابن الله بالاقنوم . لان اللاهوت المولود من الاب بالطبع صار بالحقيقة ناسوتاً بالاقنوم . كما قال الانجيل المقدَّس (يوحنَّا ١ : ١٤) : « ان الكلمة صار لحماً وسكن فينا » يعني انهُ صار جسدًا بالاقنوم لانهُ لا يمكن احد ان يقول انهُ صار جسدنا بالطبيعة لان الكلمة اذا صارت طبيعتهُ جسدًا فليس هو بعدُ الهاً بالطبع وهذا كفر قاطع لمن يقولهُ بل بقنومهِ صار بالحقيقة جسدًا لمَّا اتحدت طبيعة لاهوتهِ بطبيعة ناسوتهِ بالاقنوم وصار الكلمة باقنومهِ اقنوماً للجسد لان الجسد لم يتكوَّن لهُ قط اقنوم بذاتهِ غير اقنوم الكلمة بل الكلمة بناه على اقنومهِ في بطن والدتهِ لانَّ الكلمة ارسل روح قدسهِ فقدَّس بهِ الوالدة العذراء ونقَّاها من دنس الخطيئة التي هي عرَضٌ لطبيعتنا بعد المخالفة

ولمَّا نقَّى العذراء، وقدَّسها من كل خطيئة حينئذٍ (٢ حلَّت الكلمة في بطنها . وبنى لهُ من دمها جسدًا بروح القدس بنى لهُ الجسد على اقنومهِ الالهي وصار الاقنوم الالهي اقنوماً للجسد لجسدٍ ذي نفس عاقلة فصار الكلمة بالحقيقة جسدًا بالاقنوم والجسد هو الكلمة بالاقنوم لانهُ لا اقنوم لهُ غير اقنوم الكلمة وهو هو الكلمة بالاقنوم فان قلت عن الجسد (٣ انهُ اله حقيقي او خالق حقيقي او ازلي حقيقي او ابن الاب الحقيقي فكان ذلك جميعهُ حقًّا وصدقاً من اجل الاقنوم الالهي الذي صار للجسد هو هو بالحقيقة وان كان الجسد بالحقيقة مخلوقاً ومحدثاً وانساناً حقيقياً لكنهُ

---

١) ويروى مساوٍ لنا بالانسانيَّة

٢) ان تقديس العذراء مريم قد تمَّ ساعة حُبل بها من ابويها القديسين يواكيم وحنَّة دون أن يمسَّها البتَّة الخطية الجدّيَّة وذلك بنعمة خاصَّة من الله

٣) المُراد بالجسد في كل هذه المقالة طبيعة المسيح البشريَّة وناسوتهُ

باقنومهِ خالقٌ وازليٌّ واله حقيقي وتكون ايضاً كذلك مريم والدة الاله لان الجسد المولود منها هو بالاقنوم اله بالحقيقة

وكذلك لمَّا قال نسطور ان الكلمة اقنوم بحركتهِ الناسوتيَّة وذلك ان طبيعة كل جسد تجوع وتعطش ابدًا عند ما يفنى منها الغذاء ورطوبة الماء حينئذٍ تتحرَّك الى طلب الغذاء والماء تحريكاً طبيعياً أليًا وطبيعةُ ناسوت الهنا لم تكن تجوع كلَّ حين هكذا بل كانت تحت سلطان لاهوتها المتَّحد بها اذا هو شاء ان تستعمل طبعها وتجوع جاعت للوقت جوعاً حقيقياً طبيعياً وتحركت لطلب الغذاء حركةً طبيعية أَلميَّة وهذه الحركة التي تشاء الغذاء بألم هي المشيئة الناسوتيَّة لانَّ اللاهوت هو ايضاً قد شاء ان ياكل بناسوتهِ ولكن مشيئته هو الخاصيَّة ليست بألم بل بقدرة وسلطان مثل طبيعتهِ. فمشيئتهُ اللاهوتية مثل طبيعة لاهوتهِ. ومشيئتهُ الناسوتية اعني حركته لطلب الغذاء مشيئة أَلميَّة مثل طبيعة البشر لأنه تبارك اسمه شاء ان يتَّخذ طبيعتنا ويتَّحد بها ويمكنها ان تجوع جوعاً حقيقياً لكي بها يذوق ألم جوعنا ويعطش بها عطشاً حقيقياً لكي بها يحتمل كل آلامنا الواجبة علينا بسبب مخالفتنا ويذوقها جميعها عنَّا باحتمالهِ ايَّاها دوننا

فاذا نحن قلنا طبيعتين ليس نقول اقنومين. واذا قلنا مشيئتين ليس نقول شائيَين واذا نحن قلنا فعلين ليس نقول فاعلين. بل نقول اقنوماً واحدًا وشائياً واحدًا وفاعلًا واحدًا يشاء ويفعل ما يخصّ ناسوتهُ وما يخصّ لاهوتهُ . يفعل افعال لاهوتهِ بناسوتهِ وافعال ناسوتهِ بلاهوتهِ

وبيان ذلك ان الجوع والعطش وما اشبه ذلك ممَّا تتحرَّك اليهِ الطبيعة الناسوتية لم تكن طبيعة ناسوتهِ تتحرَّك اليها فلا تشاؤها ولا تفعلها حتى تشاء لها بالحركة اليها طبيعتهُ اللاهوتية. فلم يكن ناسوتهُ يفعل ما يخصُّه الَّا بلاهوتهِ واللاهوت هو ايضاً لم يكن يفعل ما يخصه من القوات والعجائب اللائقة بطبيعتهِ الَّا بالناسوت المتَّحد بهِ. لانه بفمهِ الناسوتي بصق وصنع بيديهِ الناسوتيَّتين طيناً وطلى بهِ عيني الاعمى المولود ففتحهما بلاهوتهِ. وبيد ناسوتهِ قسم الخبز القليل واكثرهُ بلاهوتهِ واكثر بركتهِ. وبفمهِ الناسوتي انتهر الرياح والبحر فأصحاها بقوَّة لاهوتهِ . وبفمهِ الناسوتي نادى اليعازر وغيره من الاموات فاحياهم بقوَّة لاهوتهِ. وبناسوتهِ مات لكنهُ داس الموت وحطَّم عزَّتهُ بقوَّة

لاهوتهِ المتَّحد بناسوتهِ فقتل الموت وأبعده . وبنفس ناسوتهِ نزل الى الجحيم وبقوَّة لاهوتهِ المتَّحد بها ربط ابواب الجحيم وسائر سلاطين الظلمة وفضح ابليس وجنوده وأسر وعذَّب من كانوا يأسرون ويعذّبون كلَّ نفس آدميَّة تنزل الى الجحيم وأَطلق واعتق النفوس الآدميَّة المعتقلة هناك واصعدها من الظلمة الى النور الابدي . وبقوَّة اللاهوت رجعت النفس الى جسدها وعاد الجسد بعودة نفسهِ اليهِ وقام قيامةً لا يكون بعدها موت لانهُ قام ممتلئاً من مجد اللاهوت ظاهرًا وباطناً وذلك ان اللاهوت اعطى الناسوت جميع مجدهِ اعني قوَّتهُ التي بها عمل جميع العجائب ومجدَ ضيائهِ وعدم التألم وعدم الموت بل وجعلهُ مُحيياً فقد اعطاه لاهوتهُ جميع مفاخرهِ ومجدهِ لكونهِ نافذًا في كل اجزائهِ خارجاً وداخلًا ولم يأخذ اللاهوت شيئاً من ضعف الناسوت ولا نال طبيعتَهُ شيءٌ من آلامهِ وموتهِ بل انهُ من اجل اتحادهِ تألم تأَلُّمهُ ومات بموتهِ في طبيعتهِ الناسوتيَّة لا في طبيعتهِ اللاهوتيَّة لان أَلَم الموت بالطبيعة الناسوتية . وان كانت الطبيعة اللاهوتية لم تَنضرَّ بالآلام فانَّها شاركت الطبيعة البشريَّة فيها من اجل انها لجسدها بالحقيقة المتَّحد في الاقنوم معها ولولا ذلك لم يكن المائت عنَّا الهاً حقيقيًا ولم يكن لنا خلاص نحن الآدميين الكثيرين العدد لانَّ الانسان ليس هو الهاً حقيقيًا ولما مات عنَّا لم يكن يساوي موتهُ جميعَنا فيفدينا من الموت الواجب علينا من معصيتنا بل لمَّا كان ذلك المائت عنَّا الهاً حقيقيًا طبيعياً تأنس ومات عنَّا بناسوتهِ من غير ان تموت طبيعة لاهوتهِ . فبموت ذلك الاله فُدينا جميعنا من الموت الواجب علينا لكون موتهِ اجلّ واعلى واعزّ من موت جميعنا كما انهُ خالق ونحن جميعنا مخلوقون بسويَّة الخالق . والمخلوقون بينها وبين الخالق قيمةٌ لم يكن ان تُقدَّر او توصف . فلهُ السبح والمجد والكرامة والسجود من الآن وكل اوان والى دهر الدهور امين

ثلاث مقالات فلسفية لهُ

١

هذه مقالة لبولس الاب القديس اسقف صيداء الانطاكي

يجيب بها على بعض مشايخ عصرهِ في الخير والشرّ

اما بعد فاني نظرتُ فيما قالهُ الشيخ اطال الله بقاءهُ في الرسالة التي نظمها « من

انهُ ليس يوجد بالجملة خير بلا شرّ ولا شرّ بلا خير لانَّ ما هو للواحد (زَعَمَ) خيرٌ هو للآخر شرّ وما هو للآخر شرّ فهو لمن سواهُ خير . وجعل قياس ذلك الخروف المذبوح وانَّ الذبح شرّ للخروف خير لآكلهِ والانسان المسلوب مالهُ مثل ذلك فالسلب خير للسالب شرّ للمسلوب »

فوجدتُ الامر بخلاف ما ذكرهُ والحال بضدّ ما اوجبهُ وانا أُوضح ذلك بتوفيق الله تعالى وابيّنهُ فاقول : انَّ العفَّة عن الزنا والفسق وما يشكّ احد انَّها خير للانسان العفيف . وليس يوجد شرّ مع العفَّة لا لفاعلها ولا لغيرهِ . والصوم والصلاة والتعبُّد خيرٌ للانسان الصائم المصلّي المتعبد وليس يوجد شرّ بذلك لا لصانعها ولا لغيرهِ . والعدل والعفَّة والرحمة والعفو عن المجرم خير لفاعلها وليس مع ذلك شرّ مقترن بهِ لا لفاعلها ولا لغيرهِ بل خير للمتصرف في الحكم وللآخذ الصدقة وللمَعْفوّ عنهُ . كذلك الكرم خير للكريم والمتكرَّم عليهِ وليس معهُ شرّ . ومثل ذلك الحلم والامتناع من النميمة والسبّ واجتناب الحسد والحقد خير لفاعلها غير شرّ لغيرهِ بل خير ايضاً . فقد نرى هذه الافعال افعال خير وليس معها شرّ مقترنٌ بها ولا موجود معها لا لفاعلها ولا لغيرهِ حسب ما اوجبتُهُ . وهذه الافعال الجميلة التي ذكرتُها فهي كلّ الخير المرغوب فيهِ المنتفع بهِ فاعلهُ في العاجل والآجل المشكور عليهِ من الله تعالى ومن سائر الناس وهي افعال طبيعيَّة مركَّبة في الجبلة البشريَّة . فامَّا اضداد ما ذكرتُهُ فهي شرور عاجلة وآجلة وليس معها خير مقرون بها لا لفاعلها ولا لغيرهِ بل رُبَّما لحق بالمفعول بهِ شرّ وليست طبيعيَّة مركَّبة في الجبلة الانسانية بل دخيلة لانهُ اذا عُدمت الصالحات وُجدت اضدادُها وهي مذمومة بكل لسان عند كل انسان وعند مرتكبها ايضاً اذ ليس يتبعها شيء من الخير بل شرُّها متَّصل بالمفعول بهِ . فمن هذا الوجه قد بطل ما اوجبهُ الشيخ وذكر انهُ اضطرار لازم وزعم انهُ امرٌ لا بُدَّ منهُ

وانا أُورد في الخير والشرّ كلاماً يسيراً مقنعاً ان شاء الله واقول انَّ الخير طبيعيّ والشرّ ليس طبيعياً بل هو عدم الخير لانهُ اذا عُدم الخير وُجد الشرّ وليس هما شيئين مفترقين ولا مجتمعين معاً وقياس ذلك الطاعة اذا عُدمت كان العصيان . وكذلك الحياة والموت فاذا عُدمت الحياة كان الموت . وايضاً الضوء والظلمة فاذا عُدم الضوء كانت الظلمة . والعفَّة والفسق فاذا عُدمت العفَّة كان ضدُّها . والغنى والفقر وما يجري مجرى

هذه الامور . وهذا ما بلغتهُ معرفتي وادركهُ فهمي وقرأتهُ من كلام الفضلاء المتقدمين فان يكن مصيباً فللّه الحمد المؤتي من الصخر ماء ومن العود اليابس ثمرًا لهُ المجد والشكر دائماً امين

٢

ولهُ جواب للشيخ في معجزات المسيح

لمَّا بلغني ما حكاهُ الشيخ عن السيد المسيح انَّ ما يُذكر عنهُ بانهُ احيا الميت وفتح عيني الاكمه ونقَّى البرص ليس لهُ حقيقةٌ بل لهُ معانٍ وهي انهُ فتح عيني الاعمى القلب واحيا الميت النفس لان مثل هذا قد يقال « ان فلان اعمى القلب » و « فلان ميت النفس » . فامَّا على الحقيقة انهُ احيا ميتاً وفتح عيني اعمى او نقَّى ابرص فلا . رأيتُ ان أوضح بعون الله من دلائل العقل لا من الكتاب ما يبطل قول قائل هذا واقول : انهُ ما يخفى على احد من الناس اجمعين انَّ دين النصرانيَّة منبثٌ في سائر الامم على اختلاف ألسنتهم وتشاسُع بلدانهم وليس المنتحلون لهُ من كل امَّةٍ واحدًا او اثنين او نفرًا يسيرًا بل هم جمٌ غفير وربَّما كانت الامَّة باجمعها مثل النوبة والحبشة والافرنج والروم والانجار (١ والارمن والسريان والروس وغيرهم . وهذه الامم الغير قليلة قد كان لهم قبل ظهور النصرانيَّة معبودات واعتقادات وديانات يتمسَّكون بها فرفضوها واتبعوا انساناً في ظاهر امرهِ ضعيفاً لا عساكر معهُ ولا جنود ولا اموال لهُ ولا عبيد . ثم بعد ارتفاعهِ عن تلاميذهِ الذين هم الحواريُّون الذين كانوا نفرًا يسيرًا عددُهم اثنا عشر نفرًا الذين اتوهم في زيّ الضعفاء المساكين بلا قدرة لهم ولا سلطة عاليَّة معهم . ثم لم يأتوهم برغبة ولا برهبة ولا بعصبيَّة ولا برخصة ولا بتحسين قول بل الذي قالوه لهم : ان الله ارسل كلمتهُ اي نطقهُ من غير مفارقة لهُ كمثل ضوء الشمس المرسل على الارض من غير مفارقة القرص الوالد لها وكمثل الكلمة التي تخرج من فم الانسان الى من يسمعها من غير مفارقة للعقل الوالد لهُ فولد انساناً من امرأة فاكل وشرب ومات ودُفن وقام حيًا فهو باللاهوت ابن الله وبالناسوت ابن مريم لانهُ جوهران (٢ قديم ومحدَث واقنوم واحد وليس ابن مباضعة كما نحن من ابائنا بل

---

١) كذا في الاصل . وفي نسخة حضرة الاب قسطنطين باشا « الانجاز » ونظنّ انّ المراد الانكليز وكان يقال لهم الانكتار . ولعل الكلمة تصحيف « الانجاز »

٢) المراد بالجوهر هنا الطبيعة كما ترى

كالنطق المولود من العقل والضوء المولود من عين الشمس وما يجري هذا المجرى ممّن هم والدون ومولودون لا من جماع ولا من نطفة ولا الوالد قبل الابن ولا الابن بعد الآب فتركوا معبودات آبائهم ورفضوا ما كان في ايديهم وتبعوهم . ولم يتبعهم فلّاحون وأُميّون ومساكين فقط بل ملوك وحكماء وجبابرة وعلماء وفلاسفة ومنطقيون . فلولا الآيات الباهرات والمعجزات العظيمات التي شهدوهـا من مُرسِلهم السيّد المسيح التي لا تكون على ايدي دُعاة الى مُحال لما كانوا تبعوهم . وهذا يغني عن الشهادات من الكتب اذ هو اوضح دليل يغني عن كل شرح طويل . فامّا من يدفع آيات السيّد المسيح ومعجزات حواريّيه فانّما قصدهُ بذلك تعطيل كتب الله المنزلة منهُ على أَلسن انبيائهِ ودفع الرسل الذين بهم وقع الصلاح من الخواص والعوام . وبالله يليق المجد والاكرام من الآن والى الابد امين

٣

ولهُ ايضاً ردّ على الشيخ في اختيار الله للابرار وحرّيّة الانسان

لمّا تأمّلتُ ما يراهُ الشيخ اطال الله بقاءهُ ان الله تعـالى خلق اقواماً باعيانهم للجنّة وخلق اقواماً باعيانهم للنار وانّ الذي هو مخلوق للنار ولو عمل طول ايّام حياتهِ اعمالًا صالحة لسبّب الله لهُ قبل موتهِ ولو بلحظةٍ عملًا رديئاً يؤدّيه للنار وكذلك الذي هو مخلوق للجنّة لو كمّل كل زمان حياتهِ افعالًا قبيحة ليسّر الله لهُ قبل موتهِ ولو ببعض ساعةٍ عملًا صالحـاً يُدخلهُ الجنّة لاجلهِ . واحتج بأن الانسان مربوب والمربوب لا حكم لهُ في ذاتهِ . فوجدتُ هذا رأياً قبيحاً يهوّر مُعتقدهُ في عطبٍ ليس قليل لأن الذي يرى هذا الرأي يوجب اولًا ان ليس ثمّ عذاب لانّ كل من خُلق لشيءٍ مُنعَمٌ فيهِ اذ لهُ خُلق كحيوانِ الماء خُلق للماء وحيوان التراب خُلق للتراب فلو أُخرج احدهما الى ما لا يُخلق لهُ لتَلف . ثم انهُ يجعل الله ظـالماً اذ يقول انهُ يخلق خاطئاً للنار ثم يامره ان يخطئ وهو لا يستطيع الى مـا أُمر بهِ سبيلًا ثمّ يعذبهُ على خطاءِ بالنار . واقبح الاشياء انّ صاحب هذا الرأي يوجب ان لا حاجة الى الصوم ولا الى صلاة ولا الى اجتهاد في عبادة ولا الى رحمة وعدل وانصاف ولا الى تطأطئ وخفض جناح ولا الى عفّة من المحارم التي نُهي الانسان عنها ولا الى الافعال الجميلة التي أُمر بها

اذ هذه الامور لا تنفع الانسان ولا تحيده عمَّا خُلق لهُ لانَّ الذي خُلق للنار لا حاجة بهِ الى الافعال الجميلة . كذلك الذي خُلق للجنَّة لا يضرُّهُ شيءٌ من الاعمال الذميمة غير اني وان كنتُ من العلم مقفرًا ومن المعرفة معسرًا وبالآثام والذنوب موسرًا رأيتُ لاجل مشاركتي للشيخ حرسهُ الله في الجنس واتفاقي معهُ في النوع وموافقتي له في الفضل ومساهمتي اياهُ في الحاسَّة وقبولي مثلهُ العرَض ولأن الهي والههُ واحد حسب ما جاء في كتابهِ وهو قولهُ : «الاهنا والاهكم واحد ونحن لهُ مسلمون» (سورة العنكبوت ٤٥) ثم ان الطينة التي جُبلنا منها كلها واحدة والامّ لكلينا واحدة والاب لكلينا واحد اعني آدم وحوَّاء وبعد الاخوَّة نحن بنو عمّ لان اباه اسمعيل ابن ابراهيم واباناً اسحاق بن ابراهيم ايضاً وانَّا ايضاً غريبان وقد قيل :

اجارتَنا انَّا غريبان هاهنا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

وقد جمعَتْنا بلدة واحدة وكلانا نتكلَّم بلسان واحد ومن جهة التمثال نحن ايضاً واحد حسبما قيل :

الناس من جهة التمثال أَكْفاءٌ ابوهمُ آدمٌ والامُّ حوَّاءُ

فان يكن لهم في ما مضى نسب يتفاخرون بهِ فهو الطين والماء وليس مخالفتنا في المذهب تبعدنا من هذه المجانسات والمناسبات ولذلك اشير عليهِ ان يرجع الى الصواب ويهمل الهوى الذي قد اهلك كثيرًا من الناس الذين غُلب تقواهم . وليعلم ان قولهُ بان الرب متحكِّم في المربوب لا يجب ان يُحمل على المربوب في سائر الوجوه بل على بعضها لانَّ ذلك ما يحمل على الحيوان الغير الناطق في سائر الاحوال بل على بعضها فضلًا عن الناطق . لانَّنا قد رأينا الحيوان الغير الناطق المربوب مُجبرًا في امور ومخيَّرًا في غيرها . فامَّا الاحوال التي هو مُجبر عليها فمثل قلَّة العلوفة وكثرتها والكدّ في العمل والترفه والاهتمام بهِ والاهمال لهُ وما يجري هذا المجرى . واما ما هو مخيَّر فيهِ فالحمار والجمل وما يجري مجراهما ان اراد ان يمشي ويجري بحملهِ وان اراد ان يقف . وكذلك الثور ان اراد ان يحرث وان شاء ان ينام . فاذا كان الحيوان الغير ناطق مجبرًا مخيَّرًا الذي ليس لهُ امرٌ ولا نهي من ربّهِ اعني قنانيهُ ولا وعيد بنعيم ولا وعيد بتخليد جهنم أفيكون الحيوان الناطق الذي قد وُعد بالنعيم عن الجميل وأُوعد عن القبيح بالجحيم وأُمر ونُهي مجبرًا لا مخيَّرًا ؟ كلَّا

بل يجب ان تعلم أيها الحكيم ايدك الله بان الانسان اجلّ ما خلق الله لانَّ الجميع من المخلوقات لهُ خُلقت اذ البارئ تعالى غنيٌّ عن جميعها وليس بهِ حاجة الى شيءٍ منها . واذا كان الانسان حافظاً لاوامر خالقهِ سالكاً في وصاياه كانَ افضل من الملائكة لانَّ تلك ارواحٌ لا اجسام لها امَّا الانسان فمشاكل الحيوان الغير الناطق بالجسم ومشابه الملائكة الروحانيين الناطقين بالنفس الناطقة الحيَّة العاقلة . ولذلك اذا علا الانسان عن الاعراض كان افضل من الملائكة . فَمَنْ هذه صورتهُ وقد خلقهُ الله جودًا وإنعاماً أيكون مجبرًا في جميع الامور لا مخيَّرًا في بعضها ممَّا يؤديهِ الى النعيم او يخلدهُ في الجحيم ؟ كلَّا . ولو انَّ الامر كما يزعم الشيخ واعوذ بالله لكان اخسُّ الحيوان وادناهُ افضل من الانسان لانَّ ذلك خُلق دنياً حقيرًا ثم انه ينفق فتنقضي ذاتهُ وحقارتهُ التي ليس هي مثل صورة السبع على غيرهِ من الوحوش والفيل على غيره من البهائم ويكون الانسان يُخلَق خاطئاً ثم يموت ويعذَّب على خطاياه التي خُلق عليها الى ابد الابد ؟ معاذ الله من هذا الرأي القبيح . فامَّا الذي ليس لهُ اختيار ولا استطاعة فمثل الارض والمنازل والنباتات والكسح والجلاء[1] وما يجري هذا المجرى ممَّا ليس هو حيًّا ولا ناطقاً . أفيحسن بالانسان ان يجعل ما هو لغير حيٍّ ولا ناطق للحيِّ الناطق الذي رتَّبهُ الله بالعقل وجعلهُ سيدًا وربًّا لجميع ما خلقهُ وخصَّهُ بالفطنة والتمييز لدقائق الامور واعطاهُ ما يصل بهِ الى معرفة باريهِ . وان كان ليس على حقيقة ذلك بل حسب ما تبلغهُ استطاعتهُ اذ هو مخلوق ثم يشكرهُ على انعامهِ ويعرف جلالتهُ وقوَّتهُ وقدرتهُ ويعلم انه خلقهُ تفضُّلًا منهُ وانعاماً وامرهُ ونهاهُ لمصلحتهِ وما يعود لمنفعتهِ وجعلهُ مسلَّطاً على ما أُمر بهِ فيما نهاهُ عنهُ وانَّ العقوبة عليهِ اذا عصاهُ لِما خوَّلهُ من الاستطاعة وان الثواب يضاعَف لهُ على الطاعة ويتحقَّق انهُ جعلهُ مُجبَرًا على امور لا يقدر هو على دفعها عن نفسهِ ولا ورودها عليهِ مثل الصحَّة والسقم والحياة والموت والغنى والفقر وبقيَّة الاحوال التي لا يقدر يتقلَّب في واحدٍ منها باختيارهِ وذلك ليلتجئَ الى خالقهِ فيما يدهمهُ ممَّا يكرههُ ويشكرهُ على ما يسرُّهُ ويعلم ان لهُ ربًّا محبًّا للخير آمرًا بهِ مبغضاً للشرّ ناهياً عنهُ وان ما أُمر بهِ لمَّا يؤثرهُ وما نُهي عنهُ لمَّا يكرههُ . فاذا اتاهُ شيءٌ مما يسوؤهُ بغير اختيارهِ يصبر عليهِ ويهرب منهُ اليهِ ويعلم ان

١) كذا في نسختين ولعلهُ مصحَّف

لهُ في ذلك فائدةً ومنفعةً مدَّخرة لهُ وان كانت عنهُ خفيَّة الآن . أَفمَنْ هذه الصورة صورتهُ يكون مجبرًا لا مخيَّرًا ؟ كلَّا

ولمَّا قلتُ ان الله تعالى اذا علم شيئاً لا يكون الَّا ما يعلمهُ قلتُ ان الله تعالى يعلم الاشياء وانَّهُ خلق الانسان واعطاهُ الاستطاعة على فعل الخير وان اراد الشر وامرهُ بالخير ونهاهُ عن الشرّ . فاذا علم منهُ انهُ يفعل الخطأ فليس العلم سابقاً الانسان الى الفعل بل الفعل صار سبباً للعلم . ولذلك اخفى الباري تعالى العلم عن الانسان فلو قال الانسان اذا اخطأ : « يارب انت علمتَ مني اني لا بدَّ لي من ان أخطئ وما كان لي عن ذلك مندوحة » . فيقول لهُ : «ياشقي من اين علمتَ اني علمتُ انك تخطئ ولِمَ لم تعلم اني علمتُ انك تصيب وعلمي مستور عنك وعملك(١) وخطأُك سبقا في علمي بان علمتُ ما انت فاعل ليس انك فعلتَ ماعلمتَ اني عالمهُ » فتكون الحجّة لازمتهُ والعقوبة واجبة عليهِ . بل الذي يجب ان يقال انَّ الله تعالى خلق الانسان خيّرًا جيّدًا لانهُ تعالى بدء الخير ومعطي الخير . ومعاذ الله ان يخلق شرّيرًا او شيئاً ممَّا يلائم الشرّ . ثم امرهُ بفعل الخير الذي خلقهُ عليهِ ونهاهُ عن القبيح الذي لم يُخلق لهُ . واعطاهُ الاستطاعة ليفعل ما اراد من الجهتين فاراد هو لسوء فعلهِ وجهلهِ بالله وجراءتهِ على القبيح ان يفعل الشرّ فليس علم الباري تعالى اوجب لهُ فِعْل ما فعل ولو كان فعلَ الجميل لكان سابق العلم ايضاً قد علم بذلك منهُ . ولو ان سابق العلم سابقٌ الى احدى الجهتين لكان يسوق الى الخير الذي يحبُّهُ ويؤثرهُ لا الى الشرّ الذي يبغضهُ ويكرههُ وما كان يستوجب الجاني عقاباً ولا المصيب ثواباً بل الفعل الذي أوجب للفاعل الثواب او العقاب على ما فعل لا على ما علم الله منهُ . وفَّقنا الله لطاعتهِ وجنَّبنا معصيتهُ واعاذنا من عذابهِ وجاد علينا برحمتهِ وخلَّدنا جنَّتهُ . فانَّ لهُ يليق المجد والاكرام والشكر والاعظام من الآن والى الابد امين



١) في الاصل : علمك وتظنَّهُ تصحيفاً

رسالة عقليَّة لبولس الراهب

في وجود الباري تعالى وكمالاتهِ واقانيمهِ

مقدَّمة

الحمد لله الحيّ الحكيم . والقادر العليم . والجود الحليم . والرحمان الرحيم . منشئ كل شيءٍ ومبيدهُ . ومميت كل حيّ ومُعيدهُ . مُبدع المكان وموجدهُ . ومحدث الزمان ومُنفدهُ . الذي لا تحويه الامكنة والاقطار . ولا يغيّرهُ الليل والنهار . ولا تُبليه الازمنة والادهار . نحمدهُ على ما اولانا من جميل آلائهِ . ونشكرهُ على ما آتانا بهِ من جزيل نعمائهِ

امَّا بعدُ فانني لمَّا ابتدأتُ باثبات ابواب تشتمل على معاني مختلفة ليزول بذلك ظنّ من يظنُّ بنا ظنوناً لا حقيقةَ لها ويقول بقلَّة خبرتهِ برأينا اننا مشركون وانَّ لا بصيرة لنا بديننا ولا حجَّة لنا نبرهن بها عن نفوسنا . رأيتُ وان كنت من العلم مقفرًا ومن الذنوب مكثرًا ان اجعل اوَّل الكلام وابتداءهُ في وجود الباري تعالى حسبما امر بهِ القديس غريغوريوس الثاولوغس المتكلّم في اللاهوت وذلك في قولهِ : اجعل الله بدء امرك وكمالهُ (١

« الباب الاوَّل »

في وجود الباري سبحانهُ وتعالى

انَّا معشر النصارى المؤمنين لمَّا علمنا انَّ الشيءَ لا يتعبَّد للشيء ولا يخفَّ لهُ الَّا لاحد ثلث خصال وهي : امَّا مكافأةً على معروف أُوتي اليهِ (٢ وامَّا طلبَ جزاء فيما يُستقبَل [ولا هو يقدَّر] وامَّا ان يكون مجبورًا على خدمتهِ (٣ . ورأينا الشمس والقمر والكواكب والغيوم وسائر ما في الهواء وجميع ما ينتفع بهِ الانسان من

---

١) ويروى : انتهاءهُ . وهذه المقدمة ناقصة في بعض النسخ

٢) وفي نسختين : على معروفٍ أُسدي اليهِ

٣) ويروى : مخبرًا عن خدمتهِ . وهو غلط

الارض وما عليها ليست محتاجة الى الانسان ولا طالبة منهُ جزاء فيما يُستقبل ولا هو يقدر ان يجبرها على خدمتهِ (١ . فلمَّا لم تكن احدى هذه الثلث الخصال وجب ان يكون لها قاهرًا يجبرها (٢ على خدمة الانسان فبذلك استدلَلنا على وجود الباريء القاهر القادر على كلّ شيء

﴿ الباب الثاني ﴾

في قدم الباريء وحدوثهِ (واحداثهِ) للعالم

وقلنا انهُ قديم ازلي مُحدِث للعالم لِما نشاهدهُ من ائتلاف المتضادَّات مثل النار والماء والهواء والارض وتأليف الفلك من اجسام مختلفة النَّظم ومختلفة الحركات فدلَّ على ان ناظماً تقدَّم فرتَّبهُ على ما هو عليهِ وان سابقاً سبقهُ واتقنهُ واحكم صنعهُ لان كل صناعة ان لم يتقدَّمها موجدها (٣ والَّا كانت باطلة

﴿ الباب الثالث ﴾

في ان ليس للباريء تعالى جسم (٤

وقلنا انهُ تعالى ليس بجسم لانهُ لو كان لهُ جسم لدخل عليهِ بعض الحدود التي يُحدُّ بها الجسم من الطول والعرض والعمق وغير ذلك . وايضاً لو كان جسماً لشغل حيّزًا او قبل عرَضاً . ولو شغل حيّزًا لحدَّهُ المكان

﴿ الباب الرابع ﴾

في ان الباريء تعالى واحد

وقلنا انهُ واحد لا حدّ يحويه ولا نهاية تحصرهُ لانهُ لو كان اكثر من واحد لوجب ان يكون احدهم معتزلًا عن الآخر . واعتزال الواحد عن الآخر يدلّ على انهُ محصور . وكل محصور محدود . وكل محدود لهُ ابتداء . وما لهُ ابتداء فمخلوق . والمخلوق ليس ازليًّا لان الازلي لا يستقيم ان يكون اكثر من واحد

١) ويروى : يجبرها على خدمتها لهُ
٢) ويروى : يخزيها
٣) ويروى : موجودها . وهو غلط
٤ ويروى : ليس الباريء جسماً

الباب الخامس

في ان الباري تعالى جوهر بسيط غير مركَّب

وقلنا انهُ جوهر لان ليس في الوجود شيء الّا وهو امّا جوهر وامّا عرَض. وذلك انّ ايّ امرٍ نظرنا فيهِ وجدناه امّا قائماً بذاته وغير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر. وامّا مفتقراً في وجوده الى غيره لا قوام لهُ بنفسهِ وهو العرَض. ولا يمكن ان يكون لهذين القسمين قسمٌ ثالث. فاشرفُهما القائم بذاتهِ الغير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر. ولمّا كان الباري تعالى اشرف الموجودات اذ هو سبب سائرها وجب ان يكون اجلّ الامور واشرفَها. واجلُّ الامور واشرفُها الجوهر. ولهذا قلنا انهُ جوهر لكنَّهُ ليس كالجواهر المخلوقة كما قلنا انهُ شيء لا كالاشياء المخلوقة ايضاً والّا لزم ان يكون قوامُه بغيرهِ ومفتقراً في وجودهِ الى غيره. ومن القبيح ان يقال عن الباري تعالى انهُ عرَض. ويجب ان يكون جوهراً بسيطاً نعم وابسط البسائط لانّهُ الخالق للجواهر البسيطة. وبلا شك انهُ أبسط ممّا هو فاعل لهُ. ولو انهُ كان مركَّباً لكان غيره ركَّبهُ. ولا يجوز ان يكون المركَّب هو المركِّب لذاته

الباب السادس

في انّ للعالم ناظماً اتقنهُ وهو يضبطهُ

ومن هاهنا لمّا شاهدنا العالم مركباً من طبائع مختلفة ومتَّحداً من جواهر متباينات ومنتظماً من اشياء غير متشابهات. ولاجتماعهِ من اشياء مختلفة يسمَّى عالَماً لما فيهِ من التضادّ. ورأينا الفلك مختلف النظم (١ ومختلف الحركات الذي يقال انهُ طبيعة خامسة لا حارّة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة (٢ علمنا ان غيرهُ اتقنهُ ونظمهُ وهو يضبطهُ فلا يحول ولا يزول عمّا نظمهُ عليهِ (٣ الى الوقت الذي يشاء مركّبهُ ومؤلّفهُ

الباب السابع

في انّ العالم قديم لابقِدَم الباري تعالى (٤

ولمّا لم نعلم واحداً قديماً غير ذي جسم جوهراً بسيطاً غير مركَّب الّا الباري تعالى

١) ويروى: مختلف العِظَم ٢) هذا مبنيّ على اقاويل الاقدمين في طبيعة الافلاك وتركيبها لا يُعوَّل عليهِ اليوم ٣) ويروى: اليهِ ٤) ويروى: في ان ليس العالم قديماً بقدم الباري

عامنا انهُ هو الذي نظَّم العالم وانهُ لا يجوز ان يكون المختلف الطبائع المركَّب من جواهر متباينة وأنواع مختلفة قديماً بقدم الواحد البسيط الغير مركَّب الذي ليس هو جسماً . فمن هذا الدليل ثبت انَّ الباريء تعالى قديمٌ ازلي لا ابتداء لهُ . وان العالم محدَثٌ لهُ ابتداء فلهُ ضرورةً انتهاء

﴿ الباب الثامن ﴾

ردّ على من يقول من المتفلسفين ان الله والعالم كالنقرة والطنين ١)

وهذا يزيل رأي من يقول من المتفلسفين انَّ العالم والباريء تعالى كالنقرة والطنين (١ وانما يتقدَّمهُ كما زعموا بالرتبة كالنقرة المتقدّمة للطنين (١ . ولو كان الباريء تعالى كذلك وحاشا لعلوهِ لَوجب ان يكون لهُ وللعالم باريءٌ اوجبهما كالناقر (٢ الموجب للنقرة والطنين (١ . فكان ذلك بلا شك الباريء تعالى الذي لا يجب ان يكون لا قبلهُ ولا معهُ خالق آخر غيره . وقد يعلم كل احد انَّ النقرة والطنين (١ مفعولان وانَّ فاعلًا يتقدَّمهما وهو الناقر كذلك العالم مفعول والهُ فاعل وهو الباريء . ولا يجوز ان يكون الفاعل والمفعول معاً بل الفاعل يتقدم المفعول كالناقر (٢ المتقدم للنقرة والطنين (١

الباب التاسع

في ان ليس الحدوث بعد الامساك عند الباريء عرَضاً

ثم انهم قالوا اعني المتفلسفين : انَّ الحدوث بعد الامساك عرَض . ولذلك لم يوجبوا ان يكون الباوي تعالى أحدث العالَم بعد ان كان ممسكاً عنهُ . لان ذاك « كما زعموا » لا يخلو من احدى ثلث خصال وهي امَّا ان يكون مانعٌ كان يمنعهُ من حدوثهِ فلماَّ زال المانع احدثهُ . او تكون حاجة دعتهُ اليهِ فاحدثهُ لحاجتهِ اليهِ . او انهُ كان مضطرًّا اضطرَّهُ غيرهُ فاحدثهُ اضطرارًا . فاذا كان العقل الذي هو مثل المِحكّ والمعيار والعالم نفسه الموجب لاجتماعهِ من اشياء متضادة يوجبان على نفسهِ (٣ انهُ محدث ويحققان ذلك ويبرهنان عنهُ ببراهين عقليَّة بقي ان نورد ما يُبطل قول من

١) ويُروى : والطنين
٢) ويُروى : كالنقر
٣) ويُروى : على ذاتهِ

يزعم انَّ الحدوث بعد الامساك عند الباريء عرضاً . ونقول انَّ الحدوث بعد الامساك عرض عندنا نحن المخلوقين فامَّا عند الاوَّل الواحد الغير ذي جسم والغير مركب البسيط فحكمةٌ لانهُ تعالى حكيم مريد فأوجدهُ بحكمتهِ وقتَ اراد كما أَراد ويُفنيهِ وقتَ يريد كما يريد من حيث لا يدخل عليهِ عرَض . لانَّ العرَض انما يدخل على الاجسام الكثيفة فامَّا اللطائف (١ فما يدخل عليها عرَض لا ثابت ولا زائل . لانَّ العرَض عرَضان عرَض ثابت وهو كسواد الغراب وبياض الثلج وفطسة الافطس وزرقة الازرق . وعرَض زائل وهو صفرة الوجه وحمرة الخجل والقعود والقيام والنوم واليقظة ومـا يجري مجرى هذا . فالباريء سبحانهُ تعالى منزَّهٌ عن الاعراض الثابتة والزائلة والكيفيَّات والكميَّات لانَّ كل هذه تلازم الجواهر الكثيفة . وقد نرى الجواهر البسيطة غير داخل عليها عرَض فكيف يقال انَّ خـالق الجواهر البسيطة والكثيفة والمركَّبة يدخل عليهِ عرض حاشا لعزَّتهِ وجلالتهِ من هذا القول

﴿ الباب العاشر ﴾

فيما يؤول اليهِ قول من يزعم ان الباريء تعالى لا يحدث شيئاً بعد ان كان مُمسكاً عنهُ

وامَّا مـا يؤول اليهِ قول من يزعم انَّ الباريء تعالى لا يُحدث شيئاً بعد ان كان مُمسكاً عنهُ فهو يوجب انَّ الباريء لم يخلق العالم ولا آدم ولا ارسل طوفاناً ولا احدر ناراً على سادوم وعـامورة ولا انفذ موسى النبي ولا انقذ بني اسرائيل من عبوديَّة المصريين ولا بعث كلمتهُ السيد يسوع المسيح ولا ارسل نبياً ولا يرحم ولا يعـاقب ولا يُمطر ولا يُقحط ولا يُرخص ولا يُغلي ولا ينصر ولا يخـذل ولا يميت ولا يحيي ولا ينشر ولا يحشر ولا لهُ في العالم تأثير لانَّ هذا ومـا شاكلهُ حدوث بعد إمساك واذا كان ذلك كذلك والعياذ بالله فلا حاجة الى تمذهبٍ ولا الى سهر او صوم ولا الى صلاة ولا الى صدقة ولا الى رحمة ولا الى عدل ولا الى حفظ جناح لانَّ هذا كلهُ وما شابههُ من الصلاح انَّما يُطلب بهِ من الله تعالى الحدوث بعد الامساك مثل العفو بعد السخط . فاذا لم يكن لا عفو ولا سخط فقد زال الخوف والرجاء ومع هذا فالفلاسفة اجمع

١) هذا لا يصحُّ في كل الجواهر اللطيفة كالنفس والأرواح المتجرّدة وانما يصحّ فيهِ سبحانهُ تعالى فقط

يقولون انّ نهاية الفلسفة التشبُّه بالاله حسب طاقة المخلوق . فاذا كان الاله لا يرحم ولا يجود ولا يصفح ولا يُحسن (اذ ذاك وما شاكلهُ حدوثٌ بعد امساك) فبمَ يتشبَّه المخلوق بالاله . فامَّا نحن النصارى المؤمنين فنثق ونؤمن بالله ونعتقد انهُ صانع الكل وبارئهُ والّا فكيف كان يتمّ وليس لهُ مُجوْهر ولا ناظم . ثمَّ نعتقد انّ هناك سياسةً وتدبيرًا يجمع الكلّ ويربطهُ لانهُ يلزم ان يكون صانع الاشياء هو ايضاً مدبّرها والّا فلو جرى الامر في السياسة على حسب الاتفاق لقد كان الكلُّ اشبهَ بسفينة لا مدبّر لها تأخذها الرياح الى حيث اتجهت فتتكسر وتنهدم سريعاً لِما فيها من قلّة النظام والترتيب ومعاذ الله من هذا القول

الباب الحادي عشر

في رأي الفلاسفة في زهدهم في امور الدنيا

فان قال قائل انّ الفلاسفة الذين كانوا يريدون هذا الرأي قد كانوا زهّادًا ويفعلون الصلاح ويعفُّون عن المحارم . قلتُ ان ذلك اعني فعلهم الجميل لإحدى ثلث حالات وهي : إمَّا ان يكونوا لا يرون هذا الرأي الذي يُنسب اليهم . او ان كان هذا رأيهم فكانوا يزهدون في امور الدنيا ليريحوا قلوبهم من الاهتمام باسبابها ولانَّ فعل الصلاح واجب وفرض على كل بشر اذ قد مُيّز عن غيرهِ من الحيوان بالعقل والنطق . او انهم كانوا يطلبون بذلك المديح من الناس

الباب الثاني عشر

ردّ على المتفلسفين الذين يقولون ان الصفات للباريء كيفيّات ولذلك لا يرون أن يصفوه بالحي الناطق القادر وما شاكل ذلك ممَّا وصَف بهِ ذاتهُ على ألسن انبيائهِ

فامَّا من يقول من المتفلسفين انَّا انَّما وصفنا الباريء تعالى بالحي الناطق السميع البصير القادر الجواد الكريم وما شاكل ذلك كيّفناهُ ودخل في الكيفية والكميَّة . فلم يعلموا انَّ الصفات كيفيّات للمخلوقين ذوي الاجسام الكثيفة الداخل عليها الحدود القابلة الاعراض . فامَّا للخالق سبحانهُ وتعالى فليست كيفيّات بل اشارات لهُ الى الوجود ودلالات انهُ الاله الواحد المعبود وانما وصف الباريء تعالى لاهوتهُ في كتبهِ المنزلة منهُ على أَلسن انبيائه ورسله بهذه الصفات من حيث نحن ومن حيث

فهمنا لا من حيث علوه وسموه ليؤهل بذلك المعرفة بجلاله الينا نحن الدنيين لانّا لا نعلم قادرًا الّا ملكاً ولا ذا يدٍ مبسوطة الّا جوادًا ولا رحماناً الّا رحيماً فتنازل الباريء جلّ جلالهُ لحقارتنا وسمّى لاهوتهُ بهذه الاسماء من حيث نحن لنفهم ذلك ونعرفهُ ممّا قد أَلِفناه كمثل الناطق الفصيح الذي اذا أَراد يخاطب اخرس أَوْمى اليهِ بيدهِ واشار نحوهُ بحركاتهِ من حيث المخاطَب لا من حيث المخاطِب . وايضاً لما ازمعهُ من ظهور كلمتهِ اي نطقهِ المولود بلا حدَث كولادةٍ قرص الشمس للضوء وكولادة العقل للنطق وكولادة النار للحرارة من غير انفصال بين الوالد والمولود ولا افتراق لكي الذي يشاهد ذلك او يسمع بهِ اعني الحادّ نطقةُ ينسرّ ولا يتكرّهُ ولا ينفر منهُ اذ قد تقدّم الإنذار به من الباريء تعالى عزّ وجل في كتبه المنزَلة منهُ على السن انبيائه ورسله اعني وصفهُ لاهوتهُ بصفات المخاوقين فهؤلاء المتبعوهُ غير وصفهِ (١ تعالى بما وصف بهِ من حيث ارادوا ان يُنزّهوهُ عن الصفات حادوا عن السبيل المستقيم . فاماً نحن فنقول ان الاتفاق بين الباريء الخالق جلّ ذكرهُ وخلقهِ فيما يوصف به انّما هو الاشتراك في الاسماء فقط فاماً المعاني فلا شبيه بينهُ وبينهم .

﴿ الباب الثالث عشر ﴾
في الزمان والمكان

واذ قد تكلّمنا في وجود الباريء تعالى تقدّست اسماؤهُ وجلّت آلاؤهُ بما لا تفنيهِ العقول ولا يبعدهُ مَن هو ذو لبّ وبيّنّا انهُ قديم واحد غير ذي جسم جوهر بسيط وانهُ محدث للعالم غير داخل عليهِ عرَض وانهُ منزّه عن الكيفيّات والكميّات والاَنيّات وانّ حدوث العالم واجبٌ اذ وجب لاختلاف طبائعهِ وتركيبهِ انهُ مصنوع وان لهُ ابتداء وانّ ما لهُ ابتداء فبلا محالة لهُ انتهاء . وان ليس الحدوث بعد الامساك عرَض عند الباريء كما هو عندنا نحن المخلوقين كما ان الامرَ لمن دون الانسان امرٌ ولمن فوقهُ سؤال

بقي ان نورد في الزمان والمكان كلاماً يسيرًا مقنعاً ان شاء الله تعالى لانهُ قد قال بعض المتكلّمين : كثرةُ الكلام حربٌ للسامع . ونقول انّ الزمان قد يقال على

(١ ويروى : فهؤلاء المتنزهين عن وصفهِ

انحاء كثيرة : من ذلك زمان الخريف وزمان الشتاء وزمان الربيع وزمان الصيف . واذا غاب واحدٌ عن واحد اياماً قال لهُ : « لي زمان ما رأيتك » و « ما اغيب زماناً طويلاً » . و « زمان طيب وزمان سوء » . فالزمان ليس هو جوهراً لطيفاً ولا كثيفاً يقبل حداً بل هو تعاقب الليل والنهار وممرّ الأيام والشهور وهذا هو الزمان فالطويل ما كثرت اعوامهُ والقصير ما قلّت ايامهُ وليس الزمان شيئاً آخر الّا ما ذكرناه . فامّا المكان فالسماء والارض وما فوقهما وما تحتهما

﴿ الباب الرابع عشر ﴾

جواب لمن يسأل اين كان مكوّن المكان قبل المكان

فان قال قائل فاذا كنتَ اوجبتَ من العقل الذي هو كالمحكّ والمعيار ومن العالَم نفسهِ لتركيبهِ من طبائع مختلفة وتأليفهِ من جواهر متباينة انهُ محدَث فاين كان مكوّن المكان قبل المكان . فنقول انهُ كما وجب من دليل العقل ومن العالم نفسه انهُ مركّب فكلٌّ مركّب لهُ مركِّب ولا يجوز ان يكون المركّب والمركِّب معاً بل المركِّب يتقدّم المركَّب لا بسنين ولا بشهور او بجُمَع او ايام الذي هو الزمان بل ابتدأ الزمان مع ابتداء المكان . وكما وجب من دليل العقل ايضاً انّ الباريء تعالى واحد قديم غير ذي جسم وغير مركّب ولا مؤلَّف وانهُ جوهر بسيط وابسط البسائط فمن ههنا وجب ان يكون الباريء تعالى غير محتاج الى مكان لانّ حاجة التمكّن في المكان عجز والباريء تعالى ليس عاجز وانما المحتاج الى المكان الجوهر الكثيف والجسم المركّب المؤلف من طبائع مختلفة وجواهر متباينة . بل نقول ان المكان في قدرة الباريء تعالى ولو كان الباريء مَحْوياً من المكان لَدخل عليهِ بعض الحدود . لانّ الخلق اللطيف مثل الملائكة والجنّ والانفس تُحدّ بحدَّين حدّ الابتداء وحدّ المكان لانهُ لا يكون ملاك ولا شيطان ولا نفس في مكانين في وقت واحد معاً بل ينتقل كلٌّ واحد من هؤلاء من مكان الى غيرهِ . امّا الخلق الكثيف فيُحدّ بثلاثة حدود : حدّ الابتداء وحدّ المكان وحدّ الخلقة (١ . والباريء تعالى خارج عن سائر

(١ ويروى : حدّ الحليَة

الحدود التي تحدّ بها اللطائف والكثائف ولذلك قلنا انهُ غير محتاج الى مكان بل المكان في قدرته

﴿ الباب الخامس عشر ﴾

في قولنا ابًا وابنًا وروحًا قدسًا الهًا واحدًا

وربَّ (١ قائل يقول ان قولك الذي قدمتهُ في توحيد الباري سبحانهُ وتعالى يخالف اعتقادكم لان النصارى يقولون ان الله تعالى آبٌ وابن وروح قدس وهذا القول يدلُّ على ثلثة لا على واحد لانَّ الآب غير الابن والابن غير الآب والروح القدس غير الآب والابن فمن ههنا قلنا ان قولكم يخالف اعتقادكم . فان كان (٢ عندكم ما يزيل كل ظنّ مخالف لمذهبكم في انكم تعتقدون ثلثة آلهة فأوردوهُ لنعلمهُ لاسيما ان الاب عندكم إله تامّ والابن أله تام والروح القدس أله تامّ

فاقول في ذلك مستمدًّا العون والتوفيق من الباري تعالى (٣ اننا معشر النصارى المؤمنين لمَّا رأينا حدوث الاشياء علمنا انَّ شيئًا غيرها أحدثها اذ لا يمكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضادّ والتقلُّب . فقلنا انهُ شيءٌ لا كالاشياء المخلوقة اذ هو الخالق لكل شيء وذلك لننفي العدم عنهُ . ورأينا الشيء ينقسم قسمين شيءٌ حيٌّ وشيءٌ غير حيّ فوصفناه باجلّ القسمين فقلنا حيّ لننفي الموتانيةَ عنهُ . ورأينا الحيّ ينقسم قسمين حيّ ناطق وحيّ غير ناطق فوصفناه بافضل القسمين فقلنا ناطق لننفي الجهل عنهُ . والثلثة اسماء هي إلهٌ واحد وهو الاله الذي لا يتبعّض ولا يتجزَّأُ فلا هو ثلثة بمعنى ما هو واحد اي ليس هو ثلاثة ذوات بل ذات واحدة ولا هو واحد بمعنى ما هو ثلثة اي ليس هو صفة واحدة بل ثلاث صفات (٤ فالذات الذي هو عندنا الاب الشيء (٥ والابن النطق والروح القدس الحياة . وهذا رأْينا ومعنى قولنا ان الباري سبحانهُ وتعالى اله واحد ونصفهُ بثلاث صفات جوهريَّة ونقول انهُ ابٌ وابنٌ

١) ويروى : ولربَّ ٢) ويروى : وان يكن

٣) ويروى : من الله سبحانهُ وتعالى

٤) يريد هنا الصفات الشخصية اي الاقانيم الثلثة كما شرحنا ذلك في الحاشية ٣ من الصفحة ١٣

٥) يريد بالشيء المبدأ والاصل الذي منهُ يَصدر الابن والروح القدس وهذا الاصل لم يصدر عن مبدإٍ آخر

وروحٌ قدسٌ زيد بذلك تصحيح القول انهُ تعالى شيءٌ حي ناطق كقولك لهيب النار وضوء النار وحرارة النار وهي نارٌ واحدة ليست ثلاثة نيران . وكقولنا قرص الشمس وضوء الشمس وسخونة الشمس وهي شمس واحدة وليست ثلث شموس . وكقولنا عقل الانسان ونطق الانسان وحياة الانسان وهو انسان واحد وليس ثلاثة اناسيّ

الباب السادس عشر

في رأينا في الابوّة والبنوّة

واماَّ قولنا اباً وابناً فالأُبوَّة والبنوَّة قد تكونان على وجهين إماَّ ابوَّة كثيفة وبنوَّة كثيفة بمباضعة وتناسُل وتقدُّم الاب قبل الابن وتأخر الابن عن الاب مثل زيد عن ابيه وإماَّ ولادة لطيفة بغير مباضعة ولا تناسل ولا تقدُّم ولا تأخر كولادة العقل للنطق وكولادة قرص الشمس للضوء والروائح الطيبة من الشيء الذي تتولَّد منهُ . والى هذا المعنى ننحو في قولنا اباً وابناً لا الى المباضعة والتناسل . فاماَّ الروح القدس فهو حياة الباري تعالى لانهُ لا يكون عاقل ناطق الَّا حيًّا وهذا انما (١ يزيل الظنّ فينا اننا اذا قلنا اباً وابناً وروحاً قدساً اناَّ نجعل لله ابناً من مباضعة وتناسل او انَّ الاب قبل الابن والابن بعد الاب كما يكون الآباء والبنون معاذ الله من ذلك بل اعتقادنا ان الله تعالى لم يزل اباً اي ناطقاً (٢ ولم يزل الابن ابناً اي نُطقهُ

الباب السابع عشر

في قولنا ان الاب إله تامّ والابن إله تامّ والروح القدس إله تامّ وليس هم ثلثة آلهة بل اله واحد

واما قولنا ان الاب إله تامّ والابن إله تامّ والروح القدس إله تامّ وليس ثلثة آلهة بل إله واحد فيجري مجرى من معهُ ثلاث قطع ذهب مثل خاتم وسوار ودُملج فنقول عن كل قطعة من الثلث القطع انها ذهبٌ تامّ وليست الثلث القطع ثلاثة اذهاب (٣ بل ثلاث قطع والذهب واحد لان التثنية والتكثير لا يقعان على الجواهر بل على الاعيان

١) ويروى : مما ‌‌ (٢ ويروى : نطقاً ‌‌ (٣ ويروى : أذهب

الباب الثامن عشر

في انهُ لا يجب ان تكون سائر الصفات التي يوصف بها الباري تعالى اقانيم

ولقائل ان يقول : فقد يُقال سميع بصير قادر رحمان جواد كريم رحيم وما شاكل ذلك من هذه الصفات فأضيفوا كل صفة من هذه الصفات الى الثلثة الاقانيم (١ المقدَّم ذكرها فتصير ثلثين واربعين صفة واكثر من ذلك . فاقول ان اقتصارنا (٢ على الثلث الصفات المذكورة دون غيرها لانها صفات جوهريّة . فايُّ صفة ذكرتَ غير الثلث تجرُّ (٣ معها جوهراً آخر غير جوهر الباري تعالى . مثل ما اذا قلنا «قادر» فقد جرَّت هذه الصفة معها جوهراً آخر وهو المقدور عليهِ واذا قلنا « جواد » فقد جرَّت معها المجود عليهِ . واذا قلنا « سميع » فقد جرَّت معها المسموع منهُ وما شاكل ذلك . واما اذا قلنا انهُ تعالى «شيء» فما تجرُّ هذه الصفة معها جوهراً غيرهُ . واذا قلنا « ناطق » لم تجرُّ معها جوهراً سواه . واذا قلنا « حيّ » فلم تجرُّ معهـا جوهراً غيرهُ . فهذه ثلث صفات جوهريّة كل صفة منها غير الاخرى والاله واحـد امّا بقيّة الصفات فهي صفات لواحق ليست بجوهريّة (٤

الباب التاسع عشر

في كيف وعلى ايّ معنى يسمى السيد المسيح ابن الله

فان قال قائل : فكيف تسمّي السيد المسيح ابن الله وهو ذو جسم داخل عليهِ الاعراض والحدود التي يُحدّ بها البشريون ؟ قلنا ان السيد المسيح عندنا متَّحد من قديم ومُحدَث . فالقديم الكلمة المولود من الذات الذي هو العقل قبل الدهور والازمان الذي بهِ خُلق كلُّ ما يُرى وما لا يُرى من الكثائف واللطائف اعني النطق الذي بهِ خُلقت السماوات والارض وما بينهما . والمحدث هو الناسوت الذي اتّحد بهِ وهو المولود من السيدة مريم الذي لهُ ابتداء وداخل عليهِ الحدود وقابل الاعراض

١) ويروى : الثلاث الصفات

٢) ويروى : اختصارنا ٣) ويروى : تجد معها ، ويروى : ما تجرُّ

٤) وزاد في نسخة : ومع هذا فما يكون شيءٌ من سائر الصفات الاخرى التي يُوصف بها الحي الناطق

فهو إله من حيث هو قديم ازلي وهو انسان من حيث هو ابن السيدة مرتمريم . فعل المُعجِزَ بلاهوتهِ واظهر العَجْز بناسوتهِ والفعلان للسيد المسيح الواحد . كما نقول زيد مائت مضمحلّ بجسده وزيد باقٍ غير مائت ولا دارس بنفسهِ والقولان يُطلقان(١ على زيد الواحد . وكالحديدة التي يحميها الحدَّاد بالنار (٢ حتى تصير نارًا ويطرّقها ويطويها ويقطعها فالشجّ والقطع والطيّ لطبيعة الحديد امَّا طبيعة النار فبريئة من ذلك بل تفعل ما في خاصَّتها وهو الضياء والحرارة والاحراق . فعلى هذا القياس رأينا في السيد المسيح وفي ولوده وفي نموهِ وآلامهِ . وامَّا الظهور اعني ظهور القديم في المحدث فيجري مجرى حدوث العالم من أنهُ جودٌ وكرم من الباري تعالى عزَّ وجلَّ (٣

الباب العشرون

في كيف ان السيد المسيح إله اذ هو قديم ومحدث

فان قال قائل : فكيف تقولون ان السيد المسيح إله وهو مركَّب من جوهرَين(٤ قديم ومحدث . قلنا انا نقول ان السيد المسيح إله وان كان مركَّباً من جوهرَين قديم ومحدث لانهُ اذا اتحد الفاضل بالدون او اللطيف بالكثيف غلب اسم الفاضل على الدون واللطيف على الكثيف . كما انهُ اذا اتحدت النار بالحطب لا يقال نار وحطب بل نار . وكما يقال عشرة انفس اذا كانوا عشرة اناس ولا يقال عشرة اجسام . وكما اذا الانسان قسم بانجيل او بزبور او قبَّل احدهما فالقسَم والتقبيل لِما فيهما لا للورق والمداد . وتبجيل المداد والورق لاتّحاد كلام الله بهما وكونهما مصحفاً واحدًا . وكمثل ما اذا وصل الى الانسان كتاب من انسان يجلُّ قدرهُ عندهُ فيقبّلهُ ويضعهُ على عينيهِ فذلك اكرامٌ وتبجيلٌ لما فيهِ امَّا تعظيمهُ للكتاب فلاتحاد لفظ مُرسِلهِ بهِ من غير مفارقة العقل الوالد للفظ

١) ويروى : مطَّردان

٢) ويروى : وكما انَّ الحداد يأخذ قطعةً من حديد فيحميها بالنار . . . .

٣) يريد انَّ ابن الله الذي هو إله قائم بذاتهِ منذ الازل انَّما ظهر في الزمان في طبيعتنا البشريَّة بلا اضطرار انَّما حملهُ على ذلك جودهُ وكرمهُ كما انهُ خلق العالم جودًا وكرماً غير مضطرّ الى خلقهِ ٤) ان لفظة الجوهر هنا بمعنى الطبيعة . والجوهران لاهوت المسيح وناسوتهُ

الباب الحادي والعشرون

في قول الفلاسفة ان الباري علّة العلل

اذ قد اوضحنا ما قصدنا بيانهُ واوردنا ما لا يُدفع برهانهُ ها نحن نورد كلاماً (١ يسيرًا في قول الفلاسفة ان الباري تعالى علّة العلل . ونقول انهم لم يريدوا بذلك انهُ علّة للعالم لانهم قالوا ان العلة ما اوجبتْ (٢ حكماً ما من غير ان يكون لها في ذلك الحكم فعلٌ إرادي والحكمُ مقتضٍ للعلة وموجبها ولذلك وجب ان يكون العالم (٣ قديماً . لكنّنا قد اثبتنا (٤ من دليل العقل الذي هو كالمحكّ والمعيار ومن العالم نفسهِ انهُ محدث مركّب من جواهر متباينة وليس يدلُّ العقل على ان يكون المركّب والمختلف الجواهر والانواع قديماً بقدم الباري الواحد البسيط الغير المركّب . واذ قد اتّضح لنا ان ليس العالم معلولاً قديماً بقدم العلة الاولى (٥ بقي ان نبيّن ما المعلول الذي هو قديم بقدم هذه العلة . فنقول انهُ النطق والحياة الذي ليس للباري فيها فعل إرادي . واما العالم فالباري تعالى هو علّتهُ الفاعلة والصانعة لهُ لا علّتهُ الجوهريّة

الباب الثاني والعشرون

في البعث والنشور بعد الاضمحلال والدثور

اذ قد بيّنّا (٦ بدلائل عقليّة وبراهين منطقيّة واجوبة فلسفيّة وجودَ الباري تعالى ووحدانيّتهُ وقِدَمهُ وبقيّة ما تقدَّم ذكرهُ بقي ان نورد كلاماً يسيرًا مقنعاً ان شاء الله تعالى في البعث والنشور والمجازاة مُقابل الافعال (٧ الصالحة والمكافأة بازاء الافعال الطالحة فنقول : انّهُ لمّا كان سائر الناس منهم صالح ومنهم طالح ورأينا ان ليس كل الصالحين مستقيمي الاحوال والطالحين معذّري الامور وليس كل جماعة الاخيار معذّري الاحوال وسائر الاشرار مستقيمي الامور . بل نرى صالحاً مستقيمة امورهُ وطالحاً معذّرةً احوالهُ وصالحاً معذرةً امورهُ وطالحاً مستقيمة امورهُ فعلمنا ان الله تعالى فعل ذلك بحكمتهِ لانهُ لو كان سائر الاخيار امورهم جيّدة وجماعة الاشرار

---

١) ويروى : برهاناً ٢) ويروى : هي الموجبة

٣) ويروى : ان يكون كونها . ويروى : كونهُ ٤) ويروى : وقد ثبت

٥) وفي نسخة : ليس العالم معلول العلّة الاولى . وهو غلط ظاهر

٦) ويروى : اثبتنا ٧) ويروى : الاعمال

احوالهم رديئة لقال الناس « ان هذه الدار دار المكافأة والمجازاة وليس هناك ما يُرتجى ولا ما يُتّقى وليس بعد الاضمحلال والدثور بعثٌ ونشور ولا مكافأة ولا مجازاة » . ولو ان سائر الاشرار رائجة احوالهم وكافَّة الاخيار معذرةٌ امورهم لصار الناس اجمعون اشرارًا رغبةً في العاجل لقلّة يقينهم في الآجل . بل ترك الله الامور على هذا النظام الحسن لنستدلّ انَّ هناك الهاً قادرًا يرزق منٍ يشاء ويمنع من يشاء . وان ذلك سياسة جليلة وتدبير فاخر وان ليس هذا العالم عالم المكافأة والمجازاة بل عالم المكافأة والمجازاة غير هذا . ولو لم يكن ذلك كذلك لكان الالهُ الموجود الموحَّد (١ جوهرهُ المثلّثة اقانيمهُ القديم المحدث للعالم لا لحاجةٍ بهِ اليهِ بل جودًا وتفضُّلًا وإنعاماً على الانسان غيرَ عادل وحاشا لعلوّهِ من ذلك . بل الامور نفسها والعقل يدلُّ على عدلهِ وانصافهِ وانهُ لا يُهمل صغيرةً وان لَطُفت ولا يتغافل عن كبيرة وان عَظُمت ولذلك لم يترك الانسان ان يتهوَّر في هوتة الكفر والطغيان فنقول :

كيف يمكن ان يعود الانسان وقد صار تراباً وتجزّأ اجزاء متفرّقة وصار في حواصل الطيور وبطون الحيتان . بل جعل لذلك دلائل لا يبعدها العقل وصيَّر النخلة وعظمها مع سائر الاشجار وكبرها من نواة لا قدر لها . وجعل ابتداء الانسان وعِظَم جسمهِ وتمييزهُ وعقلهُ ونطقهُ مع نظرهِ وسمعهِ من نطفةٍ لا بزر لها . ودودة القزّ المنقلبة من حال الى حال الى ان تصير طائرًا متحركاً من بزرة دنيَّة في لطفها . وشجرة القنّب والخردل من حبَّة لا عِظَم لها لكي اذا رأى الانسان هذه الامور وما شاكلها ونظر الى صنعة الباريء تعالى نظرًا مستقيماً علم انَّ القادر لا يعزب عنهُ شيء وان عَظُم عندنا وان إعادة الموجود على الصانع بعد انحطامه اسهل من اظهارهِ من العدم الى الوجود

فان قال قائل : فلِمَ جعل الله بعض الحيوان مشاكلًا (٢ لبعضهِ وجعل بعضهُ دون بعض وبعضهُ ممقوتاً وبعضهُ محبوباً والناس ايضاً واحدًا فقيرًا وآخر غنياً وآخر فرحاً وآخر حزيناً (٣ . قلنا : انهُ فعل ذلك بحكمةٍ لانهُ جعل للحيوان الصامت صورًا مختلفة وانواعاً متباينة وجعل منهُ غذاء (٤ للانسان ومنهُ ما يُستعان بهِ ويُنتفع ومنهُ ما يكون داء ومنهُ دواء ليتّعظ بذلك الانسان ويعلم فضل الباريء تعالى عليهِ واحسانهُ اليهِ وانهُ ميّزهُ على سائر الحيوانات والمخلوقات كلها بالعقل والنطق ليكون مقبلًا

١) ويروى : الواحد ٢) ويروى : آكلًا ٣) ويروى : محزونًا ٤) ويروى : عدوًّا

على فعل الصلاح الذي ابتدأهُ شاكرًا لله ومُعرضاً عمّا سواهُ (١ . فامّا الحيوان الصامت فلم يجعل لهُ عَودة ولا مكافأة بل جعلهُ مثل الحشيش الذي لا يتّقي وطيهُ ولا يخشى قطعهُ وحرقهُ . نعم وجعل ايضاً في الحشيش بعضاً يُجَلّ ويختار وبعضاً يُطرح (٢ وهذه الامور وما شاكلها انما فعلها الباريء تعالى لنعلَم ان لها خالقاً وصانعاً وانها لم تصرْ هي من ذاتها . ومع هذا فقد نرى الفاخوريَّ يصنع اوعية بعضُها للهوان وبعضها للكرامة ولو كانت الاوعية التي كانت للكرامة تعقل وتنطق لَشكرت الفاخوري على ما اسداهُ اليها من الجميل وعلى ما فضّلها بهِ على غيرها . فاذا كان ذلك كذلك أفيجوز ان نقول نحن الناطقين الذين قد فضّلنا الباريء تعالى وهو المسلّط الحكيم القادر على سائر خلقهِ : لمَ وكيف وكيت وكيت ؟ كلّا بل نعترف باحسانهِ الينا وفضلهِ علينا ونفعل ما يشهد العقل بانهُ يُرضيهِ ونتجنّب ما يسخطهُ . وان كان لا يصل اليهِ من الجميل الذي يفعلهُ الانسان نفعٌ ولا ينالهُ من القبيح الذي يفعلهُ ضررٌ لكنَّ طاعة الرئيس نبيلة واتباع اوامر المولى جليلة . ولو كان الباريء تعالى اذ لا يصل اليهِ منفعة من طاعة المطيع ولا ضرر من معصية العاصي لا يعاقب على ذلك ولا يُثيب لكان (وحاشا لعلوهِ وجلالهِ) كصنم حجَري موضوع في زاوية لا يُكرم مكرِمَهُ ولا يُهين مهينهُ . ومع هذا كلهِ فلو جعل الله كل المخلوقات منهُ من سائر الحيوانات ما عَظُم منها وما صغر اناساً بهيّين عقلاء ناطقين وجعل الناس ايضاً كلّهم اغنياء وسلاطين لَبطل ترتيب العالم الحسن وفسد نظامهُ الجليل . بل جعل بعضاً محتاجاً الى بعض وبعضاً منتفعاً ببعض لتعمر هذه الدار وتُعرف قدرتهُ وسلطتهُ وليكون ذلك الغني يُحسن الى المساكين فيُثاب بالنعيم في الفردوس الباقي مضافاً الى ما أُعطيهُ من الغنى الفاني وليشكر ذلك المسكين الله على ما هو عليهِ من الحاجة فيثاب ايضاً بنعيم الآخرة (٣ الذي ليس لهُ انتهاء اذ ليس ينتفع الغني بغناهُ الّا بما عساهُ يفعلهُ من الجميل الذى تقدّم ذكرهُ (٤ الذي ابتداؤهُ الشكر لله ولا ينظر الفقير الى فقرهِ الّا بما

١) ويروى : ليكون على فعل الصلاح الذي ابتدأهُ بالشكر لله مقبلًا وعمّا سواهُ معرضاً
٢) ويروى : بعضاً يبجّل عن بعض ويختار عن الذي يُطرح
٣) ويروى : الأُخرى
٤) ويروى : الذي يقدّمهُ لهُ

لعلَّهُ يسديه الى ذاته من القبيح الذي اعظمهُ التسخُّط وقلة الشكر اذ قد جعل الباري تعالى الموت غاية الفريقين

ولربَّ قائل يقول ان الانسان انما هو النفس الحيَّة العاقلة الناطقة وامَّا الجسم فانما هو آلةٌ لها كالاداة للصانع لاننا قد نرى الجسد اذا فارقتهُ النفس يبقى طريحاً لا حراك لهُ ولا فعل لهُ فالعقاب اذاً والثواب يجب ان يكون للنفس لا للجسد واذا كان ذلك كذلك فلا حاجة الى اعادة الجسم ولا الى نشوره . قلنا : ان الباري تعالى لو فعل ذلك اعني عقابهُ وثوابهُ للنفس خلواً من الجسد لكان ذلك غير عدل وحاشا لعلوهِ وجلالهِ وعدلهِ من هذا لأنَّ للنفس ان تقول : انك يا رب انت خلقتني خلقاً لطيفاً وركَّبتني بجسم كثيف ذي حواس خمس ذوق وسمع وبصر وشمّ ولمس وحركة وشهوة فجذبني الى هواه (٢ وغلبني على اختياري أفتُعاقبني دونهُ واجعلْ اننا شريكان قد جنينا جناية او ضمنَّا ضماناً أفمن عدلك ان تطالب الواحد دون الآخر او تثيبهُ او تعاقبهُ . فمن هاهنا قلنا انَّهُ يجب لعدل الباري تعالى (ولو لم تقل النفس ما تقدَّم ذكرهُ) ان تُنشر الاجسام لتأخذ كل نفس جسدها الخاص الذي معهُ وبهِ فعلت الجميل والقبيح ويكون الجزاء لجميعها كما كان الفعل لكليهما . ويجب ايضاً ان تكون اجسام لطيفة لا كثيفة والَّا فاحتاجت الى طعام وشراب وكسوة وغير ذلك مما لا غنى لها عنهُ (١ في عالم الكون والفساد . بل انَّ القادر الذي لا يعزب عنهُ امر وان عظم ينقلها مع اعادتها من الكثيف الى اللطيف ويكون الصالح في لذَّة لا توصف ولا تدرك . وافضلُ الامور واسناها قربهُ الى الله تعالى . وامَّا الخاطئ فيكون في عذاب وعقاب من نار لا تُطفأُ ودودٍ لا يموت وظلمة لا ضوْ فيها . واعظم من هذا البُعدُ من الله لانَّ الخاطئ لم يُخلَق من الله خاطئاً ولا مجبوراً بل خيِّراً مخيَّراً فحاد باختياره عن سبيل التقى وتهوَّر بارادتهِ في هوتة الرَّدى ولذلك وجب عليهِ العقاب الذي ليس لهُ انقضاء . كما وجب للصالح السالك الطريق المستقيم بعَدْل الباري تعالى عزَّ وجلَّ النياح الذي ليس لهُ انتهاء . ولله الاب والابن والروح القدس الاله الموحد الذات المثلَّث الصفات

١) ويروى : لا غنى عنها بهِ ٢) ويروى : في هواهُ الردي

يليق السبح والمجد والعزّ والشكر والحمد الان وكلّ اوان والى ابد الدهور (١

(تنبيه) ورد في احدى نسخ مكتبتنا الشرقية ما نصهُ : « علقهُ بيده الفانية العبد الفقير سليمان صباغ من محروسة عكا الكاثوليكي مذهباً الى اخيه (هنا بياض في لاصل) جرجي ابن شكرالله جروة الاكرم القاطن يومئذٍ في دير سيدة النجاة كرسي بطركية السريان وكان الفراغ منهُ في ١٨ ايار سنة ١٧٩٠ »

مسئلة واحدة (٢

في نَسْخ شريعة اليهود من التوراة والانبياء

انَّ اليهود آمنوا في موسى ومن كان بعدهُ من الرسل وانكروا سيدنا المسيح وقالوا انهُ جاء بخلاف التوراة التي أنزلها الله وان الشرائع التي امر بها موسى حكمةٌ والحكمة لا يجوز ان يَنهى الله عنها في وقتٍ . ولو جاز ان ينهانا عن الحكمة التي آمر بها لجاز ان يأمرنا بالجهل الذي نهى عنهُ . وقالوا : لمَّا أمرنا الله بترك العمل يوم السبت والختان لثمانية ايام وما اشبه ذلك من الشرائع عَلِمْنا انهُ لم يأمر بها الّا وهي حكمةٌ والحكمة لا يجوز ان ينهي الله عنها في وقتٍ من الاوقات ويُمضيها في وقت آخر

وقال بعض اليهود انَّ الله اذا امر بشريعة فقد يجوز ان ينسخها الّا ان يقول « هي عليكم الى الابد » فاذا قيَّدها بالابد لا يجوز ان ينسخها اصلًا . ولو جاز ان يقول « هي عليكم الى الابد » ثمَّ ينسخها لجاز ان يقول لكم نبيُّكم « انهُ لا نبي بعدي » ثمَّ يكون بعدهُ نبيّ . فلمَّا لم يَجُزْ ذلك لأنَّ فيهِ تكذيباً للخبر لم يَجُز ايضاً ان يأمر بشريعةٍ الى الابد ثمَّ ينسخها . وقدقال لنا موسى : السبتُ عليكم الى الابد والختان لثمانية ايام عليكم الى الابد (تكوين ١٧ : ١٠ وخروج ٣١ . ٢٦) فقولهُ « الى الابد » يُحمَل على الظاهر ولا يحتمل التأويل . وقد قال ايضاً : «من

١) ويروى : والى دهر الداهرين امين

٢) وجدنا هذه المقالة بين مقالات ابن الراهب في احدى نسخ مكتبتنا الشرقية فأحببنا نشرها مع بقية آثاره النفيسة

جاء يدعوكم الى خلاف هذا الناموس فاقتلوهُ . فهذا دليلنا على انَّ المسيح ليس بمحقّ . ولو وجب تصديقهُ لوجب تكذيب موسى وهذا لا يجوز لأن الامم قد أجمعتْ على صدقه

الجواب

نقول لمن انكر النَّسخ من اليهود : أخبرونا عن قاين بن آدم اذ قتل اخاه هابيل بماذا حكم اللهُ بهِ . فان قالوا شرَّدهُ وغرَّبهُ وذلك لأنَّ التوراة تخبر انَّ قايين لمَّا قتل اخاهُ لعنهُ الرب فقال قايين : يارب انَّ ذنبي اعظم من ان يُغفر . فقال الله لهُ : لقد لعنتُكَ وطردتُكَ وجعلتُ فيك علامةً لئلَّا يقتلك من يجدك (تكوين ٤ : ١ — ١٦) . قلنا : أفليس الله قال في التوراة انَّ مَنْ قتل فاقتلوهُ ? (خروج ٢١ : ١٢) فان قالوا « نعم » قيل لهم : أفليس الله قد حكم في القاتل بحكمَيْن مختلفَيْن فلِمَ لا يجوز ان يُقيم شريعةً بعد أُخرى ويكون ذلك حكمةً ?

ويقال لهم : انَّ الله قال في التوراة لموسى : من اراد ان يقرّب قرباناً ثورًا او غنمةً او معزى فليجيءْ بهِ الى الحبر عند باب قبَّة الزمان فيدفعهُ اليهِ ليقرّبهُ قرباناً بين مذبح الربّ والذي يقرّب قرباناً خارجاً عن المحلّة ولا يجيءُ بهِ الى باب قبَّة الزمان ويدفعهُ الى الحبر ليقرّبهُ فليُعَدّ ذلك الدم لذلك الرجل دماً مسفوكاً ولتُبَدْ نفسهُ من شعبهِ . فأمر ان لا يقرَّب قربان الّا على باب قبَّة الزمان على يد الحبر واوجب القتل على من قرَّب في غير ذلك الموضع فحكم بذلك وعُمل بهِ دهرًا طويلًا (سفر الاحبار ١٧ : ٤) . ثمَّ انَّ الله قال لرجلٍ من بني اسرائيل يقال لهُ جدعون في سفر القضاة بقرية يقال لها جان (?) فقال لهُ : خذ بعلًا صَنَمَ ابيك وثورًا قد أتى عليهِ سبع سنين فقطع شوى الصنم وقرّب لله قرباناً . ففعل جدعون ذلك فرُفعت القربان . وهذا خلاف الامر الاوَّل ونَسخ الحكم الاوَّل (سفر القضاة ٦ : ٢٥ — ٢٦)

وايضاً انَّ الله امر ابرهيم بالختان فاختتن وهو ابن مائة سنة وختن ابنهُ اسمعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة ثمَّ ختن بيتهُ وآلهُ وكلَّ مولود لهُ عند قول الله « هذه سنَّة لكم الى الابد » ولم يزالوا يختتنون الى وقت خروج بني اسرائيل مع موسى من مصر واقاموا في البرّيَّة اربعين سنةً لم يختتنوا اصلًا ومات موسى وهم هكذا

تاركون الختان . وهذا خلاف الامر الاوَّل وموجب وفي الآخر ختنهم يشوع بن نون عند دخول ارض الميعاد (سفر يشوع ٥ : ٢) وهو خلاف الحكم الاول . فان قالوا : انما ازال ذلك عنهم لأنهم كانوا في قفر . قيل لهم : فان جاز ان يزيل امرًا لعلّة يجوز ايضاً ان يَنسخ شريعةً لعلّة

ومن ذلك انهُ قال في التوراة انَّ الخمر حرام على هـارون وولده ولا يدخلوا المقدس وفي اجوافهم منها (حزقيال ٤٤ : ٢١) واحلّها لسائر بني اسرائيل وكانت الخمر حراماً في وقت واحد على هارون وبنيه وحلالاً على سائر بني اسرائيل . فاذن جاز ان يُحكَمُ في وقت واحد بحكمَين مختلفين على فرقتين فيحلّ لهذه ما حُرم على هذه . فلِمَ لا يجوز ان يحكم بحكمَين ايضاً مختلفَين في وقتَين فيحلّ لنا مـا كان على بني اسرائيل حراماً

ومن ذلك انهُ قال لموسى : قل لبني اسرائيل : اذا كان يوم الاربعة عشر من شهر الزهر فليذبح اهل كل بيت حملًا وليأخذوا من دمـهِ وليرشُّوا على الاسفار وعَتبات البيوت ثمَّ يشووا ذلك الحمل ويأكلوهُ بخبز فطير وبَقلة وهم مستعجلون ونعـالهم في ارجلهم وعصيّهم في ايديهم واوساطهم مشدودة (الخروج ١٢ : ١ — ١٢) . ثمَّ انَّ الله كلَّم موسى وقال لهُ : انَّ هذا الحمل الذي امرتُ بني اسرائيل بذبحـهِ يوم الاربعة عشر من الشهر فلا يُذبح الّا في الارض المقدَّسة يعني بيت المقدس وهذا ايضاً خلاف الحكم الاوَّل وذلك انهُ نهى عن الذبح بعد ان كان امر بهِ وصارت اليهود حيثما كانوا من البلاد يأكلون الفطير سبعة ايام من اربعة عشر من الشهر الى احد وعشرين من نيسان ولا يذبحون الحمـل لأنَّهُ حُظِر عليهم الّا في بيت المقدس ولم يحظر عليهم الفطير (تثنية الاشتراع ف ٢٨)

وممَّا حظرهُ الله على قومهِ واطلقهُ لغيرهم الجمع بين الاختين في وقت واحـد (الاحبار ١٨ : ١٨) وكان اسرائيل (يعقوب) جمع بين الاختين في وقت واحد (تكوين ف٢٩) وهو عندهم معصوم لا يجوز عليهِ المخالفة ثمَّ انَّ الله حظر ذلك في التوراة

ومن ذلك انَّ الله قـال في التوراة لبني اسرائيل حسّنوا قصَّ شعوركم وعنافق لحاكم ولا تحلقوا اوساط رؤوسكم . ولمَّا كان في زمن حزقيال النبي وقع الخلاف

بين بني اسرائيل فكان يهوذا في حيّز وسائر بني اسرائيل في حيّز آخر واسرف القوم في فعل المعاصي فاراد الله ان يشوّه بالقوم ويعلمهم انهم مرذولون عندهُ مسخوط عليهم فقال لحزقيال : خذ موسى حادةً واحلق رأسك ولحيتك . ففعل حزقيال ذلك . وهذان ايضاً امران مختلفان لأنهُ كان امر بني اسرائيل ألّا يحلقوا اوساط رؤوسهم وان يحسنوا قُصاص شعورهم ويزينوا العنافق . ثمَّ امر حزقيال ان يحلق راسهُ ولحيتهُ ويشوّه بنفسهِ وهذان امران مختلفان (احبار ٢١ : ٥ وحزقيال ٥ : ١)

وايضاً انَّ الله امر حزقيال ان يجمع طعاماً مختلفاً من حبوب مختلفة فيطحنها ويخبزها على العذرة ويأكلها . وذلك انَّ بني اسرائيل تنجّسوا فزعموا انَّ الله امر حزقيال النبيَّ بذلك لعلمهِ انَّ القوم على غاية النجاسة . وانَّ ذلك اشتدَّ على حزقيال النبيَّ فبكى وخضع لله وانَّ الربَّ ازال عنهُ الامر الذي كان امرهُ بهِ وقال لهُ : اجعل ما تخبزهُ على خِثي البقر . فهذان ايضاً امران مختلفان امر بهما في وقتَين (حزقيال ٤ : ١٢ — ١٥)

وايضاً انَّ الله امرهم أن لا يوقدوا في منازلهم نارًا في يوم السبت (خروج ٣٥ : ٣) ثمَّ امرهم ان يذبحوا في اربعة عشر من شهر نيسان حملًا ويشووهُ (خروج ١٢ : ٨) وقد يجوز ان يدور ذلك اليوم ويقع يوم السبت فلا بُدَّ لهم من نار فيه . فقد نقض الامر الاوَّل وهذا يوجب اكثر من النسخ لأنَّهُ يوجب التنافي والتضادَّ والنسخ لا يقع فيهِ التنافي ونحن نجد في كتابهم نسخ الخبر على انَّنا نحن لا نجيز عندنا نسخ الخبر لأنَّ نسخ الخبر كذب الّا ان يتلوهُ نسخ الحكم

امَّا قول بعضهم ومن جملتهم رأس الجالوت (١ انَّ الشريعة اذا قيّدها الله بخبر وقال « هي عليكم الى الابد » لم يَجُز ان ينسخها وقد قال انَّ السبت عليكم الى الابد . وقد قال ايضاً : « مَنْ جاء يدعونكم الى غير هذا الكتاب فاقتلوهُ » . فنقول انَّ التوراة وسائر الكتب تطلق الكلام الذي مخرجهُ مخرج العموم ومعناهُ في الحقيقة الخصوص وتجعل معهُ ادلّة تدلُّ على خصوصهِ امّا من خبر او قياس وذلك انَّ كلَّ خبر يدلُّ على ان مخرجهُ العموم فهو منزل على عمومهِ الّا ان يدلَّ على خصوصهِ بخبر ثانٍ او بحجّة من جهة المعقول . فممّا جاء في التوراة عمّا هو على العموم في

١) راس الجالوت عند اليهود احد روسائهم الكبار

اللفظ ومعناهُ الخصوص فانهُ قيل انَّ ابرهيم أَعطى اسحاق ابنهُ كلَّ شيءٍ له ثمَّ قيل بعقب هذا الكلام واعطى ابرهيم لبنيهِ الذين من قيطورة عطايا ووجَّه بهم الى الشام (تكوين ٢٥ : ٥ — ٦) . فلو كان الكلّ هاهنا يراد بهِ الاشياء كلها لم يكن عند ابرهيم ما يُعطيهِ لبني قيطورة فذلك دلَّ على انَّ الكلَّ هاهنا البعض

وقالت التوراة انَّ حوَّاء كانت امَّ كلّ حيٍّ (تكوين ٣ : ٢٠) وليست هي امَّ كلّ حيٍّ وانَّما هي امُّ الاحياء من الناس لا الحمير ولا البقر ولا الابل وباقي الحيوانات

وقال داود في مزموره «كلُّنا هلكنا وفنينا» يعني بني اسرائيل فلو كان يراد بهِ الكل لم يبقَ موجودًا في الارض بعد داوُود اسرائيليٌّ

وكذلك ذكر الله الابد في مواضع كثيرة من التوراة ثمَّ جعل ذلك الابد وقتاً محصورًا معلوماً . فمن ذلك انَّ التوراة تقول : ايُّ رجلٍ كان لـهُ عبد فليَستخدمْهُ ستَّ سنين فاذا كانت السنة السابعة فليعتقهُ وان أَبى ذلك العبد العُتق فليقدمهُ مولاهُ الى عَتَبة الباب ثمَّ ليثقب اذنـهُ ويتَّخذهُ عبدًا الى الابد واذا كان بعد خمسين سنة فليعتقهُ . (خروج ٢١ : ٢ ولاويّون ٢٥ : ٤١) فكان الابد هاهنا خمسين سنة

وايضاً انَّ الله قال : انَّ مدينة صور تخرب ولا تُعمَّر ابدًا ثمَّ قـال بعقب هذا الكلام ان صور تعمَّر بعد سبعين سنة (حزقيال ٢٧ : ٣٦ واشعيا ٢٣ : ١٥)

والتوراة تخبر بان الانسان اذا سرق سرقةً ثمَّ أُصيبت معـهُ ان تؤخذ منهُ ويكون عبدًا ابدًا لصاحب الشيءِ (خروج ٢٢ : ١ — ١٠ فكان الابد هاهنا عمر الرجـل

وقال الله في كتاب شمويل النبيّ في قصَّة عالي الكاهن : «قد كنتُ قلتُ قولًا انَّ بني بنيك يخدموني الى الابد فامَّا الان فيقول الربُّ : حـاشَ لي من ذلك» (١ ملوك ٣ : ١٣ — ١٤) فهذا اللفظ يدلُّ على انَّ الابد قُطع وبُتر . وكذا قولهُ في السبت ان يمسكوهُ الى الابد . اذ قـد يجوز ان يُراد بهِ كلَّ الدهور ويجوز ان يُراد بهِ المدَّة والاوقات المحصورة مثل مـا ذكرنا . وقد تأوَّلوا العمل يوم السبت وجعلوهُ خاصًا ومخرجهُ مخرج العموم لأَنَّ الله قـال لموسى : لا تعمل كلَّ عمل . وهم الآن يعملون يوم السبت اعمالاً كثيرة من اكل وشرب ولبس ثياب واستقاء ماء

ومجيء وذهاب . وهذه الامور كلّها عمل وقد حُرّم عليهم في ظاهر الخبر كلّ العمل فقال انهُ ان كان لفظهُ عاماً فانّ معناهُ خاصّ فسوّغوا ذلك لانفسهم . وكذلك ايضاً الابد فانهُ يجوز ان يكون خصوصيًا وان كان مُخرجه مُخرَجَ العموم

نبذة ثانية في نسخ الشرائع

قد وجدنا في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة التي حصلنا عليها حديثًا نبذة في معنى المسألة السابقة وهي مباحثة جرت بين ابرهيم النظّام ويسًا بن صالح اليهودي . وكان يسًا انكر جواز نسخ الله لما اشترعهُ على يد موسى النبيّ . وهذه الطرفة كما ترى قديمة راقية الى القرن التاسع للمسيح لانّ ابرهيم النظّام كان في زمن الخليفة المعتصم بالله (٢١٩ – ٢٢٧ ﻫ = ٨٣٤ – ٨٤٢ م) وكان من كبار الفلاسفة من شيعة المعتزلة وقرّر حرّية الانسان في اعماله . وقد وجدنا هذه النبذة في نسخة اخرى في مكتبة الاديب جرجي بك صفا . فها نحن نوردها بحرفها

زعموا انّ ابرهيم النظّام اجتمع مع يسًا بن صالح اليهوديّ فقال يسًا لابرهيم : اذا امر الله بشريعةٍ أليس لم يأمر بها الا وهي حكمة ؟ فقال ابرهيم : نعم . قال يسًا : أفليس قد جاز عندك انّ الله يأمر بشريعةٍ فيُعمَل بها زمناً ثمّ يأمر بتبطيلها البتّة وفِعْل غيرها فكانهُ اذا نهى عن فعلهِ فقد نهى عن فعل الحكمة؟ . قال ابرهيم : انّ الحكمة على ضربَين : حكمة بعينها لا لعلّة كالعدل والايمان والصدق وفعل المعروف . فَلَذلك شيءٌ لا يجوز أن يَنهى الله عنهُ ابدًا . وحكمة صارت حكمةً لعلّة الآمر بها مثل التعبّد والصلاة والصيام فما أمر الله من هذا فحسن وحكمةٌ حسن واذا نهى عنهُ وامر بغيرهِ فالمأمور به حسن وحكمة وانّما الحكمة في ذلك ايثار طاعةِ الله والوقوف عند امرهِ لانهُ وقعٌ حسن فامر بهِ وطاعتهُ فيهِ حكمة ثمّ نهى عنهُ فامر بغيرهِ وطاعتهُ ايضاً فيهِ حكمة . وليس ذلك كالصدق الذي هو حسنٌ ابدًا وضدّهُ قبيح

قال يسًا : فما ينكر ان تكون شريعة موسى التي امر بها حسنة وانّ نسخها غير جائز (١ . قال ابراهيم : لا يجوز ذلك لأنّ الشريعة اذا كانت حسنة لاعيانها عَرَفَ الناس حسنها جاء بها رسولٌ او لم يجيء بها وهو نحو الاحسان الى المحسن وترك

١) كذا في نسختنا . وفي نسخة جرجي بك : نسخها جائز

الظلم ولزوم الصدق واما الاشياء المفيدة بالعلل كالصلاة والصوم فانهُ لولا الرسول ما علمنا انَّ الصلاة واجبة ولا انَّ ترك الصوم في وقتهِ حرام ولو لم يقل موسى انَّ العمل يوم السبت حرام لَمَا علمنا ان ذلك حرام وما كان بين السبت والاحد فرق فلمَّا كنَّا لا نعرف هذه الخلال مفترضة الَّا من جهة السمع ولولا انَّ الرسول تعبَّد الناسَ بذلك لَمَا عرفوهُ فبطل قولك انَّ شرائع موسى حسنة لاعيانها

قال يسَّا (١ : افيجوز ان يتعبَّد الله الناسَ بشريعةٍ على لسان موسى ويقول « هي عليكم الى الابد ومن لم يعمل بها فاقتلوهُ » ثم ينهى عنها . قال ابرهيم : نعم قد يجوز ذلك لأن موسى أَوْجب قبولهُ بالآيات والجرائح المعجزة فتعبَّدَ الناس بالشرائع (٢ واخبرهم انَّ الله فرض ذلك فوجب ذلك فمن اتى بمثل ما اتى بهِ موسى من الجرائح والآيات المعجزة وجب قبول قولهِ كما وجب قبول موسى . ولو جاز ان يكون المسيح قد كذب (٣ مع الآيات التي اظهرها كان الكذب ايضاً جائزًا على موسى فلمَّا كان الكذب منفيًا عنهما ثبت أَنَّهما محقَّان وان قول موسى « هي عليكم الى الابد » يُعلم من جهة التأويل وانهُ انما اراد بالابد الدهر الطويل والمدة المعلومة . والآن من اتى من بعد موسى لم يأتِ بتعطيل شيءٍ من الاشياء التي حسَّنها الله لاعيانها وانَّما جاء بنسخ ما حسن العمل بهِ لعلَّةٍ في الامر والنهي وقد قال ارميا النبي في كتابهِ (ف ٣١عد٣١-٣٢) : « يقول الرب سأشرع لاسرائيل ولبيت يهوذا عهدًا جديدًا لا كالعهد الذي شرعتُ لهم اذ اخرجتهم من مصر » . فقد اخبر انهُ جائز ان يأمر الله بشريعةٍ ثمَّ يأمر بغيرها بعد ذلك

ثمَّ قال ابرهيم ليسَّا اليهودي : تقرُّ انَّ الله امر ابرهيم بذبح ابنهِ حكمة ام جهل ؟ . قال يسَّا : لا بل حكمة . قال ابرهيم : اليس اخذ ابرهيم السكين والحبل والحطب وصعد الى الجبل بابنهِ ليذبحهُ فلمَّا وضع السكين على حلقهِ نهاهُ الله عن ذلك . قال يسَّا : نعم . قال ابرهيم : فنهاهُ الله عن الحكمة لايّ حالٍ ؟ . قال يسَّا : الله امر ابرهيم بذبح ابنهِ ليمتحنهُ أَيطيع ام لا ثمَّ امتحنهُ بتركهِ ليطيع .

١) يروى هنا في نسختنا : مَنَسَّا
٢) وفي احدى النسختين : بشرائعهِ
٣) ويروى : ان يكون الكذب جائزًا على المسيح

قال ابرهيم : صدقت فليس اذن بيننا خلاف في هـذا انمّا الخلاف في اننا نقول انّ الآمر بالشيء اذا امر بهِ حكمة والناهي عنهُ اذا نهى ايضاً حكمة لانّ لنا في كلا الامر الصلاح وانت تنكر ذلك (تمّ)

مقالة

للشيخ يحيى بن عدي

في صحة اعتقاد النصارى في الباري جلّ وتعالى انهُ جوهر واحد ذو ثلاث صفات

توطئة

قد اشتهر في ايام المُطيع لله الخليفة العباسي رجل مسيحي من النحلة اليعقوبية يدعى ابا زكرياً يحيى بن عدي بن حميد بن زكرياً وُلد في تكريت وانتقل الى بغداد . قال ابن ابي أُصيبعة في كتاب طبقات الاطباء (٢ : ٢٣٥) : « واليهِ انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقتهِ قرأ على ابي بشر متّى وعلى ابي نصر الفارابي وعلى جماعة أُخر وكان اوحد دهره . ومذهبهُ من مذاهب النصارى اليعقوبية وكان جيّد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية وكان كثير الكتابة ووجدتُ بخطهِ عدّة كتب » . وممّا جاء عنهُ في كتاب الاطباء للقفطي انهُ كان يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة . وانهُ نسخ بخطهِ نسختين من تفسير الطبري وكتباً اخرى لا تحصى . وكان اوصى تلميذهُ ابا علي اسحاق ابن زُرعة ان يكتب على قبرهِ هذين البيتين :

رُبَّ ميتٍ قد صار بالعلم حيّاً ومبقًّى قد مات جهلاً وعيّاً
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدُّوا الحياة في الجهل شيّاً

وكانت وفاة يحيى بن عدي في بغداد في شهر آب سنة ٩٧٤ للمسيح ودُفن في بيعة مار توما بقطيعة الدقيق» . وليحيى بن عدي تصانيف عديدة وتآليف عجيبة في الفلسفة وفروعها فُقد اكثرها وقد وقفنا لهُ في مكتبتي باريس ورومية على بعض مصنَّفات جليلة استنسخناها لفوائدها . فمن ذلك رسائل عديدة وجدناها لهُ في مكتبة باريس عن المعتقدات النصرانية نقتطف منها مقالة في التوحيد والتثليث نقلاً عن النسخة الخطيَّة المحفوظة هناك تحت العدد ١٦٩ من الصفحة ٢١ الى الصفحة ٣٢ يرتقي عهد خطّها الى سنة ١٦٥٤م وقد قابلناها على النسخة الرومانية المصونة في مكتبة الواتيكان

(21r) قال يحيى بن عدي :

انّ غرضنا من هذه المقالة ان نبيّن(١ صحّة ما تعتقدهُ النصارى ان الباري جلّ وتعالى جوهر واحد ذو ثلث صفات كلّ واحدة منها غير الأُخريين في المعنى وانّ ذلك ليس بممتنع ولا مستحيل كما يظنّهُ البعض بايجادنا ذلك في الاشياء المشاهدة . والله نسترشد وبهِ نستعين وهو حسبنا هادياً ومعيناً فنقول :

انّ من الاشياء المعايَنة انّا اذا نصبنا مرآتين على تقابُلٍ وجدنا في كل واحدة منهما صورة جميع ما يقابلها وكلُّ واحدة منهما تقابل نظيرَها . ففي كل واحدة منها اذن صورة نظيرها . ومن البيّن ايضاً للعيان انّا لسنا نجد في كل واحدة من المرآتين صورة الاخرى فقط دون جميع ما فيها من الغُرَر بل نجد في كل واحدة منهما صورة ذاتها وهي بعض الصور التي قد (21v) قبلتْها فيجب ضرورةً ان تنعطف صورة كلّ واحدة منهما فتوجد في ذاتها

فاذا نحن تأملنا وجدنا لصورة ايّ المرآتين احدى ثلاث احوال كلٌّ واحدة منها غير الحالين الاخريين : (احداها) الحال التي لها في وجودها عين وهي الصورة الموجودة في الحديد(٢ وغيرهِ من الاجسام الصقيلة القابلة لصورة ما يقابلها . ومن البيّن ان هذه الصورة بهذه الحال سبب وجود الصورة بالحالين الباقيتين

وذلك انّا لو توهمنا ارتفاع هذه الصورة لما وُجدت الصورة التي في المرآة المقابِلة لها . واذا لم توجد هذه (المقابَلة) لم تنعطف الصورة الى المرآة التي صدرت عنها فتوجد فيها . وليس بممتنع ان توجد الصورة التي في الحديد ولا تقابلها مرآة اخرى ولذلك لا توجد صورة اخرى غير التي في الحديد ولانها لا توجد في شيءٍ مقابل لها لا تنعطف صورتها فتوجد فيها بالانعطاف وجوداً مخالفاً لوجودها في الحديد . فقد ظهر انّ هذا الوجود سبب الوجودَين الآخرين اذ كان برفعهِ نتوهَّم ارتفاعها ومتى وُجدا وجب

١) ليس هذا بياناً بالبرهان لأنّ سرّ الثالوث الأقدس لا يمكن اثباتهُ بالعقل وانّما هو فقط ايضاح لتقريب إدراكهِ واظهار عدم استحالتهِ

٢) يريد بالحديد المرآة المصقولة وكانت قديماً تصنع من الحديد المقسّى اي الفولاذ المصقول او من الفضّة المصقولة قبل اكتشاف الطلاء الزئبقي والعرب يدعونها الوذيلة

ضرورةَ وجودهُ . وهذا الوجود مماثل لوجود الآب وهو علّة (١ الابن والروح وهما معلولاه

واما الحال (الاخرى) فهي وجود الصورة بعينها في المرآة المقابلة لها وهي في ذلك مماثلة لوصف الروح منبعثاً خارجاً من الآب

والحال (الثالثة) وهي الحاصلة بالانعطاف في المرآة التي عنها صدرت وهي مقابلة لصفة الابن اذ لهُ المماثلة للاب من جهتين احداهما في الصورة والاخرى وجوده في ذات الاب وغير خارج عنهُ

فقد تبيّن ان هذه الصورة اذ هي صورة (22v) واحدة غير متكثرة بهذه الثلث الصفات واختلفت صفاتها بها صارت ثلث موضوعات (٢ معنى كلّ واحدة منها غير معنى الأخريين . فانهُ ليس احد لهُ عقل ينكر انّ الصورة التي شاهدها في الحديد لا خلاف بينها وبين الصورة المشاهدة في المرآة المقابلة لها وأنّها هي والصورة المنعطفة عن المرآة المقابلة صورةٌ واحدة بعينها . ولا يشكّ ايضاً في ان معنى كل واحدة من الاحوال الثلاث غير معنى الأخريين وذلك انّ معنى كونها موجودةً في الحديد غير معنى كونها منعطفة من المقابلة الى ذاتها . ومعنى كونها منبعثة الى المقابلة الصادرة عنها حتى حصلت فيها غير معنى الأخريين . فقد ظهر اذن انهُ قد وُجدت الصورة الواحدة بعينها في ثلاث احوال تتكثر اذا اقترنت (٣ بها الصفات الثلاث فتكون الصورة في الحديد غير الصورة التي حصلت في المرآة المقابلة للمرآة التي هي صورتها وغير الصورة التي حصلت في المرآة التي هي صورتها لا بما هي صورة بل بما هي في الحديد وفي المرآة المقابلة ومنعطفةً الى المرآة التي هي صورة لها

فقد تبيّن ووضح انها واحدة من حيث هي صورة وانّها اذا اقترنت (٣ بها الاحوال وان شئت فقُل الصفات صارت ثلاثة اشياء تتوحّد من حيث هي صورة وتتكثّر بصفاتها

---

١) والعلّة هنا بمعنى المبدإ ليس بينها وبين معلولها ايّ اختلاف كان لا في الجوهر ولا في القدَم ولا في الكمال

٢) الموضوعات كالاقانيم توافق ما يدعوه اللاهوتيون باللاتينية (suppositum) وباليونانية (ὑπόστασις)

٣) ويروى : اقترنت

وهذا التمثيل وان كان لانَّهُ محسوس أَوضحُ من التمثيل بالعقل والعاقل والمعقول واقرب الى فهم الذين لا يكادون يعرفون غير المحسوسات فان التمثيل بالعقل والعاقل والمعقول (22^v)اشبه منهُ واولى فنحن لذلك نذكرهُ فنقول :

اذ كان كلُّ من يعقل يعقل بالعقل وكان العقل بعضَ الاشياء المعقولة فمن البيّن انَّ العقل نفسهُ انَّما يُعقَل بالعقل . ومن البيّن ان العقل ذات من الذوات الموجودة وان معنى كونهِ عقلًا لا يتضمَّن معنى كونهِ عاقلًا او معقولًا وان معنى كونهِ معقولًا غير معنى كونهِ عقلًا او غير معقول او عاقلًا . فظاهر لكل سليم العقل انهُ اذا كان هو الذي يعقل ذاتهُ من قِبَل انهُ يعقل ذاتهُ يحصل معنى العاقل ومن قِبَل انهُ هو الذي تعقلهُ ذاتهُ يكون معقولًا لذاتهِ فقد حصل لهُ ثلاث صفات مختلفات اعني انهُ عقل وانهُ عاقل وانهُ معقول وهو ذات واحدة . وذلك انَّ الذي هو عقل هو بعينهِ الذي هو عاقل ومعقول . فمن حيث انَّ اسمهُ « العقل » انما تسمَّى بهِ ذاتهُ مجرَّدةً من غير ان يضاف اليها شيء آخر هو علَّة النعتين الآخرين اللذين يستحقّ ان توصف هذه الذات بواحدٍ واحدٍ منهما اذا انضاف معناهُ الى الذات المجرَّدة . فتوصف من حيث هي مصوِّرة لذاتها انها عاقلة ومن حيث هي متصوَّرة فانها معقولة . فظاهر اذن انَّ معنى العقل مجردًا هو علَّة النعتين الآخرين اعني معنى العاقل ومعنى المعقول اذ كان متى تصوِّر ارتفاعهُ ارتفع مع ارتفاعهِ المعنيان الآخران واذا وُجد واحد من المعنيين وُجد معهُ لا محالة فهو لذلك مماثل للآب اذ كان الآب علَّة الابن والروح . ولانَّ معنى العاقل موجود (23^r) للعقل غير خارج عنهُ ولذلك ذاتهُ غير مباينة لهُ وغير خارجة عنهُ وهو مماثل للابن اذ طبيعة الابن وطبيعة الاب واحدة . ومن قبل انهُ معقول هو مماثل للروح اذ الروح خارج عن الاب منبعث منهُ كما انَّ المعقول من حيث هو معقول هو خارج عن العاقل ووارد اليهِ (١

فقد تبيَّنت ووضحت مماثلة العقل والعاقل والمعقول للاب والابن الواحد من حيث ان جوهر العقل هو ذات العاقل وذات المعقول وهذه الذات الواحدة لا تتكثر من

١) في قولهِ هذا ما يشير الى انبثاق الروح القدس من الابن كما ينبثق من الآب . والسريان اوَّل من صادقوا على هذه العقيدة في مجمع سلوقية والمدائن سنة ٤١٠ للمسيح فأقرّوا جهارًا ان الروح القدس منبثق من الاب والابن كمن مبدإٍ واحد

حيث هي ذات وانما توصف بثلاث صفات كل صفة منها غير الأُخرَيَين فتكثر تلك الذات بصفاتها الثلاث لا من حيث هي ذات وانَّ ذلك مماثل لما تعتقدهُ النصارى في الباري جلَّ وتعالى من انهُ جوهر واحد غير متكثّر بوجهٍ من الوجوه من حيث هو جوهر وانَّهُ ذو ثلاث صفات وإن شئت فقل ثلاث خواص. واذا انضمَّ ذلك الجوهر اليها صار المجتمع منهُ ومن واحدة واحدة منها مخالفاً من قبل صفتهِ او خاصَّتهِ لا من قبل الجوهر . وهكذا تبيَّن ما ذكرناهُ بمعونة الله وحسن تأييده ولهُ المجد دائماً

حلّ شكّ في ذلك

قال يحيى بن عدي : ان قال قائل : هبكم ساغ لكم ان تقولوا (23 ٢) ان الاب علَّة للابن والروح لان منزلتهُ عندهما منزلة ذات العقل مجردة من معنى العاقل والمعقول وانَّ الذات المجرَّدة علَّة لما قوامهُ منها ومن معنًى آخر يضاف اليها فماذا ليت شعري حجَّتكم في خصّكم الابن بتمثيلهِ بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل مع اعترافكم بانهما معاً في الجوهر والطبيعة والقدرة والمجد لا فضل لاحدهما على صاحبهِ في ذلك

(الجواب) انَّ الذي أَشهرَ عندنا بانَّ المماثل للابن هو العاقل دون المعقول هو ما ورد بهِ الانجيل من انَّ الابن هو المتأنس دون الاب والروح فوجب بذلك ان المماثل للابن انَّما هو العاقل دون المعقول . وذلك ان الانسان يمكنهُ ان يصير عاقلًا للذات المجرَّدة فليُشبهُ بذلك الابن الذي مثَّلناه بالعاقل للذات المجردة وهذا معنى اتحاد الانسان بالاله الابن . واماَّ المعقول فانهُ يمتنع في الانسان ان يصيرهُ لانهُ يمتنع ان يصير الذات المجرَّدة ولذلك لا يمكنهُ ان يتحد بها ولهذا السبب خصصنا الابن بتمثيلنا ايَّاهُ بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل (تم القول)

ميمر

في صحَّة الدين المسيحي

للمعلم العامل والفيلسوف الكامل والاب الفاضل

كير ثاودوروس اسقف حرَّان المعروف بابي قرة

توطئة

تعريف المؤلف

انَّ لثاودوروس ابي قرَّة (ويروى ابي قارة) مقاماً رفيعاً بين اللاهوتيين فيعتبرونهُ من اعظم الكتبة الكنسيين وابرعهم في المصنَّفات الجدلية والابحاث الدينية بحيث تراهم يتخذونهُ كحجَّة في تفنيد مزاعم المبتدعين. ومع ما لهذا الكاتب من رفيع الشان لا نكاد نجد شيئاً من ترجمتهِ في كتب اليونان واعمال الآباء وقد عثرنا على ذكرهِ في بعض التآليف القديمة فنرويها هنا ليرى القرَّاء تضارب الاقوال في حق هذا الرجل الشهير . ١ً واقدم هذه الآثار ما جاء في كتاب الفهرست لابن النديم ارشدنا اليها حضرة الاب انستاس الكرملي وهذا نصُّهُ وقد صحَّف ذلك الكاتب اسمهُ ابا قرَّة بابي عزَّة قال (١ : ٢٤) : « وابو العزَّة كان اسقف الملكية بحرَّان ولهُ من الكتب كتاب يطعن فيهِ على أُسطورس (نسطور) الرئيس وقد نقضهُ عليهِ جماعة (يريد من النساطرة) » . ٢ً جاء في كتاب الاشراق في الاصول الدينيَّة لدانيال السرياني : « ان الروم قالوا بمشيئة واحدة وفعل واحد الى زمان مكسيموس الراهب وتاودوريقي الحرَّاني ويوحنا الدمشقي » فدعا ابا قرَّة تاودوريقي ونظنُّهُ تصحيفاً لثاودريتي وهو كاسم ثاودوروس . ٣ً وورد ذكرهُ في كتاب مصباح الظلمة لابي البركات القبطي في جملة مشاهير الكتبة وجعلهُ بين النساطرة وقال عنهُ : « انَّ لهُ مجادلة معروفة ومقالات » . ٤ً وفي قائمة مخطوطات لندن السريانيَّة لرَيْت (Catal . Wright : II . 90) كتاب « قصة مار شمعون من زيتا اسقف حرَّان ونصيبين المعروف عند العرب بابي قرَّة » ويقال هناك انهُ كان في بغداد سنة ١١٣٥ للاسكندر الموافقة لسنة ٨٢٤ للمسيح . ٥ً وبين مخطوطات مكتبة باريس وغيرها جدال جرى في حضرة المأمون بين عبد يشوع جاثليق النساطرة وبين ابي قرَّة الملكي وابي رائطة اليعقوبيّ . فيوخذ من هذه الشهادات المتناقضة انهُ وُجد كاتبان في زمن واحد عُرفا بابي قرَّة احدهما نسطوري النحلة اسمهُ شمعون من زيتا كان اسقفاً على حرَّان (المجاورة للرها) ونصيبين ولهذا تأليف جدليّ تناقلتهُ الايدي منهُ عدَّة نسخ في مكاتب اوربَّة وخزائن الخاصَّة في الشرق . والآخر من الروم الملكيين اسمهُ ثاودوروس او ثاودوريتي مناصب البدعة المنوثلية . وهو صاحب المقالات اللاهوتية العديدة التي طبع منها قسمٌ في مجموع اعمال الاباء اليونانُ ووجد منها

قسماً الابوان الفاضلان قسطنطين باشا الراهب المخلّصي والاب لويس معلوف اليسوعي وقد نشر الاوّل ما وجده قطعةً قطعةً في مطبعة الفوائد سنة ١٩٠٤ . امّا الثاني فنشر مقالة فقط تجدها في هذا الكتاب بعد هذا الميمر . وقد نقل احد المستشرقين الالمانيين الدكتور الخوري جورج غراف هذه الميامر الى الالمانيَّـة ونشرها بالطّبع سنة ١٩١٠ (Die arabischen Schriften des Theodor Abû Qurra) . وطبع احد المستشرقين في مدينة بُنّ من اعمال المانية كتاباً لهُ في اكرام الصور. وقد اسعدنا الحظ ان نقف لهُ على مآثر غيرها منها ميمرهُ البديع في وجود الخالق والدين القويم نشرناها في المشرق سنة ١٩١٢ (١٥ : ٧٥٧ ; ٨٣٥) ثمَّ طبعناهُ على حدة . ومنها مقالات لاهوتيَّة ننشرها في وقتها ان شاء الله

والمرجَّح ان كاتبنا عـاش في اواخر القرن الثامن للمسيح وفي اوائل التاسع ولعلَّهُ عرف القديس يوحنَّا الدمشقيّ وممَّا لا ريب فيهِ انَّ ثاودوروس تأثَّر اعقـاب ذاك القديس العظيم والكاتب البارع وجاراهُ في محاربة البدع كالنسطورية واليعقوبيَّة والمنوثليتيَّة يردُّ عليهـا بالبراهين العقليَّة والادلَّة الوضعيَّة وربَّما جعل تفنيدهُ على طريقة المباحثة بين الارثذكسيّ والمبتدع ليكون الجواب ارسخ في عقول المؤمنين . ويؤيد قولنا في زمن ابي قرَّة انهُ املى بعض مقالاتهِ على توما اسقف اورشليم الذي عاش في اواخر القرن الثامن وكان توما جالسًا على كرسي اورشليم سنة ٨٠٧ . وعمَّر ابو قرَّة الى عهد المأمون الذي تولى الامر من سنة ٨١٣ الى ٨٣٣ مسيحية والدليل على ذلك ان في مكتبة باريس وغيرها جدال دينيّ جرى لهُ في حضرة المأمون . ومن ثمَّ نظنّ ان الذي جعل مولد ابي قرَّة نحو السنة ٧٤٠ م وموتهُ نحو السنة ٨٢٠ قد كاد يصيب الهدف

ومن الاوهام الشائعة في حق ثاودوروس ابي قرة انهُ كان اسقفًا على بلاد كارية من اعمال ثراقية . والصواب انَّ ثاودوروس اسقف كارية كان بعد ثاودوروس ابي قرة بنحو مئة سنة وعاش على عهد فوطيوس بطريرك القسطنطينية وناقضهُ في عصيانه على الكرسي الرسوليّ . وممَّا يستفاد من مقدَّمة كتاباتهِ انهُ كان اسقفًا على حرَّان المدينة الشهيرة المجاورة للرُّها . وقد نكر البعض ذلك وقالوا انهُ كان اسقفًا على «قارة» وهي مدينة في فلسطين في عبر الاردن . وزعم غيرهم انَّ « حرَّان » التي نُسب اليهـا ابو قُرَّة هي مدينـة قارة التي في حدود حمص ودمشق في سورية المجوَّفة واسمها في اليونانية شبيه باسم حرَّان في تخوم الجزيرة فتدعى كلتاهما (Χαῤῥαν) والبرهان على ذلك شهادة كتاب قديم اثبتها لوكيان في الشرق المسيحي (٢ : ٨٥٠ و٨٤٩) دُعي ابو قرَّة فيها « اسقفًا على حرَّان في سوريَّة المجوَّفة » ἐπίσκοπον γεγονότα χαῤῥαν τῆς κοίλης Συρίας Θεόδωρον وقارة هذه المدعوَّة في اليونانيَّة Χαῤῥαν (حرَّان) تُدعى في بعض النسخ باسم اقرب من اسمها الحالي اي (Καρων) وباللاتينية (Carum) . لكنَّنا بعد ترجيحنا لهذا الرأي تحقَّقنا انَّ حرَّان التي سُقِّف عليها ثاودورس ابو قرَّة هي مدينة الصابئين الشهيرة المجاورة لمدينة الرها المذكورة في سفر التكوين. وذلك لأسباب منها انَّ المخطوطات العربيَّة التي وردت فيها اعمال ابي قرَّة تنعتهُ كلها في اليونانيَّة كما في العربيَّة والسريانيَّة بمطران حرَّان او باسقف حرَّان ونصيبين. وهذا ما يزيل كلَّ شك في انَّ حرَّان المقصودة هي حرَّان

ما بين النهرين. ومنها ما ورد لابي قرَّة في مقالتهِ عن اكرام الصور في الرأس الثالث والعشرين (ص ٤٦) حيث يذكر صورة السيد المسيح الشهيرة المصونة في مدينة الرها فانهُ قال عنها « إنها تُكرَم بالسجود في مدينتنا الرُّها المباركة » . فقولهُ « مدينتنا الرُّها » تدلُّ بلا شك على كونهِ قريباً من تلك المدينة وليس اقرب من الرُّها من حَرَّان

وقد ايَّد ذلك ميخائيل الكبير البطريرك اليعقوبي في تاريخهِ السرياني في تاريخ سنة ١١٢٥ لليونان حيث ذكر ابا قرَّة وكنَّاهُ بالفِجلي (ܦܓܠܐ) تهكُّماً لمناقضتهِ شيعتهُ اليعقوبيَّة ونسبهُ الى حرَّان في ما بين النهرين

امَّا تآليف ثاودوروس ابي قرَّة المعروفة سابقاً فعبارة عن ٤٣ مقالة بين قصيرة ومطوَّلة أُدرجت في اعمال آباء اليونان لمين في المجلَّد الـ ٩٧ من الصفحة ١٤٦١ الى ١٦١٠ واوَّل من نشر هذه الآثار الجليلة الاب اليسوعي الشهير يعقوب غرتسار وترجمها الى اللاتينية الابوان توريانوس اليسوعي وجنبرَرْد البندكتي

ولم يتَّفق الكتبة على اللغة التي صنَّف بها ثاودوروس ابو قرَّة تآليفهُ أهي اليونانية ام العربية والراي الارجح انهُ كتب في العربية والسريانية ثم نُقلت مصنَّفاته الى اليونانية كما يظهر من مقدَّمة مقالتهِ الرابعة وفيها يقال انَّ ثاودوروس أملاها بالعربية على توما اسقف اورشليم (ἀπαγορευθεῖσα Ἀραβιστί) ثم نقلها الى اليونانية ميخائيل الكاهن سنكلُّوس اي قيِّم كنيسة اورشليم. وعليهِ فتكون كتابات ثاودوروس من اقدم آثار النصرانية في اللغة العربية. امَّا كونهُ كتب في السريانيَّة فقد بيَّنهُ في احد الميامر التي اكتشفها حضرة الاب قسطنطين باشا. هذا ولا يُنكر انَّ ابا قرَّة كان عالمًا باللغة اليونانية ولعلَّهُ صنَّف فيها بنفسهِ قسماً من كتاباتهِ

وقد قابلنا المقالة التي نشرها حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا في المشرق رجاء ان نجد لها اثرًا بين اعمال ثاودوروس باليونانية فلم نعثر على شيء منها. فتزيد بذلك قيمتها لدى العلماء . ولعلَّ النسخة التي وصفها حضرة الاب هي المنقولة عن النسخة الاصلية التي ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية (المجلد الثاني ص ٢٩٢ في الحاشية) وقال انهُ اطلعهُ عليها في صيداء السيد افتيميوس الصيفي اسقف الروم الملكيين الشهير ل . ش

تعريف الكتاب وناسخهِ

هذا الميمر من كتاب مخطوط وجدتهُ في مكتبة دير المخلص وقد علَّق عليهِ ناسخهُ قبل هذا الميمر ما حرفهُ : « حاشية لكاتبه المطران باسيليوس. اعلم ان هذه نسخة ثانية من النسخة التي في دير مار سابا السيق بقرب اورشليم التي هي النسخة الاصلية للكتاب التي كُتبت عليها هذه النسخة » . ثم قال : « وكان كتابتهُ في شهر حزيران سنة ١٧٣٥ وذلك في دير المخلص من معاملة صيداء في جبل الدروز »

وجاء في آخر الكتاب : « وكان النجاز من نساخة هذه الميامر نهار الاثنين الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٧٣٥ لتجسُّد المسيح ربنا » . ثم : « كُتب بيد الحقير المطران باسيليوس فينان عن كتاب نُسْختهُ قديمة منسوخة عن النسخة الاصلية التي في دير مار سابا السيق بمعاملة

القدس الشريف . ولذلك لمّا وجدنا فيهِ بعض كلمات ممحية من عتقهِ ابقينا موضعها بياضاً لعلّنا نجد لهُ نسخة صحيحة كاملة فنكتب ما نقص وبالله التوفيق . وايضاً تاريخ النسخة التي نقلنا عنها هذا الكتاب سنة ٦٥٥٩ لابينا آدم (١٠٥١ للمسيح) وهو تعليق الراهب اغابي في دير مار الياس في جبل اللكام فيكون لها يوم نسخنا هذا الكتاب عنها ٦٨٤ سنة». ومن ثم يُعرف قدر هذا الكتاب وانهُ من الكتب القديمة العهد النادرة بالعربيّة بل من اقدمها عهداً عند كتّاب النصارى وخصوصاً الملكيين منهم . واهمّ من ذلك سلامته من التحريف وعدم تداولهِ بايدي النسّاخ ولا حاجة الى التنبيه الى قوّة براهينه الوضعيّة والعقلية وغزارة مادّتهِ ووضوح حجّتهِ وصحة قياساتهِ وسلامة عقيدتهِ ورشاقة اساليبه العربية ومتانة تراكيبه . وممّا يزيد في قيمة الكتاب قدراً عدم وجود نسخة ثانية منهُ بالعربية ولا باليونانية او غيرها حتّى يصحّ ان يقال فيهِ انهُ جليل فريد

والكتاب المذكور جمع تسع مقالات طويلة يدعوها ميامر والميمر لفظة سريانية (ܡܐܡܪܐ) معناها الكلام والخطبة والرسالة المطوّلة

(الاوّل) يحقق للانسان حريّة ثابتة من الله في خليقتهِ وان حرية الانسان لا يدخل عليها القهر من وجهٍ من الوجوه البتة

(الثاني) يحقق انهُ لا يلزم النصارى ان يقولوا ثلاثة آلهة اذ يقولون الاب اله والابن اله وروح القدس اله دون الآب والابن وروح القدس اله واحد ولو كان كل واحد منهم تاماً على حدتهِ

(الثالث) في موت المسيح . وانّا اذا قلنا ان المسيح مات عنّا انما نقول ان الابن الازلي المولود من الاب قبل الدهور هو الذي مات عنّا لا في طبيعته الالهية بل في طبيعته الانسانية . وكيف يعقل هذا الموت . وانهُ يحسن ان يقال على الابن الازلي في الجهة التي تقولهُ عليهِ الارثوذكسية

(الرابع) في تحقيق الانجيل وان كل ما لا يحقّقهُ الانجيل فهو باطل

(الخامس) على سبيل معرفة الله وتحقيق الابن الازلي

(السادس) في انهُ لا يُغفر لاحد خطية الّا باوجاع المسيح التي حلّت بهِ في شان الناس. وانّ من لا يؤمن بهذه الاوجاع ويقرّبها للآب عن ذنوبهِ فلا مغفرة لهُ ابداً

(السابع) في الرد على من ينكر لله التجسد والحلول فيما احبّ ان يحلّ فيهِ . (وهو منقطع لنقص النسخة الاصلية التي اكلها العث لقدم عهدها كما اشار الناسخ)

(الثامن) يحقق ان لله ابناً هو عدلهُ في الجوهر ولم يزل معهُ

وبعد هذا رسالة مطوّلة وهي «جواب مسألة كتبها الى صديق لهُ كان يعقوبياً فصار ارثودكسياً عند ردّه عليهِ الجواب»

ثم يليهِ هذا الميمر الذي نُشر اوّلاً في المشرق وهو الاخير

وقد وجدت نسخة من المحاورة التي جرت بحضرة المأمون بين ابي قرّة وبعض العلماء من العراق والشام لكنها ناقصة من اولها وفيها اغلاط كثيرة ادخلها النساخ لكثرة تداول الايدي بها وفي مكتبة باريس يوجد منها اكثر من نسخة وكذلك في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين

كذلك وجدت نسخة من الميمر الثالث في مجموعة قديمة العهد ترتقي الى القرن الخامس العشر في مكتبة دير المخلص لكنهُ ناقص من اوَّلهِ اشار اليهِ جامعه بقوله : « . . . من قول ثاودوروس اشقف حران المعروف بابي قارة »

ثم وجدت في مجموعة للمطران افتيميوس الصيفي رسالة كتبها بخطّ يده المباركة يدعو بها الاساقفة الشرقيين الى الاتحاد بايمان واحد وترك الانشقاق والانقسام وقد ضمَّن من هذا الميمر نفسهِ قسماً كبيراً يستشهد بهِ على عدم صحَّة دعوى الذين ينتحلون النصرانيـة ظاهراً وهم لا يدينون باطناً بحقيقة دين المسيح اذ يخالفون الخلكيدونيين اي الملكيين

واما الناسخ فقد وجدتُ عنهُ في سجلّ رهبانيتنا الباسيلية المخلصية في كلامه على تلاميذ المطران افتيموس الصيفي الذي انشأ ديرنا ورهبانيتنا ما يأتي : « الثاني والعشرون الخوري مخائيل فينان من يافـا نذر الرهبنة وارتسم كاهناً من يد معلمهِ المطران المذكور سنة ١٧١٧ ثم ارتسم مطراناً على كرسي بانياس من يد ابرهيم ورتبت بطرك الارمن الكاثوليك والمطران الياس الماروني والمطران نعمة اسقف بيروت على الروم بامر الامير حيدر شهـاب ودُعي باسيليوس وذلك اوَّل سنة ١٧٢٤ وتسلم رعية الجبل (لبنان) وبرّ صيدا ما عدا المدينة لانها بقيت الى المطران اغناطيوس المرتسم من البطريرك اثناسيوس المشاق . واذ شكك المطران باسيليوس في رسامته فيما بعد عرض ذلك الى رومية فاتاه الجواب بصحة واجازة رسامته مع البركة (١ . وخدم الرعية بكل حرية وكان رجلاً شهماً بطلاً وماهراً في صناعو الموسيقى اليونانية اي البسلطيكا وربّى ثلاثة تلاميذ ماهرين بها وهم القس يواكيم رُبع مدّ من قرية برته والقس نعمة فرحـات منها والقس يوسف فرحات من مزرعة دير المخلص (وهـذا الذي رسمهُ اسقفاً على زحلة البطريرك ثاوضوسيوس الدهان في ٢٩ تشرين الثـاني سنة ١٧٧٣) وتوفي في دير المخلص ودفن في هيكل القديس انطونيوس البدواني امام المذبح تحت الدرجة التي يقف عليها الكاهن وقت القداس في ١٣ شباط سنة ١٧٧٢

ويؤخذ منهُ في غير هذا المحلّ انهُ كان من الاساقفـة الوطنيين الذين انتخبوا للبطريركية الانطاكية القسّ سرافيم طاناس (٢ ورسموه في دمشق في الكنيسة المريمـية في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ قبل ان رسم البطريرك القسطنطيني في ٢٨ في القسطنطينية الشماس سلفسترس القبرصي الاجنبي وارسلهُ الى دمشق بطريركاً بل قل اجيراً ودخيلاً وكان مقيماً في دير المخلص مؤازراً للبطريرك المذكور . وكان هو الراسم للرهبان . وكان في عداد الاساقفـة في مجمع دير

---

١) وسبب ذلك انّ البطريرك اثناسيوس الدباس كان قد رجع في ذلـك العهد من القسطنطينية عن معتقدهِ الكاثوليكي الذي كان قد اعلنهُ مراراً فلم يقبل منهُ الرسامة وفضل عليه الاساقفة المذكورين من الطوائف والطقوس المختلفة وهو الذي جعلهُ بعد ذلك في شكّ من رسامته

٢) من هنا يعلم ان سرافيم طاناس كان قساً لمَّا انتُخب للبطريركيَّة لا مطراناً كما روى ذلك القس مخايل بريك في حكاية خرافيَّة عن رسامتهِ مطراناً لقيسارية الكبادوك

المخاص الاول الذي عقدهُ البطريرك المذكور في اتحاد الرهبانية المخلصية والشويرية سنة ١٧٣١ وكان كذلك في المجمع الثاني الذي عقده البطريرك المذكور سنة ١٧٥١

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

ميمر في تحقيق ناموس موسى المقدس والانبياء الذين تنبأوا على المسيح والانجيل الطاهر الذي نقلهُ الى الامم تلاميذ المسيح المولود من مريم العذراء وتحقيق الارثوذكسية التي ينسبها الناس الى الخلكيدونية وإبطال كل ملة تنتحل النصرانية سوى هذه الملّة. وضعه المعلم العامل والفيلسوف الكامل والاب الفاضل كير ثاودوروس اسقف حرّان

١

ان الله ترآى لموسى في طور سينا (سفر الخروج ف ٢ و ٣) فانتخبهُ ان يشترع ديناً لبني اسرائيل وامرهُ ان يشخص الى فرعون ملك مصر وان ينقذهم من يديهِ وان موسى استعفى الله من البعثة متعللاً وتأتّى عليه الخوف استعظاماً للامر الذي اراد افرادهُ لهُ . وقال لله : مَن انا حتى آتي فرعون واخلّص امّتك من يديهِ . فقال لهُ الله : انا اساعدك واشدّد كلامك . ولكن انطلق حتى تجمع مشيخة بني اسرائيل فتقول لهم : انّ الرب اله ابائكم أرسلني . اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب بعثني اليكم . فقال موسى : لو قد اتيتُ بني اسرائيل فقلتُ لهم « انّ اله ابائكم ارسلني اليكم » فقالوا لي «ما اسمهُ» ماذا اقول لهم ؟ فقال لهُ الله : قل لهم الذي لم يزل بعثني اليكم . وقال الله : انا الذي لم ازل وانا اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب . ثم قال موسى لله : عُدَّ اني اتيتُهم فانبأتهم بهذا القول عنك فانهم يقولون لي انك مبطل لم يترآى (كذا) الله لك فماذا اقول لهم ؟ حينئذٍ قال لهُ : ايُّ شيءٍ هذا الذي بيدك ؟ . فقال لهُ موسى : عصاً . فقال الله لهُ : ارمِ بها على الارض . فرمى بها على الارض فتحوّلت ثعباناً فراعت موسى وجعل يفرُّ منها . فقال الله لهُ : تناولهُ بذنبهِ . فتناولهُ بالذنب فعاد الثعبان عصاً . ثم قال لهُ الله : أدخل يدك في رُدنك . فأدخلها فاذا هي قد برصت برصاً يَققاً ناصعاً كالثلج . فقال لهُ الله : أعدها الى ردنك . فردّها ثم أخرجها فاذا هي قد رجعت الى لون بشرتهِ . وقال لهُ الله :

ان آمن بني (بنو) اسرائيل بالآية الاولى كان به والّا آمنوا بالآية الثانية وان لم يؤمنوا بالآية الثانية فانشف (١ من ماء النهر وأهرقهُ على الارض فانهُ سيتحوَّل دماً ليؤمنوا ان الله اله ابائهم بعثك اليهم . فلمّا اعطاه قوَّة الاعاجيب رضي بالعُسر ان ينبعث الى مصر

فمن هنا يَستدلُّ أُولو الالباب ان الدين لا ينبغي لمن كان محتاطاً في النظر فيهِ ان يقبلهُ من واضعهِ الّا بالاعاجيب لان موسى قد كان يعلم انهُ لو ذهب يدَّعي ان الله بعثهُ ليشترع ديناً بلا برهان يأتي بهِ على نفسهِ من اعاجيب يعملها لا يقدر احد ان يعمل مثلها الّا مَن ايَّده الله قد كان سبيل لكل ذي عقل ان يزبره (٢ وان يردّ عليهِ قوله ويحقره ويصدّ عنهُ . لكنهُ علم انهُ اذا كان مُدْلًى بقوَّة الاعاجيب فقد اتخذ أداة قويَّة يرمي بها من كان ذا نيَّة يرتاد لنفسهِ خيراً ويقوده الى الدخول فيما يضع لهُ من عبادة الله . وكذلك ينبغي لكل ذي لبٍّ أَلَّا يقبل ديناً ليس اساسهُ على الاعاجيب الالهية التي هي برهان على تحقيق الآتي بهِ انهُ من الله . فمَن قبل الدين على غير هذا الاساس فقد فرَّط وترك الحزم في الامر الذي لم يُخلَق الحزم في الانسان الّا لهُ وبذل نفسهُ للتلَف واسترخى لمن يجتذبهُ الى الهلاك ويختلجهُ عن السبيل المؤدي الى السعادة التي اليها وحدها تتوق العقول

فمن قبل الدين الذي اتى بهِ موسى فقد رَشَد لانَّ موسى انَّما حقَّق نبوتهُ ورسالتهُ من الله بعمل الاعاجيب التي لا تُصنع الّا بقوَّة الله . وحيث اتى الذين قبلوه بالغيب وقصَّ عليهم كيف خلق الله السماء والارض وانبأهم بما كان قبلهم ممَّا لم تكن تدركهُ عقولهم فقد احسنوا حيث الزموا نفوسهم القنوع بهِ وتصديقهُ . لانَّ الله لا يقوّي على عمل الاعاجيب الّا من كان ساعياً في موافقتهِ ويدعو الى رشدهِ وهُداه

وكذلك المسيح الهنا الحكمة الحق لم يبدأ بشيء من التعليم حتى اظهر قوَّتهُ الالهية بالاعاجيب وقرَّب اليهِ من كان مُبتلًى في انواع الاسقام والامراض المؤلمة المعذِّبة فشفاهم واسعدهم بالبرء الكامل . فلمّا كان ذلك منهُ دنت اليهِ الجموع من الجليل واورشليم وكُوَر الاردن . فلما رأى الجموع حولهُ دعا تلاميذه اليهِ ففتح فاه وعلّمهم وقال : طوبى للمساكين بالروح فانَّ لهم ملكوت السماء . ثم تلا عليهم

١) نشف الماء من الغدير استقاهُ . ولعلها تصحيف اَستَق
٢) زبرهُ باللغة انتهرهُ . و « قد » رابطة لجواب « لو » . وهي كثيرة في كلامهِ

تعليمهُ واشترع لهم ناموسه الاوَّل فأول . واخذ بشكل موسى ولم يزل يخلط عجباً بناموسٍ وناموساً بعجب حتى قضى تدبيره كلهُ وصُلب ودفن وقام اليوم الثالث . فمن اتبع المسيح لعجائبهِ التي لا تحصى فقد رُشد وقويت حجّتهُ كما قويت حجة الذين قبلوا موسى لِما عمل من الاعاجيب

واذا قرنت الامرين كان هذا الآخر اقوى من الاول . وان كان كلاهما قويين لان اعاجيب المسيح لا تحصى ولا تُعدّ ولم يقتصر على ما هو عمل من الاعاجيب مباشرةً بل اعطى تلاميذهُ سلطاناً ان يعملوها باسمه . فامّا موسى فانهُ عمل اعاجيب معدودة وكان يعملها لا بقوَّة نفسهِ ولكن بقوَّة الله وامرهِ او بالابتهال لهُ ولم يدعُ موسى احدًا قط فقال لهُ : انطلق فاعمل الاعاجيب باسمي . وبحقٍ كان كلُّ ما قد كان من المسيح ومن موسى وذلك ان المسيح إله وابن إله وكان قادرًا ان يعمل بقوَّة نفسهِ الاعاجيب وان يقوّي من احبَّ على ان يعمل مثلها باسمهِ . فامّا موسى فانما كان عبدًا مأمورًا وكانت قوَّته على عمل الاعاجيب ليست لنفسهِ وانما كانت لله . فلذلك لم يكن يعمل عجباً حتى يُوعَز اليهِ من الله ان يعملهُ او يبتهل اليهِ فيأذن لهُ في عملهِ

وكما ان موسى كان يعمل الاعاجيب بقوة الله وامرهِ والابتهال اليهِ كذلك كان تلاميذ المسيح يعملون الاعاجيب لا باسم الله لكن باسم يسوع المسيح وقوَّتهِ وامرهِ والابتهال اليهِ . والتلاميذ في عمل الاعاجيب اقوى من موسى كثيرًا لانَّ موسى انَّما كان يُوعَز اليهِ او يبتهل قبل ان يعمل العجب امَّا التلاميذ فان اكثر اعاجيبهم كانت بلا تضرُّع . ولم يكن اكثر من ان يقولوا « باسم المسيح ليقُم هذا الميت » او « ليفتح هذا الاعمى عينيهِ » او « ليصحَّ هذا المُقعد » فكان يكون كما يقولون . ولم يقفوا عند ذلك فقط حتى ان مار بطرس كان يمشي فكان حيثما بلغ ظلّهُ لم يكن يسقط ظلُّهُ على مريض الَّا شفاه (اعمال ٥ : ١٥) ومار بولس قد كان تؤخذ لفافتهُ فتوضع على المرضى فيأتيهم البرءُ (اعمال ١٩ : ١١ و ١٢)

وبهؤلاء التلاميذ تحقَّق كلام داود حيث يقول : « ان الرب يعطي المبشرين بالقوَّة الكثيرة » (المزمور ٦٧ : ١٢) . فليس لليهود من الحجة في قبولهم موسى الَّا دون ما للأمم في قبول المسيح لانَّ الامر هنا اعظم منهُ هناك كما ان ضوءَ الشمس اعظم من ضوءِ السراج . وقد كانت الامم تقتصر على ما عاينوا من الاعاجيب التي

عملها تلاميذ المسيح باسم المسيح وكان ذلك حسبُها داعيةً الى قبول المسيح والايمان بكل ما قال هو وتلاميذه عنهُ . هذا ولو لم يكن ناموس موسى والانبياء تنبأوا عليهِ . لانهُ كما ان موسى حيث اتى بني اسرائيل صدّقوه وقبلوا ما حكى لهم عن الله لِما صنع بين ايديهم من تلك الاعاجيب وإنْ كان لم يكن احد ممّن كان قبل موسى تنبأ على مجيء موسى ولم يُلزمهُ بنو اسرائيل ان يحقق نفسهُ بعد الاعاجيب بنبوة من كان قبلهُ عليهِ كذلك الامم قد كان يسعُهم ان يؤمنوا بالمسيح ويصدّقوه لِما صنع من الاعاجيب التي لا تحصى التي عملها هو وتلاميذه ولو لم يكن موسى والانبياء تنبّأوا عليهِ . فكم ينبغي ان نقبل المسيح اكثر ممّا قُبل موسى لشرف ما قد سبق ايضاً مَن نبوة موسى والانبياء كلهم عليهِ وعلى تدبيره كلهِ من الصلب (اش ٦٥ : ٢) والطعن (زك ١٢ : ١٠) وتسمير اليدين والرجلين والاقتراع على ثيابهِ (مز ٢١ : ١٧—١٩) والبصق في وجهه (اش ٥٠ : ٦) وجلد ظهره (مز ٨٢ : ١٤) وانهُ بجراحهِ يفدي الناس من خطاياهم ويداوي امراض ذنوبهم (اش ٥٣ : ٥) وانهُ سُقي خلًّا وأُطعم مرًّا (مز ٦٨ : ٢٢) . ومواضع ما قد ذكرنا معروفةٌ في الانبياء

والعجب منك يا يهودي حيث تكون قد قبلتَ موسى لأَعاجيبهِ المعدودة ولا تقبل المسيح باعاجيبهِ التي لا تحصى ولا تُعدّ . هذا ولو انك عدلٌ قد كان واجباً عليك ان تقبلهُ ولو لم يكن موسى والانبياء تنبّأوا عليهِ كما قبلت موسى باعاجيبهِ ولم تكلفهُ ان يحقق نفسهُ مع ذلك بنبوة مَن كان قبلهُ عليهِ . ولو ان موسى كان أمرك الّا تقبل نبيًّا بعده كما امر المسيح النصارى قد كنت لعمري معذورًا حيث تشككتَ بالمسيح ولكن موسى لم يزل في ناموسهِ الطاهر يُرجّيك نبيًّا ياتي من بعده (تث١٨ : ١٥ و ١٨) ويأمرك عزيمةً بالسمع والطاعة لهُ في كل ما امرك بهِ . وينذرك الموت ان انت عصيت هذا النبي ويقول ان هذا النبي مثلهُ واضع الناموس وعهدًا جديدًا . وقد كان ينبغي من هذا القول ان تبطل الانبياء كلهم ما خلا هذا الواحد الذي أُمرتَ بطاعتهِ كائناً من كان . وقد اخبرك موسى ان يعقوب تنبــأ لك انها لا تفنى منك النبوة حتى يأتيك المسيح الذي هو رجاء الامم (تك٤٩ : ١٠) . وبهذا حقّق الانبياء كلهم الذين قبل المسيح . ثم خصّ هذا الواحد وامر بطاعتهِ مرارًا عن قول الله فكان ما سبق من اخبار موسى اياك بمجيء هذا النبي الذي هو واضعٌ عهدًا ينبغي الّا يحبسك

طرفة عين عن قبول المسيح والايمان بهِ حيث عمل هذه الاعاجيب . وكان يحقُّ عليك ان تتدبَّر بعقلك فتقول ان النبي الذي امرني موسى بطاعتهِ هو هذا اذ كان يعمل الاعاجيب التي لا تحصى ولم يعمل موسى مثلها التي لو ان موسى اوقف امره فلم يأمره بطاعتهِ ولم ينهَ عنها قد كانت توجب لهُ عليَّ من العدل ان اقبلهُ بها وحدها ولا أُكلّفهُ ان يحقق نفسهُ بنبوة من كان قبلهُ عليهِ كما قبلتُ موسى

كذلك اعلم يا يهودي ان هذا النبي هو واضع الناموس وعهدًا جديدًا ولذلك خصَّهُ بان أوعز اليك بطاعتهِ وردَّد ذلك . فاسمع الى قول الله في ارميا النبي : انها ستأتي ايَّام يقول الرب اني اشترع لبني اسرائيل ولبيت يهوذا عهدًا جديدًا لا كالعهد الذي اشترعتُ لهم اذ اخرجتُهم من ارض مصر (ارميا ٣١ : ٣١) وقال داود للرب : أقم لهم يا رب واضع ناموس لتعلم الامم انها اناس (مز ٩ : ١١)

فان قلت يا يهودي : انَّ أسلافي الذين ظهر هذا الذي يسمُّونهُ المسيح فيهم وفي ايامهم قد تلفوا وانا لستُ اعلم انهُ عمل عجباً . قلنا لك : انَّ بيان ذلك قريب منك اذا حسَّنت نيتك في خلاص نفسك . وينبغي لك ان تعلم ان المسيح قد عمل هذه الاعاجيب التي ذكرنا من قبول الامم اياه وحملهِ اياهم على كل ما يخالف عقولهم واهوائهم وشهواتهم ونقلهِ ايَّاهم من رخاء الى شدَّة ومن هَمَل الى حَصر ومن سعة الى ضيق ومن الرخص الى التشديد ومن الشهوات المباحة التي كانت لهم الى هجران الدنيا باسرها في شانهِ ورفض لذَّات الجسد وفخر الدنيا وان يُقدِموا على القتل انفسهم بكل نوع من العذاب والمكاره على ألَّا يكفروا بهِ . وقال لهم : من كفر بي بين ايدي الناس كفرت انا بهِ بين يدي ابي الذي في السموات . وقال : انظروا ما قلتهُ لكم في السرّ فأعلنوه انتم على الاجاجير ولا تخافوا مَن يقتل البدن ولكن خافوا من يستطيع ان يقتل النفس والبدن جميعاً ويلقيهما في نار جهنم . وقال : من اهلك نفسهُ في شاني وجدها في حياة الابد . وقال : من اتَّبعني ولم يبغض اباهُ وامَّهُ واخوتهُ واخواتهِ وولدهُ وانسباءَه فليس لي باهلٍ . وقال : اني مخليكم كالخراف بين الذئاب . وان الدنيا تكون في سرور وانتم في حزن . وانها ستأتي ايام من يقتلكم يرى انهُ يقرّب لله ذبيحة

واشترع عليهم ان يباشروا هم قَتل انفسهم في المثل بقطع شهواتهم و استئصال

اهوائهم وقال: من لطمك على خدك فحوّل لهُ الآخر. ومن سلبك رداءك فزده ثوبك وان انت نظرت الى امرأة كي تشتهيها فقد زنيتَ بها في قلبك . وان قلت لصاحبك راقا او احمق فقد وَجبت عليك نار جهنم . وقال: سمعتَ انهُ قيل للاوَّلين احبب مُحبك وابغض عدوك فانا اقول: أَحبوا اعداءكم وأَحسنوا الدعاء لهم. وما شاكل ذلك

فأَخبرني يا يهودي كيف تظنّ ان الامم قبلت المسيح على هذه الشدَّة والموت الذي قد اشترعهُ عليهم ولا سيا مع شُنْع ما نسبهُ الى نفسهِ من الصلب والاوجاع والفضيحة . وان اعداءه شتموه وسمَّروا يديهِ ورجليهِ وعلَّقوه على خشبة وسقوه خلًّا واطعموه مرًّا حتى رشح منهُ عرق خاثر كالدم . وانهُ قال وهو على الصليب : الهي الهي لمَ خذلتني . فان هذا الامر ينبغي ان يُنفِّر السامعين كلَّهم من اتّباع المسيح ومن اتخاذهِ الاهاً كما قد اتخذتهُ الامم كلها . وهذا معروف انهُ لم يكن يُقبل ابداً لولا ان هذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وفي كتب التلاميذ قد عُملت حقًّا. وهي التي كانت تقهر العقول وتضطرُّها الى قبول المسيح والايمان به لا محالة

ولو ان المسيح كانت همَّتهُ الغرور لكان ينبغي لهُ ولو كان لقي هذه الامور التي ذكرنا ان يأمر تلاميذه بكتمانها الامم وان يعظِّموه عندهم ويجمِّلوا امره . ولَكان قولهُ ان يُطمعهم في الرخص والشهوات ليكون ذلك يدعوهم الى المسارعة اليهِ. ولكن لم يفعل هذا وحاشا لهُ ذلك . بل شنَّع نفسهُ عند ما دعاهم الى الايمان بهِ وكلَّفهم القتل والموت في شانهِ

او ليس هذا عجيباً . ان موسى دعا الله فعظَّم الله وقال : « ان الله خلق السماء والارض وانهُ فوق السموات » واتى بذلك من تمجيد الله واجلالهِ في كل نحو . وبدأ يخلّص بني اسرائيل بان فكّهم من عبوديَّة فرعون وشقَّ البحر وأَحدر لهم المنّ والسلوى وفجر لهم الماء من الصخور وقتل لهم الامم . وقال لهم ان الله سيقويكم فتقتلون امم الشام وتستحوذون على بلادهم وترثونها . واشترع ناموساً ممتلئاً رخصاً وفي كل ذلك لم يتبعهُ احد من الامم ولا قنع بنو اسرائيل بقولهِ ولا آمنوا بالههِ بل نزل على طور سينا فارتعد الجبل تحتهُ ودخَّن وادخل الروع في قلوب بني اسرائيل من منظره فلم يلبثوا حتى عبدوا العجل وهم تحت طور سينا . وتلاميذ المسيح خرجوا فشنَّعوا عندهم على المسيح بهذه الاوجاع التي ذكرنا والصلب والكلام الذي يُظنّ انهُ

وهنٌ وكلّفوهم هذه الشدة التي اشترعها المسيح عليهم فاجابهم الخلق . ومَن لا يعلم ان هذا لم يكن الّا من شرف الاعاجيب التي كانوا يعملونها باسم المسيح التي هي ارفع من اعاجيب موسى كما ان السماء ارفع من الارض ؟

ولا تستطيع ان تقول يا يهودي ان الامم انما اتّبعت المسيح تعصُّباً لقرابةٍ كانت بينهم وبينهُ . فهاذا عليك انت ولقد كان الانسان جديرًا ان يولج هذه التهمة عليك بانك اتبعتَ موسى تعصُّباً لهُ لانهُ كان منك ولتشرُف بدولتهِ وتعتزّ بملكهِ الذي اعطاه الله . فاما الامم فانهُ لا سبيل لشيءٍ من هذه التهمة ان تدخل عليهم في اتّباعهم المسيح لان التلاميذ الذين دعوهم كانوا من اليهود وانّما دعوهم الى من كان في ظاهر امره من اليهود وكان ينبغي ان يدعوهم ذلك الى الاقشعرار والنِفار منهُ لان اليهود كانوا اعداء الامم كلها ولم يَشوبوا في دعوتهم طمعاً ولا شرفاً ولا عزًّا بل خلاف ذلك كلهِ . اذًا اعلم يا يهودي ان هذه الامم كلها لم تتّخذ المسيح الاهاً ولم تدِنْ لهُ بهذه الطاعة التي تبلغ مُهَج النفوس في كل يوم الّا بهذه الاعاجيب التي ذكرنا ان التلاميذ عملوها بين ايديهم باسم المسيح

ولعلك تقول ان هذه الامم اتّبعت المسيح بالجهل . فان كان هذا كذلك عندك فاحملْ ان كنت صادقاً هذا الكلام الشنيع الذي يقال في المسيح وهذه الشرائع التي فرَضها واذهب أَقنع بها ولو رجلًا واحدًا من الجهّال ولكن لست تقدر على هذا بل الجهّال اشد نِفارًا من قبول هذا الامر من غيرهم لان الجاهل انما همّتهُ شهوتهُ كالبهيمة واقرب الكلام الذي يشربه عقل الجاهل ماكان مموَّهاً سوقيًّا . ولقد كان دينك يا هذا اولى ان يقبلهُ الجاهل من دين النصارى لما في دينك ممّا ذكرنا من تعظيم الله واجلالهِ جهارًا والإرعاب منهُ ولِما فيهِ الرخص والطمع في الملك والعزّ والعسل واللبن وتزويج النساء الكثيرة والطلاق متى شئت واستذلال الامم وانك ستحمَل كما زعمت على رقابهم ويكونون لك عبيدًا وبناتهم إماء وانك ستبني لك مدينة وهيكلًا بالزمرُّد والياقوت . هذا الى مثلهِ يغرُّ الجهّال وفي مثلهِ يطمعون ولو خرج احد يدعو الى هذا ويضمنهُ الناس لما كان عجباً ان يتبعهُ الناس ولا سيما اذا هبّت لهُ ادنى ريح من دولةٍ يُعطاها كما قد رأيناه يكون

وان قلت يا صاح ان هذه الامم التي اتّبعت المسيح انما كانوا حكماء فحكمتهم

هي التي دعتهم الى اتباعهِ . فانهُ ينبغي لك ان تكون تبَعاً لهم اذ نسبتهم الى الحكمة مع ان هذا الامر الشنيع الذي يوصف بهِ المسيح ويُنسب اليهِ لا يقبلهُ حكيم من حكماء الدنيا وقد يفوق عقول الناس كلهم حتى تفيض عليها نعمة روح القدس فتُقنعها ان المسيح اله كما قال مار بولس : انهُ ليس احد يقدر ان يقول ان المسيح رب الّا بروح القدس . وان لم تصدّق بهذا فاحمل دعوة المسيح الى كل حكيم من حكماء الدنيا وأقنع بها ولو واحدًا منهم ولكن لا تستطيع لان حكمة الدنيا انما همَّتها فخر الدنيا وألّا تصدّق ما خالف حدود الكيان التي غاصت عليها دون عقل العامَّة والتجمُّل بصفاقة الكلام والغرور بجلاوة الكلام . ودعوة المسيح خلاف لهذا كلهِ . ولكن الامر كما قال بولس : انهُ بحكمة الله لم يعرف العالم الله بالحكمة فاحبَّ الله ان يجتبي الذين يؤمنون بحمق الدعوة (١ كور ١ : ٢٨)

وان قلت ان الذين اتبعوا المسيح كانوا في عقولهم اوساطاً فقد تقول ما لا يكون لأن اوساط العقول غايتهم الحزم في امور الدنيا الظاهرة وألّا يَقبلوا الّا شكيلًا لما قد اختبروه قديماً ممَّا ادَّت اليهِ التجارب والحواسّ . ودعوة المسيح لا يمكن ان يُبَشَّر بها هذه العقول بل هي تشمئزّ منها وتستجفيها جدًّا

فمن حيث قبلتَ الاشياء التي ذكرنا كنت مضطرًا ان تعرف لا محالة ان المسيح لم تقبلهُ هذه الامم التي هي خمسة اسداس الناس (١ الّا بما رأوا من هذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وكتب التلاميذ وبقوة الروح القدس التي دبَّت في عقولهم خفيًّا فأقنعتها ان المسيح الـه" وابنُ اله كما قال عن نفسه وان كان قد لقي من الاوجاع والصلب ما يقال فيهِ . وانهُ لم يلقَ هذه الاوجاع عجزًا ولا عبثاً بل لسبب مستقيم وان كان ذلك يخفى عن من لم يلمع قلبهُ بروح القدس . وان هذا الامر الذي ذكرنا يحقق لا محالة ان الامم لم تقبل المسيح الّا بهذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وفي كتب التلاميذ . وذلك يضطرّ عقلك الى ان تؤمن وتقرّ بهذه الاعاجيب كانك قد رأيتها وعاينتها . وهذه الاعاجيب اقنعت ان المسيح اله وابن اله كما قال عن نفسهِ . والمسيح والتلاميذ شهدوا على موسى والانبياء كلهم انهم انبياء وحقَّقوهم .

١) هذا شاهد جميل على امتداد النصرانيَّة في القرن التاسع على عهد ابي قرَّة

وبشهادة المسيح وتلاميذه يحقق موسى والانبيـاء اليوم عند ذي العقل انهم كانوا مرسلين من الله

واما انت يا يهودي فانك لو كُلفت اليوم ان تاتي بسبيل عقل يحقق به عند احد الناس موسى او واحداً من الانبياء لما قدرت على ذلك. ولقد مكث ناموس موسى والانبياء نحو اكثر من الف وخمسمائة سنة لم يقدر ان يُقنع بذلك احداً من الامم انهُ من الله . ولا اباؤك اقاموا على الناموس او على عبادة الله . ولما جاء المسيح اقنع الامم كلها باعاجيبه وحقق عندهم موسى والانبيـاء وصار المسيح في وجه كاروز اولئك . ويحق فعل ذلك المسيح وما كان أولاه به . لانهُ هو الذي بعثهم وامرهم ان يتنبأوا عليه وان يصوروهُ لئلا تنكرهُ العقول اذا ظهر ماشيـاً على الارض . ولذلك قدم ميخا النبي فتنبـأ عليه فقال : « اسمعوا يا جميع الامم وانصتوا يا كل الشعوب وليكن الرب عليكم شهيداً فان الرب يخرج من موضعه وينزل حتى يطأ على الارض . هذا في شان خطيئة يعقوب وفي سبب ذنوب اسرائيل » (ميخا ١ : ٢ — ٥). وارميا قال فيه ايضاً : « هذا الهنـا لا يُعدُّ معهُ اخر الذي وجد طريق المعرفة واعطاها يعقوب حبيبهُ واسرائيل خليلهُ . ومن بعد ذلك تراءى وبين الناس تقلّب (باروك ٣ : ٣٧ — ٣٨). وموسى انما قال لهُ الله ان يجعل هرون كاهناً ويقرب الذبائح على حذو ما اراه الله في الجبل (خروج ٢٥ : ٤٠) ومن ههنا اعلمك انَّ هنـا كاهناً اخر غير هرون هرون صورتهُ . وذبيحةً اخرى غير تلك الذبائح تلك الذبائحُ صورتها . فجاء داود وفسَّر لك ذلك الكاهن الذي هرون صورتهُ واخبرك انهُ ربٌ جلس على الكرسي عن يمين الله وانهُ ابنٌ مولود من الله قبل كل الدهور حيث قال : قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك تحت قدميك . وقال الله لهذا : اني من البطن قبل النور ولدتُك . وقال لهُ : أنت الكـاهن الى الابد على شكـل ملكسذق (مز ١٠٩ : ١ — ٤) . وقال اشعيا وفسَّر لك تلك الذبيحة التي ذبيحتك صورة لها وقال ان المسيح يقول عن نفسه : اني لستُ اعصى وامتري . اعطيت ظهري للسياط وخدي للَطم ولم اردّ وجهي عن فضيحة البصاق (اش ٥٠ : ٦). وقال فيه اشعيا : انهُ ليس لهُ منظر ولا جمال . فرأيناه فلم يكن لهُ منظَر ولا جمال بل منظره حقير دون مَناظر الناس . هو انسان مجروح يعرف ان

يحتمل الامراض . كان حقيرًا لا يُعدّ فهو يحتمل امراضنا وفي شأننا توجع ونحن حسبناه في نصَبٍ مجروحاً من الله مبتلى وهو انما جُرح في شأن معاصينا وعرضت له المصائب في شأن خطايانا . ادبُ سلامنا عليهِ وبجراحهِ تداوينا . ضلّ كلُّنا كالمواشي وضلّ كل واحد منا سبيلهُ . والرب أسلَمه في شان خطايانا لم يفتح فاه اذ ابتُلي . كالشاة للذبيحة ساقوه وكالخروف امام الجزّار كان ساكتاً كذلك لم يفتح فاه بتواضعهِ (اش ٥٣ : ١ — ٧)

هذا يا يهودي يدلُّك ان كان لك عقل ان هرون كاهنك كان صورةً لهذا الكاهن وذبيحتك كانت صورة لهذه الذبيحة . لانهُ لو كان كاهنُك هو الذي كان يستغفر الذنوب للناس وذبيحتُك كانت بها تُغفر الذنوب لقد كان هذا الكاهن الذي ذكرهُ داود وهذه الذبيحة التي ذكرها اشعيا عبثاً جعلها الله وكان موسى باطلاً اخبرك ان الذي في يدك صورةٌ . وجاء داود واشعيا وفسّرا لك تلك الصورة . لكنك لم تعقلها في زمانها كما قال لك موسى : انك قد رأيت ما صنع الله بين يديك فلم يعطكم الله عيوناً تبصرون بها ولا اذاناً تسمعون بها ولا قلوباً تفهمون بها (تث ٢٩ : ٤) . فلو ان الاشياء التي رأيت يا يهودي لم تكن صورة لغيرها ولم تكن تَعني غيرها كيف كان يجوز لموسى ان يقول لك « انك قد رأيت ما صنع الله بين يديك فلم يعطكم الله عيوناً تبصرون بها ولا آذاناً تسمعون بها ولا قلوباً تفهمون بها » . ولكن هذا الامر يدلُّك انهُ انما كانت بيدك صورةً وامرًا يُعنى بهِ غيرهُ . وقال داود محققاً ذلك لك : ان آباءنا لم يفهموا بمصر اعاجيبك (مز ١٠٥ : ٧) فحسبُك هذا يا يهودي ان كنت ذا لبٍّ ان تلتمس اكتساب الخير لنفسك فقد اتاك الشفاء وكان اتاك من قبل لو قبلتهُ من معلمي النصرانية الذين نطقوا بروح القدس واوضحوا امر المسيح كلهُ من العقل والكتاب جميعاً . فهذا تثبيت النصرانية بالاضطرار الذي لا محيص عنهُ لكل ذي عقل ونيَّة . فالعقل يقود الى المسيح لا محالة والمسيح يحقق موسى والانبياء . فلنا العتيقة والحديثة كما قال سليمان بن داود في تسبحة التسابيح (٧ : ١٣) : « ان على ابوابنا كل الثمرة العتيقة والحديثة »

٢

لكن اي شيء ننتفع بهِ معشر النصارى الأملّة الخلكيدونيين دون النسطوريين

واليعقوبيين واللوليانيين (١ والمارون (٢ وغيرهم من الاراسيس الذين ينتحلون النصرانية لان كل واحد من هؤلاء الذين ذكرنا يرى انّ سعينا في تثبيت النصرانية انما هو له لانهُ زعم انهُ النصراني الحقّ

وقد يحقّ علينا كما اثبتنا النصرانية من كل دين وحقّقنا انّها هي الدين الحقّ وحدَها ان نفصل الارثوذكسية(٣ من هذه الاراسيس ونحقق انها هي النصرانية وحدها وان كل تلك الاراسيس باطل . وقد اثبتنا هذا بعونٌ روح القدس قديماً في سبيل الدارس اللطيف عند كل من كان لطيف العقل يقدر ان يغوص على الامور الغامضة التي تغيب عن العوامّ ولكن سبيل الدارس اللطيف ليس فيهِ قُنوعٌ للعامَّة من السوقيين والاكَّارين واشباههم . وقليلًا ما يصل اليهم الشفاء بذلك الوجه . من اجل ذلك ينبغي ان نشترع منهاجاً آخر نيّرًا ومحجّة واضحة يقدر يسلكها الفقيه والعرَض من الناس والفيلسوف والسوقيّ فنحقّق بذلك الارثوذكسية ونُبدي نورها كنور الشمس لايخفى على صغير ولا كبير حتى لا يكون لاحد علّة في التخلّف عنها . وتكون الحجّة لازمة لمن اغتبط بالطغيان الذي هو عليهِ من الاراسيس ويكون ذلك سرورًا لاهل الارثوذكسية في توفيق روح القدس ايّاهم لصواب الايمان واستقامة الدين ونشحذهم على ان يجمعوا مع الايمان البِرّ وحسن العمل لكيلا يخيبوا من منفعتهِ فتكون كينونتهُ بايديهم وبالًا عليهم ان عطّلوا ما ينوبهم من العمل بطاعة المسيح

فما هذا الطريق الواضح ليت شعري الذي تُحقّقهُ الارثوذكسية ؟ امّا نحن يا هؤلاء معشر كل من ينتحل دين النصرانية فقد اتّفقنا على لزوم كتب العتيقة والحديثة والتصديق بها وانما جعَل الفرقةَ بيننا ما قد اختلفنا فيهِ من معاني هذه

---

١) كذا في الاصل ولعلّهُ يريد اليوليانيين وهم قومٌ تابعوا يوليان من هاليكرناس احد زعماء بدعة الطبيعة الواحدة

٢) راجع كتاب فقيد الدين والعلم المطران يوسف دريان المعنون بلباب البراهين الجليّة في نسبة ثيودورس ابي قرّة بدعة المشيئة الواحدة الى الموارنة (ص١٨٢)

٣) الارثوذكسية في كلام ابي قرّة الايمان المستقيم وهو الايمان المبني على وحدة الكنيسة ورأسها المنظور خليفة مار بطرس كما سترى

الكتب . وهذ الامر هو الذي افرز كل فريق منا في كنيسة وعلى حدة . وحرّم علينا ان نصلي بعضنا مع بعض . فلزم احد امرين إمّا ان نقول ان كلّنـا مقبول عند المسيح اذ كنا مقيمين على نُسَخ العتيقة والحديثة التي كتبها لنا روح القدس وان المسيح لا يحاسبنا على مـا سقط عنه ظنُّ احدِنا من معاني الكلام الذي في هذه الكتب . وإمّا ان نقول انهُ لا يقبل منّا التمسُّك بنُسخ هذا الكتب دون السقوط على حقيقة معاني كلامها الذي ايّاه عنى روح القدس فيما لا يتمّ الدين الّا بهِ

فان قال قائل ان المسيح يرضى منك بالتمسُّك بنُسَخ هذه الكتب دون المعرفة بحقيقة معانيها فقد صيَّر النصرانية يهوديَّةً وجعل غايتهُ باللفظ لا بالفعل وأَمر النصارى ان يجتمعوا في كنيسة واحدة وصلاة واحدة في احتشادهم وان يتفرَّقوا في ارواحهم ووَعْظهم وان يعبدوا في ظاهرهم إلهاً وفي باطنهم آلهة مختلفة وزيَّن عندهم ان يتَّسموا باسم مسيح واحد في ألسنتهم ويتوهموا مسحاء كثيرين في قلوبهم . وهذه عبادة ليس يرضى بها المسيح حاشا لهُ كما قال: اني لست مُدخلًا الحرب محلَّ الدَّعة (١

فلا بد لكل نصراني ان كان على حقيقةِ ما ينتحل من ان يعبد المسيح والاب والروح بخالص المعنى الذي في كتب العتيقة والحديثة . والّا كان يهودياً لا يحتسب الّا ان يقول : امّا ان الله تغيَّر من حـال الى حال وامّا ان يكون آلهة كثيرة لانهُ حيث يسمع من موسى (تث ٤ : ٢٤) : « ان الله نار آكلة » فيكون مجوسياً لانهُ انما يسقط ذهنهُ على النار التي تعبدها المجوس . واذا سمع من دانيال النبي (٧ : ٩) : «انهُ عتيق الايَّام شعرهُ كالصوف النقي » يتوهَّم الله شيخاً كبيراً . واذا سمع من حزقيال (١ : ٢٧) : «انهُ من خصره الى فوق نار وانهُ مثل اللازورد ومن خصره الى اسفل نار » فانهُ يتوهَّم الله امّا قد تغيَّر مما كان فيهِ او انَّ هذا الاله غير الذي رأى دانيال وغير الذي ذكر موسى . وهذا اسمجُ ما يكون ان تضطرب هذه الثلاثة في عقل المؤمن . واذا سمع المسيح يقول عن نفسهِ (يو ١٠ : ٩) : « انهُ باب » توهَّم باباً . واذا سمعهُ يقول (يو ١٥ : ١) : « انهُ كَرْمة » ظنهُ قد تغير او ظنَّ ان هذا

---

١) ليس في الانجيل آية على هذا اللفظ وانما يشير الكاتب الى معنى اقوال الرب عن السلام الذي أتى بهِ للعالم

مسيح غير ذاك . وما شاكل هذا كثيرٌ . اذًا لا محـالة انهُ لا بد من أن يَلزم معنى الكتاب على حقيقتهِ فيما هو اصل الدين والَّا فلا عبادة

فاذا كان هذا كذلك فليس الكنيسة التي يسكنها المسيح الَّا واحدة من هذه الكنائس المختلفة التي كل واحدة منها تدَّعي انها هي المقيمة على حقيقة النصرانيَّة

ولكن كيف يصنع السوقيُّون والاكَّارون وكل النـاس الَّا القليل منهم اذ عقولهم لا تغوص على حقيقة هذه المعـاني . والمسيح لا يقبل منهم غير هذه الحقيقة . أَفيحسن ان نقول ان المسيح كلَّفهم ما لا يطيقون ? حاشا لهُ . والَّا فقد صيَّر هبوطَهُ من السماء في شانهم وسفكَهُ دمهُ عنهم وَبالاً عليهم . وان كان يكلفهم هذا فهو لا يكلفهم ما لا يطيقون . ونحن نعلم ان اكثرهم الَّا الطائفة اليسيرة منهم لا تغوص عقولُهم على مـا قد كُلِّفوا . فكيف بمعرفة السبيل التي تبلغهُ عقولهم اذا سلكوه وصلوا الى حقيقة هذه المعاني . وهذا السبيل ليس احد من الهراطقين يعرفهُ ولا يهتدي لهُ واليهِ . بل ليس من الحياة للهرتيق الَّا كلام يجري في ظلمة بهِ يتمكن من غرور الاغرَاء ويعوج شفتيهِ ويظن من يسمعهُ من الجهال انهُ خزانة الحكمة . ويقودهم بذلك الى اتبـاعهِ اذا نطق بالكلام الذي يغمض عليهم . وهو ايضاً لا يعرف ذلك الكلام بل كما قال بولس الرسول (١ كور ١٤ : ٢ — ٦) : « لا يدري ما يتكلَّم بهِ ولا اي شيءٍ يحقق » . ولكن هذا السبيل الواضح هو عند الارثوذكسيَّة وبهِ اهتدوا الى حياة الابد . ونحن نعلم ان المسيح لم يكن يعطِّل هذا الامر ولا كان يترك هذه العامة بغير طريق واضح تعرفهُ عقولهم يؤديهم الى حقيقة هذه المعاني التي يكلفهم اياها . ولا سيما اذ قد كان يعرف هو والتلاميذ ان هذه الاراسيس ستكون وان الشيطان سيُغربل الكنيسة بها حتى تحصل على قمحها الحق (لوقا ٢٢ : ٣١)

واما هذا السبيل فقد اوضحهُ روح القدس على يد موسى راس الانبياء في الناموس وذلك ان الله انزل عليهِ الأحكام التي امرهُ ان يحكم بها على بني اسرائيل . وان موسى رمى بهذه الأحكام الى قضاة احبارهم فولَّاهم ان يقضوا بين بني اسرائيل وجعل منهم رأس عشرة وراس خمسين وراس مـائة وراس الف وامرهم ان ينفذوا الحكومة بين بني اسرائيل بالعدل . وقال لهم : انظروا ما وضح لكم من هذه الاحكام فأنفذوه على اخوتكم . ومهما غمض عليكم منها وشككتم فيهِ فارفعوه

اليَّ حتى ارفعهُ الى الله واتيكم فيهِ بالحق (تث ١ : ١٠ — ١٧) . فكانوا يفعلون ذلك ما دام موسى بين اظهرهم

فلمَّا اراد الله ان يتوفَّى موسى خلف الاردن علم موسى بروح القدس ان لو قد فقدهُ بنو اسرائيل وقعوا في اضطراب من الشك وتشتَّت امرهم ووقع الصدع بينهم . فوضع لهم الناموس الثاني بروح القدس وترك لهم خلفاً منهُ لا يزول الى الدهر . وقال لهم (تث ١٧ : ٨) : «يا بني اسرائيل اذا تعذَّر عليكم شيء شككتم فيهِ من القضاء بين الدم والدم وبين الحكومة والحكومة وبين النجسة والنجسة وبين التشاجر والتشاجر فكان كلام اختلاف في مدائنكم فعليكم بالموضع الذي يختار الرب الهك ان يُدعى باسمه فيهِ . فافزَعْ الى هناك في تلك الأيام وائتِ الكهنة واللاويين والديَّان الذي يكون هناك في تلك الأيام فينظرون في ذلك وينبئونك بحقيقة الحكم فتتبع القضيَّة التي يخبرونك بها من ذلك الموضع الذي يختار الرب الاهك ان يُدعى باسمهِ فيهِ . وتحفَّظ جدًّا ان تنتهي الى ما اشترعوه لك وتعمل بالناموس والقضيَّة التي يقولون لك . ولا تحيدنَّ عن الامر الذي يوعزون بهِ اليك يميناً ولا شمالاً . والانسان الذي يتعظَّم ولا يسمع للكاهن الذي يخدم باسم الرب الهك او القاضي الذي يكون هناك في تلك الأيام فليُقتل ذلك الانسان وأَبيدوا العداة من بني اسرائيل لكي تسمع الأُمة كلها فينكِل ذلك بها وتنتهي عن العدوان »

أَلا ترى ان موسى لم يجعل النظر في الاحكام التي يُختلَف فيها وفَصْلَها الى احد من العامَّة ممَّن يدَّعي العلم او ممَّن لا يدَّعيه بل اراه روح القدس فاسند ذلك الى جميع الكهنة والى الديَّان الذي يكون في المكان الذي يختار الله ان يُدعى هناك باسمهِ . ولم يجعل لمن دون اولئك معهم نظرًا البتة . ولكنهُ امر العامَّة كائناً من كان ممَّن يرى انهُ عالم وممَّن يرى انَّهُ ليس بعالم ان ينتهوا عزيمةً الى القضاء الذي يخرج لهم من ذلك الجمع كان على احدهم او لهُ . وقضى بالموت على من نفختْهُ العظمة ولم يذلّ قلبهُ لقبول ما قضوا بهِ عليهِ وظنَّ انَّ رأيهُ افضل من رأيهم . وانما قضى موسى بالموت على من لا يقبل قضيتهم لأنهُ علم ان الروح القدس اذ قد اسند امر هذه الشكوك وهذا الاختلاف اليهم فهو يوفّق عقولهم للصواب فيهِ لا محالة ولا يخذلهم كائنين في عقولهم وحالاتهم من كانوا ولا يدع ان يخرج منهم الَّا الصواب

وان قال قائل ان روح القدس امر العامَّة بطاعة هذا المجمع الذي في هذا الموضع في احكامهم الغامضة وزعم انهُ يخذلهم اذ يخرج منهم الباطل فقد صيَّر صاحب هذا القول روح القدس هو الذي يُضلُّ الأُمة. وقائل هذا القول هو الذي يجدّف على روح القدس حقــاً حيث يكون روح القدس شمس الهُدى ومعدن النور يجعلهُ هو سبب الضلال ولكن حاشا الله ان يكون الامر كذلك. بل نحن واثقون مطمئنَّة قلوبنا ان روح القدس لا يترك هذا الجمع ان يخرج منهُ قضيَّة الّا في موضعها

والحديثة المقدَّسة التي انَّما كانت العتيقة صورةً لها دَبَّر فيها كذلك روح القدس كما دَبَّر في العتيقة وجعل كلَّ ما اختلف فيهِ النصارى من الدين ان يُرفع الى مجمع السلّيحين (١ وجعل للسلّيحين رأساً واحداً يكون منتهى الاحكام العامية كلها اليهِ والى مجمعهِ وان يقضوا فيها بما اراهم روح القدس. ومعرفتهُ في البركسيس (ف١٣ و ١٥) وذلك ان بولس وبرنابا انتُخبا من روح القدس وهما بانطـاكية ان يجولا في البلدان فيكرزا انجيل المسيح وانهما خرجا فأنجزا ما أُفرزا لهُ من ذلك ثم رجعا الى انطاكية. فبينما هما هناك اذ نزل رجال من بيت المقدس الى انطاكية وكانوا يعلّمون الاخوة ويقولون لهم: انكم ان لم تختتنوا كسنَّة موسى لا تستطيعون ان تحيوا. وان بولس وبرنابا خالفاهم في ذلك وخاصماهم فيهِ فاتفق القوم جميعاً ان يطلع بولس وبرنابا ونفرٌ من اولائك الى السليحين والقسيسين باورشليم في شان هذا التشاجُر. فلماَّ وصلوا الى اورشليم اذا ثَمَّ اناسٌ كانوا من هوى الفريسيين كانوا قد تنصَّروا. فنهض هولاء فقالوا للسليحين انهُ ينبغي ان تختنوا مَن آمن من الامم وان تتقدموا اليهم في حفظ ناموس موسى. فاجتمع السليحون عند ذلك والقسيسون لينظروا في هذا الامر. وكانت هناك مباحثة كثيرة

ثم نهض بطرس وقال لهم: « ايها الرجال اخوتي قد علمتم ان الله في الايَّام العاديَّة انَّما اختار ان يسمع الامم كلمة الانجيل من فيَّ وان يؤمنوا. والله الذي يعرف القلوب زكَّاهم واعطاهم روح القدس كما اعطانا. ولم يجعل بيننا وبينهم فصلاً لأنهُ طهَّر

١) السليح من السريانيَّـة (ܫܠܝܚܐ) هو الرسول. وما اوضحَ قول ابي قرَّة بان الروح القدس جعل للسليحين رأساً يكون منتهى الأحكام كلِّها اليـهِ. فكفى بهِ دلالةً على رئاسة مار بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين

قلوبهم . فانتم يا هؤلاء . لِمَ تخالفون الله فتضعون على اعناق التلاميذ النير الذي لم نُطِقْ نحن ولا آباؤنا ان نحتملهُ . وانَّما نوقن ان نحيا بنعمة ربنا يسوع كما يحيا اولئك »

فاجاب يعقوب عند ذلك فقال : « ايها الرجال اسمعوا ان سمعان قد قضى عليكم كيف رضي الله ان يتَّخذ من الامم امَّةً لاسمهِ وهـذا يوافق كلام الانبياء كما هو مكتوب : « اني من بعد ذلك اعود فابني مسكن داود المتهتك واجدّد ما خرب منهُ واقيمهُ لكي يبتغي سائر الناس وجه الرب . وكل الامم الذين يُدعى اسم الرب عليهم . قال الرب ذلك الفاعل ذلك : فانا اقضي أَلَّا يؤْذَى من يرجع الى الله من الامم . ولكن ان يُؤْمَروا باجتناب ادناس الاوثان والزنا والميتة والدم »

فرأى عند ذلك السليحون والقسيسون مع جماعة الكنيسة واختاروا منهم رجلين بعثوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا وهما يهوذا الذي يقال لهُ برسابا وسلوان رجلين شريفين في الاخوة وكتبوا معهما بهذا : « من السلّيحين والقسّيسين والاخوة الى الكنيسة التي بانطاكية وسوريا والاخوة الذين هم من الامم افرحوا . قد بلغَنا ان اناساً منَّا خرجوا فعكَّروكم بالكلام وقلبوا نفوسكم وقالوا انهُ ينبغي لكم ان تختتنوا وان تحفظوا ناموس موسى ما لم نأمرهم بهِ . فرأينا عـامَّةً ان نختار رجلين ونسرّحهما اليكم مع اخينا برنابا وبولس اللذين بذلا انفسهما للمسيح فبعثنا يهوذا وسلوان وتقدَّمنا اليهما ان يوصلا كلامنا من افواههما . أَلَا فقد رأى الروح القدس ورأينا أَلَّا يوضع عليكم ثقلٌ فوق ما لا بدَّ منهُ ان تجتنبوا ضحايا الاوثان والدم والميتة والزنا . فاذا انتهيتم عن ذلك فنعم ما تصنعون » . ثم ان يهوذا وسلوان ودَّعا الجماعة ونزلا الى انطاكية وجمعا الكنيسة واعطياهم الصحيفة فلمَّا قرأُوا فرحوا بالعزاء الذي ورد عليهم . وكان يهوذا وسلوان نبيَّين فعزَّيا الاخوة بكلام كثير وثبَّتاهم

أَلا ترى ان الذين نزلوا الى انطاكية يأمرون بالختان وحفظ الناموس انما كانوا من جماعة الاخوة الذين كانوا باورشليم . وبولس وبرنابا الذين خالفا هؤلاء قد كانا من عِلية السليحين فحيث تشاجر الفريقان بانطاكية فيما اختلفوا فيهِ لم تقبل الكنيسة لا من بولس وبرنابا ولا من اولئك . ولكنهم ارتفعوا كلهم الى مجمع السليحين الذي كان فيهِ مار بطرس رئيساً واماماً . فحيث توافى مجمع السليحين ونظروا في الامر قضوا بما رأوا ونسبوا قضيتهم الى روح القدس . وقالوا : انهُ رأيُ روح القدس ورأْينا . أَلا

ترى ان هذا المجمع الذي فوّض فيه المسيح النظر في امور الاراسيس لايرى الّا مايرى روح القدس وانهُ واجب ان يُرفع كلُّ ما يُختلَف فيهِ من امور الدين الى هذا المجمع وليس لاحد كائناً مَنْ كان كبيرًا ولا صغيرًا ان ينفرد برأيه دون هذ المجمع وان يوعز الى الكنيسة ان تقبل منهُ وحده. فلعمري لهذا لم تقبل الكنيسة من مار بولس وبرنابا اللذين كانا شمس العالم دون الجماعة. فليس لاحدٍ اسقفاً كان او بطركاً او غيرَهُ ان يقول للكنيسة ان: «اقبلي مني مـا اقول دون جميع السليحين»

واعلم (١ ان السليحين راسهُم مار بطرس الذي قال لهُ المسيح (متى ١٦ : ١٨) : «انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لا تغلبها». وقال لهُ ايضاً ثلث مرار بعد قيامتهِ على بحر طبريَّة (يو٢١: ١٥—١٧) : «يا سمعان أتحبني؟ ارعَ خرافي وكباشي ونعاجي». وقال لهُ في موضع اخر (لو ٢٢ : ٣١) : «يا سمعان ان الشيطان يسأل ان يغربلكم كالقمح وانا طلبت فيك ألّا تخسر ايمانك. ولكن انت في الحين اعطِفْ على اخوتك وثبِّتهم». ألا ترى ان مار بطرس هو اساس الكنيسة المخصوص بالرعية ومن آمن ايمانهُ ابدًا لا يخسر ايمانهُ. وهو المأمور انْ يعطف على اخوتهِ ويثبِّتهم

وقول المسيح «اني طلبت لاجلك ألّا تخسر ايمانك ولكن اَعطِف على اخوتك في الحين وثبّتهم» لا نرى انما عنى بهِ مار بطرس نفسهُ والسليحين باعيانهم بل انما عنى بذلك وُلاة مرتبة مار بطرس التي هي رومية وولاة مراتب السليحين. وكما انهُ قال للسليحين: «اني معكم الايام كلها الى آخر الدهر» ولم يَعنِ بهذا القول السليحين باعيانهم فقط بل عنى ايضاً اصحابَ مراتبهم ورعيتهم. وكذلك القول الاخر الذي قالهُ لمار بطرس «ان اعطف في الحين وثبت اخوتك وانهُ لا يُخسَر ايمانك» انما عنى بذلك ولاة مرتبتهِ. والدليل على ذلك ان مار بطرس نفسهُ هو الذي خسر ايمانهُ من بين السليحين وكفر بالمسيح ولعل المسيح انّما خذلهُ لهذا ليحقق عندنا انهُ ليس اياه عنى بذلك القول. ولم نرَ احداً من السليحين وقع ولا احتاج احد الى مار بطرس ان يثبّتهُ

١) كلُّ مـا يقولهُ هنا ابو قرَّة عن رئاسة القديس بطرس وخلفائهِ حريٌّ بالاعتبار فانهُ لا يستثني من الخضوع لرئيس الكنيسة لا بطريركاً ولا اسقفاً ايّاً كان وهو كافٍ لتفنيد كل البدع والانشقاقات بل يدلُّ دليلًا صريحاً على خضوع صاحبهِ للحبر الروماني قبل فوطيوس

فان قال قائل انهُ انما عنى المسيح بهذا القول مار بطرس نفسهُ والسليحين باعينهم فقد جعل الكنيسة لا مثبّت لها بعد موت مار بطرس . وكيف يكون هذا ونحن نرى الغربلة كلّها انما كانت من الشيطان للكنيسة بعد موت السليحين . وهذا يدلُّ على انهُ ليس ايّاهم عنى المسيح بهذا القول . فلعمري ان كل واحد ليَعلم ان الاراتقيين انّما ثاروا في الكنيسة بعد موت السليحين كبولس السميساطي واريوس ومقذانيوس واونامِيوس وسبالّيُس وابليناريوس واورجنوس وغيرهم . ولو كان هذا القول الذي في الانجيل انما عنى بهِ مار بطرس والسليحين باعيانهم اذاً قد كانت الكنيسة بعدهم معطّلة من العزاء ولا كان احد ينقذها من هؤلاء الاراتقيين الذين اراسيسهم حقّاً هي ابواب الجحيم التي قال المسيح انها لا تغلب الكنيسة (متى ١٦ : ١٨) . اذاً لا محالة ان هذا القول انما عنى بهِ وُلاة مرتبة بطرس الذين لم يزالوا يثبّتون اخوتهم ولن يزالوا ما بقي الدهر

او ما تعلمون ان آريوس حيث خرج انما اجتمع الجمع عليهِ بامر اسقف رومية فطرحهُ المجمع القديس وابطل اراسيسهُ وقبلت الكنيسة هذا المجمع ودفعت اريوس كما قبلت كنيسة انطاكية اذ ذاك صحيفة السليحين ورمحت هؤلاء الاراتيقيين الذين كانوا يعلّمونها ان تختتن وتقبل الناموس

وحيث خرج مقذانيوس وقال في روح القدس ما قال كذلك اجتمع عليهِ جمع بالقسطنطينيَّة بامر اسقف رومية فطرحهُ المجمع القديس وقبلت الكنيسة ذلك المجمع كما قبلت المجمع الاول وأقصت مقذانيوس كما أقصَتْ اريوس وتعلمتْ من هذين المجمعين ان تقول ان الابن والروح من جوهر الاب . وان كل واحد منهما اله لم يزل مع الاب ومن الآب . وقبلت الكنيسة هذين المجمعين على مثل ما قبلت كنيسة انطاكية اذ ذاك مجمع السليحين . وكما لم يكن لكنيسة انطاكية نظر مع رأي السليحين كذلك لم يكن لاحد نظر مع راي هذين المجمعين . وكما ان ما كتب به السليحون اذ ذاك الى كنيسة انطاكية انما كان رأي روح القدس كذلك لا تشك الكنيسة ان راي هذين المجمعين هو راي روح القدس . وكما لم تقبل كنيسة انطاكية اذ ذاك لا من بولس وبرنابا ولا من الآخرين حتى رفعتهم الى مجمع السليحين فتوقعت رأي ذلك المجمع فلمّا اتاهـا تعزّت بهِ كذلك لم تقبل الكنيسة لا من اريوس

ومقذانيوس ولا ممَّن كان يخاصمهم في زمانهم من الاباء القديسين حتى رفعت ذلك الى المجمع المقدس فتوقَّعت رأيهُ . فلماَّ اتاها قبلتهُ فتعزَّت بهِ وسُرَّت

وحيث خرج نسطوريوس فقال في المسيح ما قال أنكرت الكنيسة قولهُ ورفعتهُ الى المجمع المقدس كعادتها . فاجتمع بأفسس جمعٌ عليهِ بأمر اسقف رومية فطرحهُ المجمع المقدَّس وابطل قولهُ . وقبلت الكنيسة المقدسة ذلك المجمع ونفت نسطوريوس وجحدت قولهُ وعلَّمت انهُ ليس لها نظر مع ذلك المجمع بل قد فُرض عليها من الروح القدس ان تتبعهُ على نحو ما بيَّنَّا

فانت ايها النسطوري اعلم انك في خطإٍ وانك زللتَ عن الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة ونُفيتَ من المسيح وبرئتَ من سكانتهِ اذ لم تقبل رأي المجمع المقدَّس الذي فرض روح القدس قبولهُ وهو رأي روح القدس . والعجب منك انك اتَّبعت نسطوريوس وانت لم تُؤْمَر باتباعه وفضَّلتهُ على مار بولس وبرنابا جميعاً حيث ترى الكنيسة لم تقبل هذين وهما نور البشر فقبلتَ انت نسطوريوس وتركت المجمع المقدس الذي اتّباعهُ لازم واتَّخذتَ لنفسك سنَداً واهياً ووثقتَ بعقلٍ انسيٍّ وتركت توفيق روح القدس . واعلم انهُ لا عذر لك حيث قبلت راي المجمعين الاولين مسترسلاً اليهما بلا تفتيش كما امرك روح القدس ونبَتْ نفسك عن هذا الثالث الذي قد أُمرت من روح القدس بقبولهِ كما أُمرتَ بقبول ذينك واشركت عقلك مع رأيه ولم تطمئن الى روح القدس الموفق لهُ والناطق بهِ . وان انت تجنَّيت العللَ على هذا المجمع فاعلم ان اريوس واصحابهُ يتجنَّون على المجمع الاول ويُلحقون بهِ العيوب بجهدهم ومقذانيوس واصحابهُ يتجنَّون على المجمع الثاني ويعيبونهُ ولا يبالون . وكما انهُ ليس لهما ولا عندك عذر في تجنّيهم على هذين المجمعين كذلك يلزمك ان تعلم انهُ لا عذر لك عند المسيح في تجنّيك على هذا المجمع الثالث

وحيث خرج اوطيخيوس وديسقورس وقالا في المسيح ما قالا انكرَت الكنيسة قولهما فنهض من الاباء القديسين مَن يخاصمهما فلم تقبل الكنيسة لا منهما ولا ممَّن يخاصمهما ولكنها رفعتها الى المجمع المقدس كعادتها . فاجتمع عليهما المجمع الرابع بخلكيدونية بامر اسقف رومية فطرحهما وابطل قولهما فقبلت الكنيسة قول هذا المجمع كما قبلت الثلاثة المجامع وأقصت اوطيخيوس وديسقوروس ولفظَتْ قولهما .

وعلمت انهُ ليس لها نظر مع هذا المجمع وايقنت ان الراي الذي خرج منهُ هو رأي روح القدس لا محالة

وانت يا يعقوبي ما بالك قبلت الثلاثة المجامع مسترسلًا اليها من غير ان تجعل لنفسك نظرًا مع رأيهم ولم تقبل هذا المجمع الرابع ؟ ولكنك آثرتَ عليهِ اوطيخيوس وديسقوروس وتركتَ ان تعتمد على عمود الحق الذي جعلهُ لك روح القدس واعتمدت على قصبةٍ مرضوضة وامكنتَ من لحمك ان يُشرَّح ويسيل دم نفسك وتموت موتًا روحانيًا لحاجةٍ في اتّباع مَن لم يُفترَض عليك اتّباعهُ بل قد نُهيت عنهُ كما نُهيت عن الحيّة التي صارت اداةَ الطغيان (١ . ثم لم تزل تنتقل من رأي رجل الى رأي غيره يغيّرون دينك ويمسخونهُ حتى استوجَبْت ان تسمَّى كثيرَ الروؤس ومن لا راس لهُ (٢ واشبهت حجرًا يزول عن الاساس فهو لا يزال يتدحرج حتى يهبط الى اسفل السافلين . كذلك دحرجك اوطيخيوس وديسقوروس وثيادسيُس وسواريوس ويعقوب (٣ وغيرهم وادخل عليك كل واحد منهم في دينك الغش الذي وافق رأيه وخالف كلٌ واحد منهم صاحبه وخالف الحق

فـان تجنَّيت على المجمع المقدَّس فلا ترى انك سبقت مَن قصبَ (٤ المجامع المقدَّسة الى ما قد تخلّف عنهُ من كان قبلك . فلعمري ان اريوس ومقذانيوس ونسطوريوس واصحابهم ليَقصبُ كلُّ فريق منهم المجمع الذي طرحهُ قَضبًا لا يترك فيهِ جهدًا . ولست تقول في هذا المجمع الرابع الّا دون ما يقول كل واحد من اولئك في المجمع الذي اقصاه . فان حسَّنتَ لاولئك مذمّة المجامع المقدسة الماضية قبل هذا المجمع فالحق برايهم وقُل بقولهم واخلعْ عنقك من نير روح القدس جهارًا . وان

---

١) يريد الحية النحاسية التي اقامها موسى في البريّة كرمز عن المسيح المصلوب . ثم اتّخذها اليهود من بعدهِ كصنم فعبدوها (اطلب سفر العدد ٢١ : ٨ وسفر ملوك الرابع ١٨ : ٤)

٢) اشارة الى شيعة منهم دعيت « acéphales » اي من لا راس لهم

٣) كل من هوءلاء زعيم لشيعة خـاصة من اصحاب الطبيعة الواحدة نسبت اليهِ وعرفت باسمهِ تختلف كل واحدة منها عن الاخرى وتخالف كلّها تعليم الكنيسة في شان اتحـاد المسيح ولم يزل الى اليوم هذا الاختلاف بين هذه الشيع باقيًا عند اليعاقبة السريان والأقباط والارمن من غير الكاثوليك

٤) يقال قصبهُ اذا عابهُ ولامهُ

كنت تعيب على هؤلاء تجنّيهم على تلك المجامع المقدسة وتقضي عليهم بالضلال في مخالفتهم اياها فعِبْ على نفسك تجنّيك على هذا المجمع الرابع المقدس واقضِ على نفسك في مخالفتك اياه

امّا المجمع الخامس فليس احد يحامي عن الاراسيس التي حرمها حتى نحاوره بمثل ما حاورنا بهِ اصحابهُ ونُلحق بهِ مِثل ما الحقنا بهم

ثمّ خرج مقاريوس وقورش وسرجيوس وقالوا ايضاً في المسيح ما قالوا. فأنكرت الكنيسة قولهم وبارزهم ناس من الآباء يجادلونهم ويردعون قولهم. فلم تقبل الكنيسة منهم قبولًا صارماً لا منهم ولا ممّن كان يجادلهم بل رفعتهم كعادتها الى المجمع. فاجتمع المجمع السادس المقدس بالقسطنطينية بامر اسقف رومية (١ فطرحهم وابطل قولهم فقبلت الكنيسة المقدسة هذا المجمع كما قبلت المجامع التي كانت قبله وهجرت مقاريوس واصحابهُ وبصقت قولهم

فما بالك يا مارونيّ ٢) قبلتَ المجمع الاول والثاني والثالث مسترسلًا منبسطاً ولم ترَ ان لك مع رأيهم رأياً كما امرك الروح القدس فلمّا بلغتَ المجمع السادس كانك قد نسيتَ تعليم روح القدس وسكرتَ سكرًا لم تصح بعده فأقبلت على ابنائك الذين يستحقّون منك الكرامة وقد أُمرت من روح القدس ان تقيم على حدّهم وجعلتَ تشتمهم كالكلب الكَلِب وتُزيل حدّهم وهتكت السياج الذي كان يحفظك من الشيطان فخرجتَ تمكّن من نفسك الذئاب. فهذا منك تفريط يؤديك الى الهلاك. فان تجنّيتَ على هذا المجمع المقدس فاعلم انهُ قد سبقك مَن كان قبلك من الاراسيس الى تجنّي كل فريق منهم على المجمع الذي طرحهُ ولم يثنهِ شيء عن ان يُلحق بهِ كل ما ادبّ الشيطان في قلبهِ فان كنت تعيب على اولئك تجنّيهم على تلك المجامع فعاجل نفسك بالعيب في تجنّيك على هذا المجمع السادس وارتدّ عن تيهك وادخل في رُشدك. وان كنت لا تعيب على اولئك قَضْبهم تلك المجامع المقدسة فاخلع العذار من رأسك اصلًا والحقْ باصحابك وقُل بقول كل اراسيس كانت منذ ذلك

ولكن ما عسى ان يبلغ من تجنّيكم يا معشر الهراطقين عامّةً على هذه المجامع.

---

١) ترى ان ابا قرّة يذكر دائمًا رئاسة الاحبار الرومانيين على المجامع كما يقول الكاثوليك

٢) اطلب كتاب المطران دريان السابق ذكره (ص ١٨٢-١٨٦)

انما ينقم احدكم على هذه المجامع المقدسة لاحد ثلاثة اشياء : امّا ان يقول ان المجمع الذي ينقم عليه بئس ما قضى بهِ من جهل او جور . واما ان يقول ان هذا المجمع انما جمعهُ احد الملوك فلذلك ينبغي ألّا يُقبَل . وامّا ان يقول ان المجمع الذي كان قبل هذا المجمع الذي ينقم عليهِ كان قد جزم الّا يُزاد على ما قد وُضع ولا يُنقص منهُ فلذلك لا ينبغي ان يُقبل هذا المجمع الذي بعده

فان قال احدكم في هذه المجامع انهُ بئس ما قضى بهِ من قِبَل جهل او جور فقد أدخل قائلُ هذا القول رأيهُ فيما لم يجعل اليهِ روح القدس ان ينظر فيهِ ولا الى غيره . وتداخلتهُ العظمة ومنعتهُ من ان يذلَّ لقضية المجمع . واستوجب الموت الروحاني لا محالة كما تسمعون ناموس موسى المقدس لا يأذن لاحدٍ من الناس ان يكون لهُ نظر مع المجمع او ان يستبدّ برأي نفسهِ دون قضيَّة المجمع . والّا فقد لحقهُ القتل عزيمةً لا محيص لهُ منهُ

وان قلت يا هرطيق في المجمع الذي تنقم عليهِ انَّما جمعهُ الملوك فلذلك لا ينبغي ان يُقبل . قلنا فما لك تقبل مَن ذكر المجامع الاولى حيث كلُّ مجمع يقبله احد ممَّن ينتحل النصرانيَّة اليوم انهُ انَّما جمع كلَّ واحد منها ملكٌ من الملوك . وقد يعرف هذا كلُّ احدٍ ان مجمع نيقية انما جمعهُ قسطنطين الملك الكبير . والمجمع الثاني جمعهُ بالقسطنطينيَّة ثاودوسيوس الملك الكبير . والمجمع الثالث جمعهُ بافسس ثاودوسيوس الملك الصغير . والمجمع الرابع جمعهُ بخلكيدونية مرقيانوس الملك . والمجمع الخامس جمعهُ بالقسطنطينيَّة يسطنيانوس الملك الكبير . والمجمع السادس جمعهُ بالقسطنطينيَّة قسطنطين الملك ابن هرقل . فانت يا مارونيّ ان نقمتَ على المجمع الخامس والسادس لانَّ الملوك جمعتهما وقد استحقّا ألّا يُقبلا لانَّ الملوك قهرت فيهما الناس فبئس ما صنعتَ حيث قبلت المجمع الرابع والمجامع التي قبله لان كل واحد من المجامع انمّا جمعهُ ملك كما قد بيَّنّا . وكل هرطيق طُرح في احد هذه المجامع قد يعتلُّ مثل علّتك ويقول ان الملك الذي جمع ذلك المجمع هو الذي قهر الناس ان يطرحوه وبقهرهِ اجتمع ذلك المجمع عليهِ . فان اجزتَ لنفسك الانتفاء من قضية هذين المجمعين لان الملوك جمعتهما فأجِز لليعقوبيين والنسطوريين ولمقذانيوس واريوس واصحابهم انتفاء كل فريق منهم من قضيَّة المجمع الذي طرحهُ لانهُ انَّما جمعهُ ملكٌ . وان كنت لا تجيز

لاولئك ان ينتفوا من قضايا تلك المجامع لجمع الملك اياها فلا تجيزنَّ لنفسك الانتفاء من قضيَّة هذين المجمعين لجمع الملوك اياهما

وانت يا يعقوبي ان نقمت على المجمع الرابع الذي طرحك لأنَّ الملك جمعهُ ولذلك يستحق ان لا تُقبل قضيتهُ لانَّ الملك كلَّف الناس فيه ولهُ . فبئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الثالث والمجمعين اللذين كانا قبلهُ اذ كان جمعَ كلَّ واحد منها ملكٌ من الملوك . وأوسعَ نسطوريوس ومقذانيوس واريوس عذرًا حيث لم يقبل كل واحد منهم القضية التي جرت عليهِ من المجمع الذي طرحهُ . فقد يعتلُّ كلُّ واحدٍ من اولئك بمثل علَّتك ويقول ان الملك قهر المجمع الذي طرحهُ ان يجتمع عليهِ وقهر الناس ان يقبلوا قضية ذلك المجمع . فان اجزتَ لنفسك دفع قضية هذا المجمع الرابع لجمع الملك ايَّاه فأجز لكل واحد من اولئك دَفع قضية المجمع الذي طرحهُ . وان كنت لا تجيز لكل واحد من اولئك دفع قضية المجمع الذي طرحهُ فلا تجيزنَّ لنفسك دفع قضية ذلك المجمع الرابع ولا تكن ظالمًا عادياً او مجنوناً

وانت يا نسطوري كذلك نُبدي عليك هذه الحجَّة كما قد لزمت اليعقوبيين والمارونيّين فليس لك ان تنقم على المجمع الذي طرحك لجمع الملك ايَّاه وتدفع لذلك قضيَّته والَّا فقد اوسعت مقذانيوس وآريوس عذرًا بدفع كل واحد منهما قضيَّة المجمع الذي طرحهُ فقد لعمري يتعلَّلون بمثل علَّتك . وان انت فعلتَ هذا فقد هدمت كلَّ ما تؤمن بهِ ممَّا قبلتَهُ من ذينك المجمعَين . وهذا سبيل ليس يوصل بهِ الى عيب احد من تلك المجامع بل ينبغي للكنيسة ان تحمد المسيح حيث ذلَّل الملوكَ لها ان يخدموا آباءها ومعلّميها لان كل ملك اجتمع مجمعٌ من هذه المجامع في زمانهِ انما كان من ابرّ الجميع اذ كان يرفده بضيفانهِ ويكفّ الشعب فيهِ لتمكين الآباء من النظر في الدين على هدوّ ودعة وتنفيذ قضيتهِ . فامَّا الملك فانهُ لم يكن اليهِ من النظر في امر الدين ولا من اثبات القضيَّة في شيءٍ وانما كان خادماً للآباء سامعاً لهم مطيعاً قابلًا لكلّ ما قضوا بهِ في امر الدين من غير ان يشركهم في شيءٍ من النظر . وان احدٌ منكم يا معشر الاراتقة الذين تنتحلون دين النصرانيَّة اليوم عاب معونة الملوك لهذه المجامع وحضورهم اياها فقد ابطل من قلبهِ كلَّ ما في ايدي النصارى واعادنا الى ان نتمسَّك بنسخ كتب العتيقة والحديثة . فلا يبالي احدنا ان قال مثل آريوس ان

الابن مخلوق او ان قال مثل مقذانيوس ان روح القدس مخلوق وان قال مثلها قال وثلم حائط الكنيسة الحافظ للرعية من كل ذئب خاطف طُرد منها وافسد الدين كلّهُ وصيَّر النصرانية يهوديَّة

وان قلت يا هرطيق كائناً مَن كنت من الهراطقة في المجمع الذي طرحك «ان المجمع الذي كان قبلهُ حتم الَّا يُزاد ولا يُنقص ممَّا وضع هو» وكذلك «لا ينبغي لهذا المجمع الذي كان بعدهُ ان يُقبل». فاعلم انك تقول ما لا تعقلهُ ولا تدري ما غايتهُ. لان قضيَّة كل مجمع من هذه المجامع المقدَّسة انَّما هي دواء يهيّئهُ روح القدس يُدفَع بهِ عن جسد الكنيسة داء تلك الاراسيس التي حرمها ذلك المجمع. وحيث يقول ذلك المجمع انهُ ليس لاحدٍ ان يزيد على ما قد وضع ولا ينقص منهُ انَّما يعني ليس لاحد ان ينقض علينا ولا يجعل لداء هذه الاراسيس التي حرمناها دواء غير هذا الذي هيَّئناه بروح القدس. لان روح القدس لا ينقض على نفسه وليس يقول هذا المجمع للكنيسة ان هاج فيهـا مرض اراسيس اخرى بعد مرض تلك الاراسيس التي هو طرحُها فليس للآباء الذين هم اطبَّاؤها ان يجتمعوا ويُقصوا عنها ذلك المرض كما اقصى هو المرض الذي هاج في زمانهِ. ولو فعل المجمع ذلك وحاشا لهُ لكان قد خلَّى الكنيسة ان يستحكم عليها مرض كل اراسيس يحدث من بعده ومنع الآباء من مداواتها. وهذا خلاف روح القدس الذي جعل هذه المجامع عوضاً عن السليحين لا تزول الى الدهر كما قد جعل موسى تلك المجامع التي امر بطاعتها خلفاً منهُ لا يزول في كل ما حدث من الاختلاف من اهل الناموس (١

وان كنت يا هرطيق تلجُّ وتقول «ان المجمع الذي تقبلهُ انما حرَّم ألَّا يُزاد على قضيَّتهِ ولا يُنقص منها ملتمساً ألَّا يكون بعده مجمع آخر» فقد حان لك ان تبطل

١) ما اجمل وادقَّ هذا البرهان القاطع الذي يفنّد بهِ سلفاً احد كبار معلّمي الكنيسة الشرقيَّة زَعْم الروم في زماننا الذين حصروا المجامع المسكونيَّة في سبعة فقط ويدَّعون انها كافية لدحض كلّ الهرطقات القديمة والحديثة . ومنـهُ ايضاً يتَّضح كيف جاز للكنيسة الكاثوليكية ان تُعلن بانبثاق الروح القدس من الآب والابن وان حظرت المجامع السابقـة ان يُزاد شيء على قانون الايمان وكذا قُلْ عن تحديد العصمة البابويَّة في المجمع الفاتيكاني فان قياس ابي قرَّة وادلَّتهُ اللامعة تثبت كلَّ ذلك وهو احد اعضاء الكنيسة اليونانيَّة

المجامع كلّها الاوّل منها والآخِر. لان مار بولس قد قال للكنيسة انهُ ان اتاها هو نفسه او ملاك من السماء يعلّمها غير ما علّمها فهو محروم . وقد اتّسع من هذا القول بقدر قولك يا هرطيق لآريوس ان يقول لمجمع نيقية : اني لستُ اقبل تعليمكَ لان مار بولس قد حرّم ألّا يُعلّم احد الكنيسة غير ما قد علّمها هو . ولمقذانيوس ان يقول للمجمع الثاني : اني لا اقبل منكم تعليمكم لان مار بولس قد حرّم الّا يعلّم احد الكنيسة غير ما قد علّمهُ هو وان المجمع الذي كان قبلكم قد حرّم ايضاً مثل ذلك ألّا يزاد على قضيّتهِ ولا يُنقص منها . وان حسن هذا عندك يا هرطيق فقد رددتَنا الى ان نتمسك بنُسخ كتب العتيقة والحديثة ولايبالي احدنا ان يقول كما قال اريوس ان الابن مخلوق. ولا يضرُّهُ ان يقول كما قال مقذانيوس ان روح القدس مخلوق . ولا يعاب على احد ان يقول بقول مَن احبَّ من الهراطيقين. وقد صيّرت من قِبَلك النصرانية يهوديَّةً كما قد قلنا بدءًا

ولكن ليس الامر على ما تذكرون يا معشر الهراطقة وبئسما فهمتم قول الاباء بل انما تشبه الكنيسة المقدسة ابن الملك وتشبهُ الآباء اطبّاء قد وكّلهم الملك بابنهِ ان يحفظوا جسده وان يدفعوا عنهُ كل داء وسقم . وتشبه الاراسيس الامراض والاسقام . وهؤلاء الاطبّاء الموكّلون بهذا الجسد ليس يخطأ احدهم البتّة ان نظر جسد ابن هذا الملك قد اعتراه مرض فدفع المرض عن جسده بدواء هيّأه لهُ ثم قال : انهُ ليس لاحد سلطان ان يغيّر شيئاً من هذا الدواء الذي هيّأتهُ انا . فنقول ان هذا الطبيب انما يريد بهِ ان ليس بمأذون لاحد ان يعالج ذلك المرض الذي هيّأ لهُ ذلك الدواء بغير ذلك الدواء الذي عالجهُ بهِ هو . وليس يقول هذا الطبيب لمن بعدهُ من الاطباء : « انهُ ان عرض لجسد ابن الملك مرض آخر بعد هذا المرض فليس لكم سلطان ان تعالجوه » والّا فقد اسلم ابن الملك المتهلكة وصار غاشّاً للملك عدوًّا لهُ

كذلك كل مجمع من هذه المجامع المقدسة انما هيّأ دواءَ الاراسيس التي ثارت في زمانه وأعلم الناس ان دواءهُ بالغ ملائم لمرض تلك الاراسيس. وانهُ ليس لاحدٍ سلطان ان يعالج تلك الاراسيس ويقاتلها بخلاف ما قد عالجها بهِ هو وقاتلها . ولم يأمر اطبّاء الروح الذين بعدهُ ان ثارت اراسيس في زمانهم ألّا يهيّئوا لهـا دواء يدفعونها بهِ وإلّا كان غاشّاً للمسيح وعدوّاً لهُ . وحاشا لمجمع يجمعهُ روح القدس

ان يكون كذلك . وبئسما فهمتم يا معشر الاراطقة قول الآباء . ولقد سخر بكم الشيطان عدوّ ذرّيّة آدم فزيّن لكم ان تجدّفوا على روح القدس بذمّتكم قضايا المجمع التي هي قضايا روح القدس كما قد اخبرتكم ان السليحين انفسهم قالوا حيث أخرجوا القضية على الهراسيس التي ثارت في زمانهم «انهُ رأي روح القدس ورأْينا» . وأعلموا الناسَ كلهم ان رأْيهم رأيُ روح القدس . فمن جدَّف على قضية احد المجامع فانهُ انما يجدف على روح القدس

ولعلك تقول يا هرطيق ان هذا المجمع الذي طرحك قد نقض على المجمع الذي كان قبله اذا ذهب الانسان ان يفتّش معاني كلامهِ . فلذلك زعمت انهُ ليس من روح القدس لان روح القدس لا ينقض على نفسهِ . فنقول لك يا هرطيق انك غليظ العقل وليس يضيء لك روح القدس لاعوجاج نيّتك . لذلك تظن ان هذا المجمع الذي طردك من الكنيسة قد نقض على الذي قبلهُ . ولكن ليس لك ان تشرك نظرك مع نظر المجمع ان كنت تعقل ما قد امرك روح القدس في الناموس على يد موسى راس الانبياء . بل عليك ان تقبل قضية المجمع عزيمةً والّا لحقك الموت الروحاني . وروح القدس لم يخذل مجمع الرسل ان يخرج منهُ الخطأ في احد الوجوه اذ قد اسند النظر فيما يُختلَف فيهِ من امر الدين اليه كما قد اوضحنا لك مرارًا . والّا كان روح القدس الذي فرض على الناس ان يطيعوه هو الذي يقود الناس الى الضلالة التي تخرج لهم منهُ وحاشا لروح القدس ان يفعل ذلك . فان اجزتَ لنفسك يا هرطيق ان تنظر في قضية المجمع الذي طرحك وتفتّش قولهُ وتقول انهُ قد خالف المجمع الذي كان قبلهُ فسوّغ لآريوس ان ينظر في قضية مجمع نيقية الذي طرحهُ ويقول ان قولهم خلاف لما في انجيل السليحين . وأجز لمقذانيوس ان ينظر في قضية المجمع الثاني الذي طرحهُ ويقول ان قولهم خلاف قضية المجمع الاول . ولكن اظنك لستَ تفعل هذا اذ تشرك نظرك مع قضية المجمع الذي طرحك

فمن حيث قلتم يا معشر الهراطيقيين الكلامَ عامّةً فليس بمأذون لكم من روح القدس ولا لغيركم ان تتجنّوا بالعلل على هذه المجامع المقدسة او تخالفوا قضيتها باحد الاسباب والّا فباطلًا امر روح القدس على يدي موسى راس الانبياء ان يُقتَل كلُّ من لا يقبل قضيّة المجمع . فقد كان لعمري الفسحة لكل واحد من الناس اذا خرجت عليهِ قضيّة

من المجمع ان يتجنّى على ذلك المجمع . ولا يستطيع ان يرفض قضيَّتهُ بسبب ذلك التجنّي ويسلم من الموت ولكن لم يخلِّ روح القدس احدًا زاهدًا بل ألزم الموت عزيمةً كلَّ من خالف قضيّة المجمع كائناً من كان . ولم يجعل في ذلك استثناء ولم يمكّن لاحد منهُ فرجةً يحيد اليها عن الموت في التجنّي على المجمع او غير ذلك من الاسباب . كذلك يلزمكم ياكافَّة الهراطقة عامَّةً فاعلموا ذلك . وكلُّ من خالف هذه المجامع المقدَّسة فان المسيح يميتهُ الموت الروحاني ويعطِّل قلوبكم من سكانة روح القدس فانظروا مَن الذي يَسْكنكم

واعلموا كلُّكم ايها المخالفون لروح القدس ان من كان منكم لا يدَّعي علماً فقد وضح لهُ طريق الرشد . ولا عذر لهُ في ترك المجامع المقدسة التي أفضى عقلُهُ الى المعرفة بانهُ يجب عليهِ اتّباعها لا محالة . وليس شيءٌ يحبس احدكم عن ان يعزب عن ملكوت الله ويخرج مأسورًا عن عرس المسيح ان لم يتبع هذه المجامع المقدسة . وامَّا مَن يدَّعي منكم العلم فانهُ يشبهُ احبار اليهود والفرّيسيين الذين صرفوا مسامعهم عن تعليم روح القدس وغرفوا لهم من خثرة عكرِ عقولهم فأسكرهم سُكرًا اختلجهم عن قَبول المسيح الذي اليهِ كان الناموس يسوقهم وزيَّنوا لهم الافتراء عليهِ . كذلك انتم غررتم هؤلاء المساكين فصرفتم قلوبهم عن طاعة روح القدس الذي ينطق على افواه المجامع المقدسة . وغرفتم لهم من فضاضة (فظاظة) عقولكم وظلمة اذهانكم وما تلتمسونهُ بعمى قلوبكم وحملتموهم ان يجدّفوا على روح القدس قاتلكم الله كيف هلكتم واهلكتم . أوهقتم مَن اتّبعكم الى قعر الجحيم واوهق الشيطان كلكم واستصحبكم الى نار جهنم المعدَّة لهُ وللملائكته وصرتم لهُ في هلاكهِ أنساً وعزاء

فهل يريد الانسان منكم ان يعتزل ناحيةً ويقوم المجمع ناحيةً اخرى فينادي احدكم الناس ويقول : « ألا ايها الناس عامَّة اتَّهموا هذا المجمع وصدّقوني فاني أعلمُ وأنصحُ لكم من هذا المجمع » . فكيف استحققتَ ويحك ان تكون قد فزتَ بالحكمة الروحانية بل بالعمى الشيطاني دون الناس كلهم وصرتَ أنظرَ الناسِ للناس بل اغشّهم لنفسك ولهم . وقد كان ينبغي لروح القدس لو كنتَ كما قد تظنُّ بنفسك بجهلك ان يدلَّ الناس عليك قديماً حتى يعرفوا موضعك ويَصفك لهم في كتبهِ المقدسة

كما قد وصف هذا المجمع الذي ذكرنا ويجعل لك في الكتب المقدسة علامات يومئ اليك بها كما قد اومأ الى هذا المجمع المقدس ويجهد الناس على اتباعك كما اجهدهم على اتباع المجمع ولكن ليس ذلك اعجب أيها الاعمى الذي لست تدري ما تقول وماذا تحقق كما قال مار بولس على مثلك . وقد استحكم الجهل فيك واكتنفك التيه من كل ناحية ولا تحسُّ بذلك غِلَظاً وبلاهةً . ولكن العجب من هؤلاء الاشقياء الذين يتركون المجامع المقدَّسة ان ينقادوا لها كما امرهم روح القدس وقد امكنوك من أرسانهم ان تقودهم كالاعمى الذي قال ربنا في الانجيل : ان اعمى يقود اعمى وكلاهما في الهوتة يسقطان . وآثروا ان يتخذوا لانفسهم معلم الضلالة مثلك وبدغدغة مسامعهم كما قال مار بولس (٢ تيم ٤ : ٣)

فاماً نحن معشر الارثوذكسيَّة وابناء الكنيسة المقدسة فاننا نمجّد ونشكر المسيح الهنا الذي اعطانا الحزم وطاعة المجامع المقدَّسة التي نطق على لسانها روح القدس فصرنا الى محلّته وأوينا الى صِير غنمهِ وسَلِمنا بحفظه من الشيطان الذئب الخاطف الذي يرصد انفسنا ان يعترض من احدنا شرود عن الكنيسة فياخذهُ فريسةً لهُ وصيداً . فنسأل ربنا والهنا يسوع المسيح ان يثبّتنا على صخرة كنيستهِ المقدَّسة ابداً ويسقينا من كاس تعليمها حتى نسكر بحبّهِ سكراً يملأ عقولنا ويبسط قلوبنا لطاعته وحفظ وصاياه التي بها نحيا ونرث ملكوت السموات المعدَّة لكل من كان مبنيًا على اساس مار بطرس الذي من الروح القدس

فيا روح القدس ألهمنا معرفة المسيح الابن الازلي الاله ابن الاله الذي تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء في شان خلاصنا لهُ المجد والجلال والعزّ والكرامة مع الاب والروح القدس الان ودائمًا والى دهر الداهرين امين



خطبة في تأنّس الله الكلمة

اقتطفها من اقدم المخطوطات النصرانيَّة

الاب لويس معلوف اليسوعي

تمهيد

في المتحف البريطاني في لندن مخطوط لم يُدرج حتى الان(١ في فهرست المخطوطات العربيَّة المطبوع عنوانهُ بالانكليزيَّة (Br, Museum, Or. 4950 : Two Treatises on Chistian Theology) ولذلك لم يزل يجهلهُ اكثر العلماء الذين يُعنون بالآثار العربيَّة ولا سيَّما النصرانيَّة منها . ولهذا الكتاب شأن عظيم لقدمهِ ولم اعهد في مكاتب اوربَّة ومتاحفها مخطوطاً يفوقهُ قدماً بين المخطوطات النصرانيَّة العربيَّة

ومن تصفَّح هذا الكتاب استدلَّ بمجرَّد النظر اليهِ على قدم عهده فانهُ مخطوط على ورق صفيق بقلم يأخذ من الخطَّين الكوفي والنسخي(٢ ويقرب من السرياني وهو الخط الذي أَلِفهُ نصارى العرب في القرن التاسع والعاشر فما بعد كما يُرى في الرسوم الفوتوغرافية التي رسمتها السيدة الانكليزيَّة جبسون(M.D.Gibson) عن مخطوطات دير طور سينا العربيّة

وهذا الدليل مع قوَّتهِ يؤيدهُ دليل اوضح واقطع ألا وهو تاريخ الكتاب الذي يُرى في آخرهِ حيث ورد ما حرفهُ :

« تمَّ المصحف بعون الله وقوتهِ ونعمتهِ وكان كمال كتابهِ في اول يوم من دقمبرس يكون من حساب سني الدنيا على ما يُقبَل في كنيسة القيامة ببيت المقدس سنة ست الآف وثلثماية وتسعة

١) هذا ما كتبهُ حضرة الأَب سنة ١٩٠٢ وهي السادسة لمجلَّة المشرق لكنهُ في السنة ١٩١٢ قد نشر احد نظَّار المتحف البريطاني وهو العلَّامة المستشرق إليس (A. G. Ellis) قائمةً لما دخل المكتبة الدوليَّة من المخطوطات العربيَّة منذ سنة ١٨٩٤ الى ١٩١٢ فوصف الكتاب المذكور هنا في الصفحة ٦٩ من هذه القائمة

٢) انظر في المشرق (٨ : ٢٦٠) صورة من هذه الكتابة خُطَّت نحو السنة ٨٨٥ مسيحيَّة

وستين ومن سني الاكسندروس سنة الف ومماية وثمنية وثمانين . ويكون من سني العرب في الشهر ربيع الاول من سنة اربع وستين ومأتين كتبهُ الخاطي المسكين الحقير اصطافني بن حكم يُعرف بالرملي في سيق ماري خريطن لمعلمهِ الاب الفاضل الطهر الروحاني انبا بسيل عمره الله . اذا انت قرأت فاذكرني لا تنسا لا نسيك الله واقـامك عن يمينهِ وأسمعك ذلك الصوت البهي المحبوب المفرح اذ يقول : تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعدّ لكم من قبل انشاء العالم . يكون لنا ذلك بشفاعة مرتمريم الطاهرة وماري يوحنا وصلوات جميع الاباء الابرار امين امين »

فيكون اذن تاريخ هذا المخطوط سنة ٨٧٧ للمسيح ولا نعرف كتاباً نصرانياً خُطّ قبل هذا العهد صبر مثلهُ على آفات الزمان اللهمَّ الّا بعض مقاطيع من التوراة والاناجيل

ولعلَّ القارئ يسألنا وانّى حصل المتحف البريطاني على هذا السفر الجليل ؟ قلنا : انَّ لفي ذلك سرًّا لم يمكنّا كشفهُ مع تحفّينا في السؤال . وغاية ما علمنا انَّ الكتاب دخل المتحف المذكور سنة ١٨٩٥ واصلهُ من بلاد الشرق . ولو لم يُنزع من اوّلهِ ورقتان لأَطّلعنا على فوائد أُخرى اغنتنا عن البحث

والمجلّد الذي نحن في صددهِ عبارة عن ٢٣٨ صفحة وفي كل صفحة ٢١ سطرًا . وهو يتضمَّن تأليفين مختلفين احدهمـا في ٤٠ صفحة وهو الثاني لثاودورس ابي قرَّة اسقف حرّان (راجع الصفحة ٥٦–٥٨) في عبادة الصور نشره بالطبع سنة ١٨٩٧ أرندزن في بونه (١ . امّا التاليف الآخر فهو في صدر الكتاب وقسمهُ الاكبر يتضمَّن ملخَّص العقائد النصرانيَّة في خمسة وعشرين باباً في وحدانيَّة الله وتثليث اقانيمهِ وحلول الكلمة في احشاء العذراء مريم وتأنُّس ابن الله ولاهوت المسيح وصحَّة الدين المسيحي وانتشارهِ بين الامم الى غير ذلك من المباحث الجليلة التي عرضها صاحبها باجلى بيان واقطع برهان مستندًا في حججهِ الى آيات الكتاب واقاويل الاباء والدلائل النظريَّة على طريقةٍ قريبة المنال جزيلة المعنى لا يأباها في عهدنا ائمَّة اللاهوتيين وكبار الخطباء امّا مؤلف هذا الكتاب واسمهُ فسقطا بسقوط الورقتين الاولين . على انّنا لا

١) وهذا اسم الكتاب . Theodori Abu Kurra de Cultu Imaginum libellus. Dissertatio philologica Joannis Arendzen, *Bonnae*, 1897. 52 + ٣٥
وهذا الكتاب لابي قرَّة قد ذكره ابن بطريق في تاريخهِ (ج ٢ ص ٦٤ من الطبعة الجديدة)

نشكَّ في انَّ كاتب هذا التاليف انَّما هو ايضاً ثاودوروس ابو قرّة اسقف حران (١ . لنا على ذلك بعض الادلَّة : الدليل الاوَّل انَّ هذا المجلد بقلم واحد وورق متشابه فلا يبعد ان يكون التأليف الاوَّل لابي قرَّة كما ان الثاني لهُ بلا شك . الدليل الثاني التشابه في اللغة بين التأليفين يدلُّ على ان الكاتب واحد . الدليل الثالث ان عربيَّة هذا التأليف تُشبه شبهاً تاماً في تراكيبها وخواصها اللغويَّة عربيَّة الميامر التي نشرها حضرة الاب قسطنطين باشا لا سيَّما ميمره في صحَة الديانة النصرانيَّة وهي لابي قرَّة بلا ريب . الدليل الرابع طرُق الكلام واساليبُهُ ايضاً واحدة في هذا الكتاب وفي التآليف التي نعرفها لابي قرَّة منها اتساعهُ في البراهين العقليَّة واستعمالهُ للتشابية الحسيَّة والامثال الى غير ذلك ممَّا امتازت بهِ تآليفهُ المحفوظة باليونانيَّة او العربيَّة لا سيَّما انَّنا لا نعرف قبل ابي قرَّة كاتباً عربيّاً توسع مثلهُ في العقائد النصرانيَّة وشرَحها شرَحهُ

وفي هذه النسخة بعض خواصَ تفرَدت بها لا بُدَّ من الاشارة اليها . منها كتابة الألف المقصورة في آخر الكلم على صورة ا طويلة كقوله «قضا ومعنا» بدلاً من «قضى ومعنى» . ومنها اختصار بعض الالفاظ كقول «منَجلهِ» يريد «من اجلهِ» . وكذلك يُبقي الواو والياء حيث يجب حذفهما فيكتب «لم يكون» و «لم يبيع» وهذه الاغلاط اكتفينا بالتنبيه اليها وقد اصلحناها في المثال الذي نورده هنا

وقد نقلنا هذا المثال من اربعة ابواب وهي الخامس والسادس والسابع والثامن بيَّن فيها المؤلف الاسباب التي حملت ابن الله على ان يتأنَّس ويلبس الطبيعة البشريَّة

القول في تأنس الله الكلمة وهو لاربع خصال

الخصلة الاولى

الخصلة الاولى من خصال التأنس ارادة (الله) اكرامَنا بالجزء الذي بهِ تأنَّس . ومثَلُ اكرامهِ ايَّانا مثَلُ ملك خطب لابنهِ من بيت من بيوتات اهل مملكتهِ وجعل في نفسهِ ان ينقل اهل ذلك البيت اليهِ وينزلهم في جوارهِ ويخلطهم بنفسهِ ويدعوهم اهل

---

١) راجع (ص ٧٦) ما قلنا عن ابي قرَّة واسقفيَّتهِ على حرَّان المجاورة للرها (اورفة)

بيتهِ ويشركهم مع ورثتهِ كذلك الخالق اكرَمنا بتأنسهِ وبتوحيد بشرهِ بلاهوتهِ وباختلاطهِ بنا ومعاشرتهِ ايّانا ما صلح لنا . ثمَّ ارتفع ببشرهِ الى السماء وهو عتيد ان يأتينا ثانيةً فينقلنا اليهِ ويُورثنا خيرهُ ويشركنا بغناه

ومن اكرامهِ ايّانا ايضاً تسبُقتهُ بخلقهِ الخليقة لِخَلق آدم ابينا . والله السابق للخليقة والمسبّب لها وبسبقهِ للخليقة نستدلُّ على غناه عن كل ما خَلَق . وكما ان الماء سبب النبات وهو السابق لهُ وليس بالماء الى النبات من حاجة وبغنى الماء عن النبات يُستدلّ على ان النبات لغير الماء خُلق . فكذلك يُستدَلّ بسبق الخالق خلقهُ على ان الخلق لغير خالقهِ خُلق والمخلوق لهُ الخَلقُ لانهُ بعد الخالق كان كونُهُ

ومثَل صُنع الله الحكيم مُحكم الانسان ما يُستدَلّ بهِ على أَحكام الله مثلُ رجل امتلك لهُ امرأة ثم يأخذ في تهيئة ما ينبغي للتبنّي بها فأَحضرهُ بيتهُ قبل دخول المرأَة اليهِ . ثمَّ انهُ اتى بالمرأَة بعد فوجدت كل ما ينبغي لها معدًّا . فكذلك الخالق لم يزل في علمهِ مزمعاً بالتأنُّس فاعدَّ ما ينبغي لأنسيَّتهِ قبل التأنُّس ثم انهُ تأنَّس بعد إحكامهِ الخلق لكنَّهُ خَلَقَ الجِبلّة التي منها تأنس خَلق ما هو عتيد ان يُخلق لانسيَّتهِ لتكون الجبلّة شاهدةً على الخالق المتأنِّس عند معاشرتهِ الانس

ومن إكرامهِ ايّانا ايضاً انهُ نادى في الخليقة : « لنخلق انساناً على صورتنا وشبهنا » وذلك هو ابونا آدم التُّرْباني . وكيف تكون صورة آدم المحسوسة بشبه من ليس لهُ مجسَّة ؟ . فليس قولهُ « نخلق على صورتنا » بانَّ للاهوت صورةً محسوسة ولكن لان ما لم يكن من المكوَّن عتيد لتكوُّنهِ عند المكوِّن لهُ في علمهِ السابق فانهُ بمنزلة من قد كان . ولو نزل في علمهِ السابقِ التأنُّسَ . فطبَعَ الانسان الاول على ماهو عتيد لهُ ليكون الانسان نفسه دليلًا على مـا هو عتيد اذا ما جاءَهُ في صورتهِ . فالسماء والارض وما فيهما من متاع العاجل والآجل للجزء الموحَّد باللاهوت خُلق ومن اجلهِ وصف الله نفسهُ في الكتب انساناً والالزام ما يلزم الانسان في جوهرهِ وهو الذي لا يزداد ولا ينتقص ولا يغيّرهُ الغيار . من السماء نزل وفي جوهرنا ظهر ودعـانا اخوةً وابناء واخلّاء وعاشرَنا سنين صغيراً وكبيراً يمثِّل لنا بنفسهِ شرائع كل خير : لِينٌ وتواضُع وصَفح عن المسيء وانشاد الخيركلهِ الى الناس جميعاً ودَفع السوء كلّهِ عن الناس جميعاً . وان لا نكون نكافي مكان الشرّ شرًّا . وحبٌّ للبغيض ومصافحة

للعدوّ وتركان البغي والحقد وان لا ننتصر . وصلاة وتضرّع وصوم ذات طيّ اربعين يوماً طواها مثالاً نقتدي بهِ . فتعالى وتقدّس ربُّنا مُكرِمُنا

الخصلة الثانية من خصال التأنُّس

وتأنُّسهُ ايضاً ليعرّفنا بتثليث وحدانيتهِ وكُنهِ جوهرهِ . ومَثَلُ الوجه الذي هدانا بهِ الى معرفة تثليث وحدانيَّتهِ ومحبَّتهِ في لطفهِ ولينه وانسه بقدر ضعفنا وقدر عزّهِ مَثَلُ رجل ناطق اراد بأَصَمَّ اخرس ضعيف الحيلة خيرًا فأومأ اليهِ بيدهِ في حاجتهِ ايماء فانتفع الاخرس ولم ينتقص الناطق . فكذلك الله اللطيف الحسن التدبيرِ في عزّهِ وضُعف جوهرنا اذ ظهر فينا في صورة البشر كاحدنا وتقلَّب تقلُّبنا وسعى مساعينا وكلّمنا بكلامنا وأَومأ الينا كما يومئ الناطق الى الاخرس فوصف نفسه بما ليس في جوهره . من ذلك قوله لاصحاب الصَرح بارض شنعر وهي التي سُمِيّت بابل قال (تك ١١ : ٧) : «ننزل ونفرّق الالسن» . وقال ايضاً في اهل سدوم عند ابرهيم (تك ١٨ : ٢١) : «نزلتُ لأَتبيَّنَ جرمهم» . وفي خلاص بني اسرائيل قال لموسى من العُلَّيقة (خر ٣ : ٨) : «نزلت لأُخلصهم» . والنزول والصعود فيهِ الغيبة والشهود . ومن قوله ايضاً لادم (تك ٣ : ٩) : «يا آدم اين انت لعلّك ان تكون تناولت من الشجرة التي نهيتُك عنها» . وقال لقاين (تك ٤ : ٩) : « اين اخوك هابيل » . اذ لم يغب عنهُ صنيعهُ باخيهِ ولم يخفَ عنهُ مكان آدم . وقال ايضاً (تك ٦ : ٦) : «ندم الله على خلقهِ (بني) آدم . وعلى تمليكهِ شاول» (١ ملوك ١٥ : ١١) . والندامة لا تكون الّا على حال لم يكن صاحبُها يرى سبيلَها . فقد وصف الله نفسهُ بالجهل اذ هو نفيٌّ من الجهل وظهر لابرهيم في صورة بشر وناقَلَهُ الكلام في قوم سدوم طويلًا لا يخالفهُ ابرهيم في ظاهر خلقهِ بشيءٍ ما خلا العزّ والقوة . وحزقيل وداود وشعيا رأَوه في صورة البشر وناطقهم كما يناطق البشرُ البشرَ ولم يكفّهم الظاهرُ منهُ الشبيهُ بهم عن الشهادة عليهِ انهُ الرب من قولهم : « رأينا رب الارباب في كذا وكذا وعلى كذا وكذا » فكلُّ ما رأت الانبياء جزءًا من الخالق أَفتراهُ جزءًا من الخالق ? لا . ولكنهُ بالذي علم انها تطيق النظر اليهِ فبهِ أُعلن لها وظهر وبهِ كلَّمهم وناطقهم لطفاً منهُ لهم وحُسنَ تدبيرٍ ولولا ذلك لم يحتمل الخلق عزَّهُ ولا قَوي على كلامهِ . ومن النار فاقتاس (فاقتَبَسْ) آيةً

للمؤمن . كيف لولا انك تقتبسها بعود او بفتيل اذن لَما قدرتَ عليها ولا انتفعت بها . فخالق النار اعزّ واعلى من النار وهو أَلطف واحكم من خلقهِ

ففي وجه الانس والطمأنينة ظهر ربنا لاصحاب التوراة الاولى في وجهِ ما كان عتيد ان يظهر فيهِ للأُمم فشِبهُ ظهورهِ اذ ذلك شهادةٌ منهُ واساسٌ لِما هو صانع . فمَثل تقدُّمهِ في صورتنا لاصحاب الناموس الاوَّل في خيلاء بشرنا شِبهُ ما هو عتيد لهُ حقيقة ما نحن ذاكريه . فنقول ان الحكمة لله وحدهُ ومنهُ تعلَّم الخلقُ الحكم . ان الصيَّاد اذا اراد صيد طير الماء احتال لها بحيلة وعمد الى قرعةٍ عظيمة فقوَّر فيها ثُقبين نافذَين ثم أَلقاها في ذلك الماء الذي فيهِ الطير وتركها اياماً كثيرة تصفقها الرياح يميناً وشمالاً حتى اذا اتى عليها حينٌ اطمأَنت اليها الطير وأَنست بها . فبعد ذلك يعمد الصيَّاد المحتال الى وثاق وسكّين ثم يدخل الى الماء الذي فيهِ الطير والقُرعة فيُدخل راسهُ في جوف القُرعة ثم يمشي بها نحو الطير حيثما رآها من الثقبين اللذين كان ثقبهما فيها فيأخذ بارجل الطير فيغمسها في جوف الماء ويشدُّها وثاقاً ويذبحها . فهذه حيلة من المخلوق. فالخالق أَحكم وأَحيَل فبحكم الحكيم ولطفهِ كان ظهورهُ للانبيـاء بخيال بشر حيلةً منهُ ليصيد البشر وشهادةً للمؤمنين اليوم على المكذّبين لهُ فبالتي اراد ان يظهر فيها للامم حقيقةً بشبهها للشهود الاولين ظهر . شهدوا وقالوا : « رأينا رب الارباب بِشبه بني البشر » . ففي وجه الانس والطمأنينة اتانا ربنا بجوهرنا حقيقةً وليس بخيـال بشر فقط كالذي كان ظهر لاصحـاب الناموس الاول بل ببشريَّتنا وهي انسيَّة اجتبلها من الطاهرة العذراء مريم واتانا ربنـا فتولَّى دعوتنا وخلاصنا هو بنفسهِ ولم يولهِ العبيد كالذي كان اوَّلًا لمن كان قبلنا كقول النبي اشعيا اذ يقول (اش ٣٥ : ٤) : « لا ملاك ولا رسول ولكن الرب يأتينا بنفسهِ ويتولى خلاصنا » . لهُ المجد والسجود الى دهر الداهرين امين

الخصلة الثالثة من خصال التأنُّس

وتأنسه ايضاً ليحرّرنا من العبوديَّة ويفكّنا من اللعنة التي كنّا فيها اذ ذلك من عجزنا عن العمل الذي امرنا بهِ في ناموس موسى في قولهِ (تث ٢٧ : ٢٦) : ملعون كل من لا يعمل بكل ما أُمر بهِ وينتهي عن كل ما نُهي عنهُ . ومثَل تحريرهِ ايَّانا

وإبطال اللعنة عنا مثل رجل أجر نفسهُ من آخر يومهِ الى الليل فعمل العبد بعضَ النهار ثمَّ عجز عن العمل . فلمَّا ان رأى مولاه عجزه عَمل عنهُ بقيَّة نهارهِ فتمَّم للعبد عند الليل اجرهُ لِما عمل وما عُمل عنهُ . فكذلك المسيح ربُّنا الرؤوف الرحيم بعبادهِ عمل عنَّا ما كنَّا قد عجزنا عن عمله فحرَّرنا بعملهِ من العبوديَّة وفكَّنا ايضاً من اللعنة الواجبة علينا بتقصيرنا عن تمام العمل بما أُمرنا بهِ بادخاله نفسهُ في حدّ اللعنة اعني صَلبَهُ بلا جُرم . وذلك انهُ مكتوب في ناموس موسى النبي (تث ٢١ : ٢٣) : ملعون كلُّ مصلوب . والمصلوب بجرمهِ استحقَّ الصلب . وشهرتهُ في الصَّلب هي التي صيَّرتهُ في الناس لعنةً . والمسيح ربُّنا صُلب بلا جرم فكان في منظر اللعين بادخالهِ نفسهُ فيما في المصلوب بجرمٍ من اللعنة في حدّ المصلوب . ولو كان ما عمل بهِ المسيح ربّنا من السُّنن واجب عليهِ كما يجب على البشر اذن لكان عملهُ ذلك عن نفسهِ ولم يكن يتحرَّر بهِ احد من اللعنة . وكذلك صَلبهُ لو كان استحقَّهُ اذن لكانت اللعنة لازمتهُ كما هو مكتوب ولم يكن بالذي يُفكُّ بصلبهِ احدٌ من اللعنة . فليس بعبادة العبد حرَّرنا من العبودية ولا بموت الميت اللازم لهُ الموت لا محالة نجونا من الموت . ولكن بتعبُّد ابن البشر الكلمة الحي وبصلبهِ المجيد وبموت المنتجب من الطاهرة العذراء مريم المحتمل الموت نجونا من اللعنة والموت . ويشهد على ذلك الرسول بولس اذ يقول (غلاطية ٤ : ٤) : ارسل الله ابنهُ فكان من المرأة وصار من دون السُّنن ليفتدي بذلك الذين هم تحت السنن . وقال يوحنا فم الذهب في قوله على الصليب : « هو الله ابن الله وهو ابن البشر من المرأة . هو مقدّر الجواهر كلها وحدَّد لها الحدود وصيَّر نفسهُ من دون السنن للحدود وما لم يجب عليهِ ان يعملهُ عملهُ وما لم يستحق عليهِ بليَّة احتملهُ . حرَّر المؤمنين بلاهوتهِ وربوبيتهِ وبنوَّتهِ من الله الاب ممَّا كانوا لهُ مستحقين ويبقى المكذّبون بهِ من اليهود في العبودية واللعنة كقولهِ لهم (يو ٨ : ٣٦) : ان لم يحرركم الابن تبقوا عبيداً . وقولهِ ايضاً لهم (يو ٨ : ٢٤) : ان لم تقرُّوا باني انا هو تموتوا بخطيئتكم . ويقول (يو ٨ : ١٥) : والمؤمنون بي لا يذوقون الموت بل لهم حياة الخُلد ولا حساب عليهم . أفلعلَّك أيُّها السامع تظنُّ ان قولهُ « ان لم تقرُّوا بأني انا هو » انَّما اراد منهم على ان يقرُّوا بهِ انهُ انسان ؟ فلا تظنَّ هذا بل اعلم انَّ الايمان انَّما يجب على الغائب الخفي فامَّا ما ظهر من الامور فانَّها

معروفة لانهُ مَن ظهر لهُ امر فابصرهُ بعينهِ ثبت في صدرهِ الى الابد فينشرهُ ويحدث بهِ ولا حمد لهُ . ولو انهُ أُعطي عطيَةَ ان يجهل ماعرفهُ عقلُهُ لما وجد الى جهلهِ سبيلاً . فالايمان الى الانسان ان شاء آمن وان شاء انكر وعليهِ الثواب والعقاب . فنحن المقرّون انَّهُ اللهالاول معاشر بني اسرائيل وهو هو الآخر معاشر الحواريين والشاهد على ذلك هذا الرسول بولس اذ يقول (عب ١ : ١) : في وجوهٍ كثيرة وانواع شتّى كلَّم الله آباءَنا في الانبياء اوَّلاً وفي زماننا هذا كلَّمنا بابنهِ » فباقرارنا بالله الظاهر بيننا ببشريّتنا صار لنا عملهُ وبطلت بهِ اللعنة عنّا وبقي المكذّبون بهِ من اليهود في اللعنة بجرمهم وكفرهم بنعم الله وبصلبهم ربّهم الذي بهِ تمّت خطاياهم وكمل جرمهم . فليس منهم احد خلص من اللعنة لانهُ لم يتمّم احد منهم ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ في الناموس الاول من موسى كاتبهِ الى آخر من يبقى منهم على الارض . فليس احد منهم استوجب الملكوت بعمل بل كلُّهم عصوا وهلكوا بمعصيتهم وموسى اكبرهم واعزُّهم لم يستأهل الدخول الى الارض التي أُوعدوها ويشهد هو على نفسهِ في التوراة فكلهم ميتون بمعصيتهم . وذلك لو ان الرجل منهم عمل بكل ما أُمر بهِ وتجنّب كلما نُهي عنهُ بعد ان يكون نقَّص خصلة واحدة كان قد استوجب اللعنة . والملعون عاصٍ والعاصي ميت بمعصيتهِ الّا مَن انعم الله عليهِ وصفح عنهُ واجاز عملهُ وهم النبيّون والصديقون والشهداء . وذلك انهُ مكتوب في ناموس موسى نبي الله (تث ٢٧ : ٢٦) : يعمل العامل كلَّ ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ في الناموس ومتى لم يعمل كل ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ يكون ملعوناً . فعمَّت اللعنة الناس اجمعين . وانَّ العامل القوي الله الرب يسوع المسيح تأنَّس وعمل العمل الذي من اجلهِ وجبت اللعنة على العباد وكان عملهُ عن المؤمنين بهِ . فبعملهِ أَبطل اللعنة عنّا وبايماننا حرَّرنا من العبودية فاستوجبنا بذلك ملك السموات فنحن باعمالنا وهؤلاء باعمالهم نحن بايماننا بالله الكلمة الحي المتأنس يسوع المسيح استوجبنا ملك السماء وطُلب من بني اسرائيل عمل يستوجبون بهِ رضا الله فوُجدوا ضعفاء ولم يكن لهم ايمان يستدركون بهِ تقوى الله فبقوا في مفازةٍ تقطع سالكها بالعطش . ولقد انطرد بين ظهرانيهم حجر الدين وجرت انهارًا فلم يستقوا (١ كور ١٠ : ٤) : ونحن آمنّا بالذي دعا الى الايمان بهِ فكان لنا في المفازة عينٌ تطّرد . فشربنا منها وفي استقائنا منها احتكرنا ونحن

بها ربانون الى الابد لهُ المجد والقدرة والسجود الى دهر الداهرين امين

الخصلة الرابعة من خصال التأنس

وتأنسهُ ايضاً يُنبت في قلوبنا العلم اليقين بالحيوة من بعد الممات وينقذنا من الشيطان الغالب لآدم ابينا والمتجوّر على ولده . ومثَلُ هدايتهِ ايَّانا الى علم البعث مثَل اعتبار انسان بحمى دانقٍ واحد من ذهب ام فضَّة يُستدلّ بهِ على الف مثقال واكثر أُخذ منهُ الدانق . كذلك استدللنا ببعثة المسيح ربنا من بين الموتى على بعثة الناس كلهم

ومثَل غلبة الشيطان واستنقاذ رعيتهِ من يديهِ مثَل رجل كانت لهُ غنم وكان الى جانبها ذئب عادي لا يزال يضرب فيختلس الغنم وان الرجل عمد الى جلد شاة من غنمهِ فلبسهُ ثم وقف وسط الغنم كاحدها ما يُنكَر منها حتى اذا اقبل الذئب كعادتهِ بادرتهُ الشاة المتنكرة فطاردتهُ طويلًا وحالت بينهُ وبين الغنم . فلمَّا ان رأى الذئب ما قد جاءَت بهِ الشاة من القوَّة ومناصبتها ايَّاه ظن الذئب في نفسه ان الغنم قد تحوَّلت فصارت في القوَّة مثلها فولَّى الذئب هارباً . فهكذا حكمٌ من المخلوق وحيلةٌ . والله احكم وأحيَل . . . . . .

ومن حكمتهِ وحسن تدبيره انهُ قضى بالموت على آدم وولده في اكلهِ من ثمرة الشجرة فغصَّ بها آدم واستوجب بها الموت وأورث ولدهُ بعدهُ الموت فمضى الدهر والازمان بمن مضى من الناس فصاروا رميماً ولم يروا انَّ لشيءٍ من الذاهبين رجعةً وظنوا ان الموت هلاك لا وجود لهُ . ثم قالوا ما اكلهُ السبع والطير ودوابُّ البحر مع ما سحقتهُ طول الدهر فصار تراباً كيف يعود الى ما كان اوائلهُ فوضعوا النوح وأقاموا البكاء والتولول على موتاهم ولم يعتبروا فيما في ايديهم من الحكم فيقيسوا بها حكمة الله الاعلى . ومن تحكُّمهم تمييز تربة الارض وتصفيفها من الجواهر . ودود القز ايضاً بعد موته وذهاب الروح منهُ وتصيُّرهِ جلودًا يابسة يحيونهُ بحيلتهم . فان يكون من لم يبتدع خَلق الدود اول مرَّة يحييهِ من بعد موتهِ فالمبتدع للشيءِ اولاً هو على احيائهِ بعد موته احكم وأقدر . فلن يعجز الصانع الحكيم على اصلاح ما انكسر من صنعتهِ اذا كان هو المبتدع لهُ اولًا

ومن حسن تدبيره انهُ رأى الرعيَّة قد غلب عليها الشيطان الغالب لآدم فاراد غلبتهُ واستنقاذ الرعيَّة من يديهِ اذ لم يغالبهُ بالعزّ الذي لا يقام لهُ . ولكن تجلّل بأُنسيَّتنا من جبلة آدم فقاتل بها قاتل الانسان الاوَّل حتى انهزم واستنقذ رعيَّتهُ كما طارد الذئب صاحب الغنم في جلد شاة من غنمهِ حتى انهزم فكانت الغلبة عند الذئب للشاة . فكذلك الله الحكيم اخفى لاهوتهُ في آدم فقابل بها الشيطان الغالب لآدم حتى هرب وأُعِدَّت الغلبة لآدم . وذلك ان الشيطان اتى المسيح ربَّنا في صيامهِ فقال لهُ (متى ٤ : ٣) : قل لهذه الحجارة تكون خبزًا . فماذا تقول في قول الشيطان هل كان واثقاً بقول المسيح ربنا ان هو قال للحجارة « كوني خبزًا » تكون . فقد علم انَّ من قدر على ان يصيّر الحجارة خبزًا هو على ان لا يجوع اقدر . الَّا ان المسيح ربَّنا هو المهيّج للشيطان لِما قال ومانعهُ من ان يعلم الاخرى . وذلك انَّ المغلوب في الفردوس اوَّل مرَّة في اكلهِ غُلب وبها رأى العزيز ان يغلب الغالب ليكون المغلوب للغالب لهُ قاهرًا . وذلك لو ان انسان مُنع حوائجهُ كلها حتى يبلغ مجهودهُ من كلها بالسواء اذن كانت حاجتهُ الى الطعام اول الحوائج كلها يُعنَى بها . ولو عُرض على انسان من الحوائج كلها واحدة بعد فقده اياها الى ان استوى فيها في الحاجة لم يختر على الطعام شيئاً

ومن حكمتهِ وحسن تدبيرهِ اذ اراد ان يجترَّ الناس الى معرفة البعث واليقين بالرجعة الى اهل القبور انَّهُ لم ياتِ الناس كبيرًا او غريباً لا يُعرف فيقع الشك فيهِ والامتراء ويجد اهل الجحد والانكار لبعثتهِ ما يحتجُّون بهِ على إبطال انسيَّتهِ وذلك انَّ الشيطان قد يتخيَّل بشرًا ويتراءى في صورة انسان غير انهُ لا يوجد لهُ ثبات ولا مجسَّة ولا بقاء لِما يعاين الناس منهُ فلذلك لم يأتِ المسيح ربُّنا خلقةً كبيرًا ام غريباً ولكن حُبل بهِ وولد من العذراء مريم وهي عذراء ونشأ في مولدهِ كما ينشأ الانسان . وسعى مساعي الإنس وتقلَّب تقلُّبهم في الاكل والشرب والنوم واليقظة والراحة والشخوص والسؤال عن الامر كالجاهل بهِ مع العبادة التي يعرفها الناس من الناس لله الرب من شرائع بني اسرائيل وسننهم . فلم يدع المسيح ربُّنا نقطةً ممَّا أُمر بهِ ونُهي عنهُ في التوراة الَّا احكمهُ عملًا وكان عملهُ عن المؤمنين بهِ . فأبطل بعلمهِ عنهم اللعنة وحرَّرهم بايمانهم بهِ فصاروا ابناء واخلَّاء واخوة ومحا عنهم اسم العبودية

ومن حسن تدبيره ايضاً جسُّ توما لجسده عند جحوده بعثتهُ . وذلك انَّ توما قال لاخوته (يو ٢٠ : ٢٥) : لستُ بمصدّق ببعثة المسيح حتى اجسَّهُ بيدي . وما الذي اراد بجسه . أما كان يكتفي بالنظر اليهِ فقط . لم يكن بالذي يكتفي بشيءٍ من خصالهِ سوى المجسَّة وذلك ان الشيطان قد يتخيَّل ويغرّ الناس في الخصال كلها سوى المجسَّة فانَّها ليست في جوهره . والآيات قد تظهر للناس على وجه الارض بعضها حقّ من الله وبعضها من الشيطان ما يعرف الناس حقيقتها من باطلها في شيءٍ من الخصال ما خلا المجسَّة والبقاء . فلذلك اراد توما ان يجسّ من قد رأى منهُ الآيات والجوائح وقال في نفسهِ : ان من قد رأيتُ منهُ الآيات والجوائح ذلك الشخص هو الله . فان كان هو المنبعث حقًّا فان لهُ مجسَّةً وان كان الذي رأَوا هو خيال فان صاحبها كذلك . ولذلك قال لاخوتهِ : لستُ بمصدّقكم بما تخبروني من بعثة المسيح حتى اجسَّهُ . وكان قولهُ في علم ربّنا يسوع المسيح قبل ان يقولهُ . وان المسيح ربّنا عـاد اليهم بعد ايَّام الى العليَّة التي كانوا فيها فدخل على التلاميذ والباب مغلقٌ فقال لهم : السلام لكم . ثم دعا توما فقال لهُ : هاتِ يدك فجسَّني ولا تشكَّ فيَّ واعلم ان الخيال ليس لهُ لحمٌ ولا عظام كالذي تراه لي . فلمَّا ان جسَّ الشابَّ ربَّهُ الدقيق في عقلهِ ذهب عنهُ ما كان رأى في نفسهِ لعلَّهُ خيال ثم جرَّهُ عقلهُ الى ان آمن بهِ انهُ ربّهُ وإلهُ . وكان هو اوَّل المؤمنين بهِ بعد يوحنا المعمدان في قولهِ : «ربي والهي» . فكان من ردّ المسيح ربنا عليهِ : « الان حيث ابصرتَ آمنت طوبى لمن لم يبصرني وآمن بي » . ونحن على ايمان توما وعلى اقرارهِ ان المجسوس في العليَّة بيد توما هو ربُّنا والهنا ولا اله لنا غيرهُ . وقد شهدت الرسل في الابركسيس على لسان يوحنَّا بن زبدى كاتب الانجيل على ان المجسوس بايديهم هو الله الذي لم يزل اذ يقول يوحنَّا في راس رسالتهِ عن جميعهم (١يو١ : ١) : « الذي لم يزل في البدء الذي رايناهُ باعيننا وسمعناه باذاننا وجسسناه بايدينا » . ومن قولهِ ايضاً في آخر رسالتهِ هذه قال عن جميعهم (١ يو ٥ : ٢٠) : «نعلم حقًّا ان ابن الله جاءنا فاعطـانا علماً بهِ عرفنا الحقّ ونكون عليهِ بابنهِ يسوع المسيح وهو الله الحق وحياة الخُلد» . فليس ما كان من المسيح ربّنا من الخصال شبهَ ما في البشر من الحاجة والتوجع بغالبٍ لهُ ولا قاهر ولا اتاه شيءٌ قسراً عليه ولا جبراً لهُ بل عن رضًى منهُ وقد كان قادراً على ان لا يكون كلُّ ما كان منهُ من ضعف ومما نحن ذاكريه من تقلّبهِ

فاعتبر أيها المؤمن من قولنا ان المسيح ربَّنا لم يلزمهُ شيءٌ من الضعف قط ولا جبر كما يلزم الانسان في جوهرهِ . من ذلك صومهُ اربعين يوماً ولياليها لم يذكر انهُ حال فيها حتى اذا فرغ من صيامهِ عند ذلك قال (متى ٤ : ٢) : اخيرًا جاع . والصائم من الآدميين لم ياتهِ الجوع في ساعة ولا في يوم ولكنهُ يبدأ من اول صومه فيستنشق الهواء ويزداد في الجوع . وان المسيح ربَّنا صام اربعين يوماً طواها . فلما ان انكروا ذلك منهُ اظهر الجوع ووصف نفسهُ بهِ لكيما لا تُنكَر انسيَّتهُ . وقال الروح ايضاً (متى ٢٦ : ٣٩) : انهُ تنحَّى عن تلاميذهِ فصلَّى ودعا بصوتهِ : ابتاه أَجزْ عني كاس الموت . ثم رجع الى تلاميذهِ فوجدهم نياماً . فقال لهم : ما تستطيعون تسهرون معي ساعة واحدة . ثم عاد الى مكانهِ فدعا الثانية والثالثة ورجع الى تلاميذه فقال لهم : ناموا الان واستريحوا فقد دنا ذلك الذي يسلّمني . فأقبل يهوذا ومعهُ الشُرَط فقال لهم المسيح ربُّنا : لمن تريدون . فقالوا لهُ : نريد ليسوع . فقال لهم : انا هو . فولَّوا راجعين وخرُّوا على وجوههم . ثم عاد فقال لهم المسيح ربُّنا : من تريدون . فقالوا لهُ : نريد يسوع . قال لهم : قد اخبرتكم اني انا هو . وهو قَبْل ذلك في مثل طلقة المرأة من الجزع . وقال ايضاً (متى ٢٦ : ٣٨) : « ان نفسي لحزينة الى الموت » . وقال ايضاً (يو ١٠ : ١٨) : « ليس لاحد الى أخذ نفسي سبيل انا الذي اضع نفسي وانا آخذها ايضاً وليس لاحد عليها سلطان ان ياخذها مني » . فمن كان لهُ سلطان على نفسهِ ان يُحييها بعد موتها كان لهُ سلطان الى ان لا يوجَع . وليس دَفْع الاوجاع بأعسر من احياء النفس . وقيل ايضاً انهُ اتاه الملاك لتقويتهِ وان من ايمان النصارى علامةً ما لا شكَّ فيها ان لاهوت المسيح ربنا منذ توحَّدت بانسيتهِ لم تفترق ولم تغبْ ولكنها في البطن الطاهر وفي الصليب وفي القبر وهي الى الابد لا تفترق . فهل يُحتاج في بيتٍ طلعت فيهِ الشمس الى ضوء المصباح . وما قد ذكرنا عن المسيح ربنا من الضعف وما نذكرهُ بمشيئتهِ كان وعن رضاً منهُ . ولولا ما ظهر منهُ ما هو للانسان لازمٌ في جوهرهِ من الجزع عند البلاء والجوع عند الصوم إذن لَقيل : ما هذا ببشرٍ . وكان ذلك مما يُبطل بهِ بعثتهُ ويبطل بابطال بعثتهِ عند الناس بعثة الموتى عـامَّةً ولكن المسيح ربنا بذل نفسهُ للموت المشتهر في اشهر الايّام وأجمعهِ اهلًا . وكان صلبهُ يوم الجمعة بتوفيقهِ . وذلك ان المصلوب في بني اسرائيل لم يكن يُترك ليلة السبت على الخشبة ولولا انهُ

صُلب يوم الجمعة فأُنزل من ليلتهِ اذن لتمسَّخ فوق الصليب ولم يُدفن . ولكن وفّق صلبَه يوم الجمعة ثم وفّق لهُ رجلًا من الناس فاستوهبَهُ من الوالي فأحدرهُ ثم أدرجه في ثياب ووضعهُ في قبرٍ جديد لم يكن وُضع فيهِ احد من الناس . وكان ذلك بتوفيق المسيح ربّنا وذلك ان القبور في ارض المغرب مَغاور وبيوت من حجارة يُلقى في البيت الواحد والمغارة الواحدة بشرٌ كثير . فلو ان المسيح ربَّنا وُضع في تلك البيوت التي فيها الموتى اذن لمَا صدَّق بَعثهُ احد من الناس . ولعلَّ القائل يقول هو احد هؤلاء الصُّرع ولم يكن عليهِ من حجّة ولكن المسيح ربنا وفّق لهُ قبرًا جديدًا ووفق لهُ ايضاً اليهود الذين سعوا بهِ الى ان قالوا للوالي (متى ٢٧ : ٦٣) : أنَّا سمعناه يقول لاصحابهِ اني اقوم بعد ثلاثة ايَّام ونحن نتخوّف ان يسرقهُ اصحابهُ . فأُمروا بحرسهِ لئلّا يكون لهم حجّة يعتلُّون بها . حتى اذا كان صباح الاحد انبعث كما اخبر تلاميذه وبقي على الارض بعد قيامتهِ اربعين يوماً ليصدّقوا ببعثتهِ واكل وشرب وجُسَّ باليدينِ ليستقرّ عند الناس الايمان بانسيّته . فلما ان رآه من كان قد رآه على الارض وعلى الصليب وفي القبر ومنبعثاً ومقيماً على الارض في حال ما كان اولًا اتخذوا قيـاساً لبعثة الاموات كلهم ... لهُ المجد والقدرة والسجود ولابيه وروحه الى دهر الداهرين امين

خطبة

تتضمن حقيقة اعتقادنا

في التثليث والتوحيد والحلول والاتحاد

وما ورد في الانجيل المقدَّس من المعاني النفيسة

وضعها افضل المتأخرين الاب القديس مار عبد يشوع مطران نصيبين ادام الله ايامهُ
(تتلى) في اواخر ترجام الانجيل المقدَّس في جميع الاوقات

توطئة

عبد يشوع الصوباوي احد مشاهير النساطرة بهِ تنتهي سلسلة كتبتهم المبرّزين كما تنتهي بابن العبري سلسلة مشاهير اليعاقبة واسمهُ عبديشوع بر بريخا (ابن مبارك) ولد في اواسط القرن الثالث

عشر واشتهر على عهد يابالاها الثالث وكان اولاً اسقفاً على سنجار وبيت عربايا نحو سنة ١٢٨٥ ثم نُقل الى كرسي نصيبين وكانت وفاتهُ سنة ١٣١٨ لهُ تآليف سريانية متعددة في كل فنون العلوم الدينيَّة من لاهوت وفلسفة وتفسير وحقّ قانوني وجدل وآداب منها كتابهُ فردوس عدن عارض بهِ في السريانيَّة مقامات الحريري وقد طُبع في مطبعتنا بهمَّة حضرة القس جبرائيل قرداحي . واكثر كتبهِ في الكلدانية لكنهُ كان يُحسن ايضاً العربية لهُ فيها بعض تآليف قليلة من جملتها هذه الخطبة التي استنسخناها من مخطوطات باريس العربيَّة وهي مصونة في مكتبتها تحت العدد ٢٠٦ من الصحيفة ٤٤ الى ٤٩ اثبتناها هنا لئلا تأخذها يد الضياع ولما بينها وبين المقالات السابقة من الشبه في الموضوع ل . ش .

الحمد لله الذي استصبحت باشعَّة نورهِ الازلي العقول الزكيَّة . في الظُّلَم الهيولانية . واقتنصت من سواحل بحار علمهِ دُرر علوم الحقائق الربَّانيَّة . واستنسخت من دساتير حكمهِ اصنافُ المعارف السنيَّة . واستنتجت من مغارس نعمهِ انواع الدراية والاحاطة بعلل الموجودات الزمنيَّة . وظهرت بتسربُل ضياء من فيضهِ لامعةُ البوارق في البرازخ العنصريَّة . طهرت بتجلبُب تأييدٍ من حولهِ اوضارُ الاذهان البشريَّة . الذي حارت الافهام اللطيفة عن إدراك كنه ازليَّتهِ . وحازت الاوهام الشريفة أسنى المنح من فيض معقوليَّتهِ . لاعترافها بالتقصير عن العَوْم في تيَّار علم اوَّليتهِ . ذي الجوهر الفرد البسيط القديم . والصفات الثلث المعبَّر عنها بالاقانيم (45أ) . آب والد ازلي وابن مولود سرمدي وروح قدس منبعث من الآب الرحيم . الاب عقل والابن كلمة والروح حياة سرمديَّة . عقل وعاقل ومعقول لا يدخل تحت الاشارات الجسديَّة . هو العقل ذاته لتجرُّدهِ عن الهيولي ولوازمها . وهو هو العاقل لانَّ كل مجرَّد عاقلٌ ذاتهُ عالمُها . وهو هو المعقول لانِ كل عاقل فهو من ذاتهِ معقول . فهذا هو سرّ التوحيد والتثليث المرموز المدلول . على انَّ معنى العاقل من معنى العقل متولّد ومعلول . ومعنى المعقول هو الروح القدس في اوائل العقول . فللعقل صفة الأبوَّة وهي صفة القدمة . وللعاقل صفة الحكمة . وللمعقول صفة الانبعاث وهي صفة الحياة والديمومة . هو تعالى واحد من قِبَل الذات . ثلثة من قبل هذه الصفات (45ب) اله واحد لا اله الّا هو . ربّ واحد لا معبود سواه . معدن القدرة والحكمة والجود . خالق ما يُرى وما لا يُرى المعقول والمحسوس من كل موجود . الرادع شكوك المخالفين بما اوقفهم عليهِ من إبداع جواهر عقليَّة . والقامع لدَد الجاحدين بما اوضح من مضاهاة الشمس للموجودات المعقولة . بالقرص الوالد

والضوء المولود والحرارة المنبعثة على الجهة المدلولـة . أَظهر كلمتهُ الازليَّة في العوالم الحسيّة بجلباب الصورة المقدَّسة الانسيَّة . من السيدة الطاهرة مريم العذراء المقدَّسة الزكيّة . اضحت انوار الشمس الخالقة . مشرقةً من اثناء الدرَّة الناطقة . حتى صار طبع القابل . هو طبع الفاعل . فصدرت الافعال عن الذات الفاعلة . اتّحدت صفة (46r) البنوَّة التي هي عبارة عن الحكمة الذاتيَّة . بهيئة جسميَّة . اتحاد المعنى البسيط بالالفاظ العلميَّة . اتخذت اللاهوت صورة الناسوت حجاباً لساطع انوارها . وباباً لغامض اسرارها . ايثاراً لكشف ظلام الجهل والغواية . وإِظهاراً لفضل الجود في الغاية . واشراقاً لنور العِرفان والهداية . أُولد بميلادهِ الزمني لقاطبة الخلائق عظيمَ الفرح والسرور . وأَلبس الجبلَة البشريَّة من ماء عمادهِ حلَّة الإِنعام والنور . وصرَّح بافصح العبارات عن وحدانيَّة الذات . واعلن باوضح الاشارات سرَّ تثليث الصفات . رحض في لجج التقى والدين أَدران الطائعين بفصيح بيانهِ . ودحض حجج المعاندين بصحيح برهانهِ . سهَّل السبل المؤدّية الى علم الاسرار . واوضح السنن الهادية الى عالم الانوار . (46v) نهج الجوادَّ الآئلة بمستَنّها خيرَ المآل . ورفع قاصدي جناب الجبروت الى اعالي شناخيب اطواد الكمال . هذَّب العقول الساهية باشرف التهذيب . وادَّب النفوس اللاهية بالطف العظات والتاديب . حسم بصوارم كلمهِ المنيرة علائق الشهوات . وفصم بُمدى حِكَمِهِ الغزيرة عُرى الشكوك والشُّبُهات . افرغ العقول الانسانيَّة في القوالب الروحانيَّة . ورفع الآراء السخيفة . الى مشافهة الاسرار الشريفة . بثَّ في اقطار العالم الكوني بشرى الحياة الجديدة . وافشى في أَرجاء الصفيح السفلي سرَّ النعيم الابدي والخيرات العتيدة . ثبَّت وعوده الصادقة بالآيات العجيبة . وبرهن عن صدق اقـاويلهِ بالمعجزات الغريبة . حقَّق الخلاص والعتق من (47r) رقّ الموت بردّ المفقودين . وانبت في القلوب رجاء قيامة الابدان وتجوهرها في الخالدين . باحياء الموتى . وانهاض الزَّمنى . طهَّر البشر من ادناس الشهوات المميتة حياةَ الايمان . بصومهِ المقدَّس ومقاومتهِ خُدَعَ الشيطـان . جدح للخطيَّة كاس الحتوف بموت ناسوتهِ . المتحدة بلاهوتهِ . واكَّد صالح الانتظار من المعاد والبعث بنشأتهِ من بين الاموات وقيامتهِ . رقَّى كثيف الصورة الآدميَّة الى شامخ الذرَوات . يوم معراج جسدهِ قدس الاقداس الى سامي السموات . رفع رميم البشريَّة . فوق قُمَّة الافلاك الكريَّة . اجلسنا عن

يمين القدرة . وبسطنا على جناب الحضرة . اعدَّ لنا الولائم السرّيَّة . والمراتب السنيَّة والمظالَّ النوريَّة . نحمده على ما اولانا من سابغ انعامه . (47 ٧) وغامض مزنه واكرامه . حمدًا تبيدُ الدهور ولن يباد . مقرَّرًا من صحائف الخلود لجميع العباد . ونشكره على ما خوَّلنا من غفران الخطايا . وإجزال المواهب والعطايا . شكرًا تزهر طرَّته على جبين الايام . ويوجب المزيد من الافضال والانعام

أيها المؤمنون انَّ التمسُّك بالامور الجليلة انَّما يكون من العقلاء بقدر نفاستها وجلالتها . وبحسب شرفها وعزَّتها . فتمسَّكوا من هذا الدين الصحيح بالعروة الوثقى . واحفظوا اوامر السيد المسيح فهو خير لكم وابقى . وتدبَّروا بالبصائر العقليَّة . شرف هذه الشريعة الفضليَّة . والمحوا بعين العدالة فضل كمالها . والحظوا بمقل الانصاف كريم خلالها . فقد اشرق عليكم الانجيلُ انوارَ الهداية لترشدوا . وكشف لكم (48 ر) اسرار الدراية لتسعدوا . وحقَّق لديكم حال المعاد لتتزوَّدوا . وبيَّن الفضائل لتكسبوها . وعيَّن الرذائل لتتجنَّبوها . ورفع هممكم عن الحضيض الاوهد . الى اوج الجمال السرمد . ونهاكم عن الاسترسال الى الملاذ الفانية . ودعاكم الى الاستعداد للاستسعاد بالخيرات الباقية . فاعملوا وفَّقكم الله اصلح الاعمال . وامتثلوا ما رسمهُ لكم من سنَّة الإفضال . وثابروا على معرفة الحقائق . وجاهدوا على ما يفيدكم الزلفى لدى ربّ الخلائق . واعلموا انكم من الدنيا على فراق . ومن الاخرة على لحاق . ومن يوم الدين على ميثاق . فلا تبيعوا النفائس بالخسائس . ولا تكونوا ممن هو من السعادة الاخرويَّة آئس . فلا بدَّ والله من تجلّي مخلّص الكل يوم القيامة (48 ٧) . شارقاً ببوارق الهيبة وبهاء الكرامة . فيرفع الاخيار الى دار البقاء والاقامة . ويدفع الاشرار الى محل الشقاء والندامة . جعلكم الله من اهل الميمنة في الملكوت الاعلى . ورزقكم من النعيم الاخروي ما هو بكرمهِ اولى . وأسدل عليكم ستور العصمة . وضوأ قلوبكم بنور الحكمة . وانزل عليكم سحائب البركات والرحمة . ووهبكم من رعايتهِ عوناً ومعيناً . واحاط بكم من عنايتهِ سورًا حصيناً . يكلأكم من نوازل المصائب . ويحرسكم من شوائب النوائب . بشفاعة امّ النور ومفيد الخلاص وسائر القديسين الخواص . امين

(تمت الخطبة الجامعة لحقائق الايمان ولله الحمد والشكر دائماً الان وفي كل

اوان امين) وذلك بمحروسة الجزيرة . علقهُ لنفسهِ القس صليبا بن القس يوحنا الموصلي في تاريخ حزيران ١٦٢٠ يونانيَّة (١٣٠٩ م)



رسالة في وحدانية الخالق وتثليث اقانيمه

تأليف ايليَّا مطران نصيبين

عُني بنشرها الاب لويس معلوف اليسوعي

نقلًا عن نسخة اكسفورد

توطئة

انهُ لمن المقرَّر لدى العلماء العارفين بالآداب النصرانيـة ان صاحب كتاب دفع الهمّ ايليَّا النَّصيبيني قد ترك للسَّلف فيما تركهُ من التآليف الشائقـة مقالةً في وحدانيَّة الخالق وتثليث أقانيمه . وكنَّا مع مَن هام بآثار العرب ووقف لإحيائها جُلَّ اتعابهِ نتأسَّف على انَّ يد الدهر اغتالت تلك الدرَّة الثمينة (راجع المشرق ٥ : ٣٤٠)

بيد ان الله يسَّرنا الى الاكتشاف عنها فيما دُفن من الدفائن في مكتبة اكسفورد الشهيرة بل قُل فيما حُفظ كأثمن اللآلي في ذلك المتحف البُدْلاني الكريم . وجدناها ضمن مجموع لم اعهد لهُ شبيهاً في المكاتب الاوربيَّة وقد وصفهُ بعض الوصف صاحب فهرست تلك المكتبة في المجلد الاوَّل منهُ تحت عدد ٣٨ (Hunter, 240) . وهـذا المجموع يحتوي على عدَّة تآليف او مقالات يبلغ عدد صفحاتها ٢٦٠ صفحة . امَّا مضامين هذه المصنَّفات فهي كما ترى : ١ً في اوَّل الكتاب تقويم السنة القبطية . ٢ً شرح الامانة . ٣ً كتاب درياق العقول في علم الاصول للقس رشيد ابي الخير ألَّفهُ سنة ١٠٧٢ م على ما ورد في الفهرست الباريسي . ومنهُ نسخ معهودة في مكاتب شتَّى وفي خزانة كتبنا الشرقية منهُ نسختان احداهما قديمة وُجدت في حلب والاخرى منقولة عن نسخة دير القديس يوحنَّا الصابغ في الشوير . ٤ً المقالة الاولى لبولس البوشي اسقف مصر في معرفة الاله المتجسّد . من القياس العقلي . ٥ً المقالة الثانية لابي الفرج عبد الله بن ابي الطيّب في التثليث والتوحيد . ٦ً مقالة ليحيى النحوي في الدلالة على حدوث العالم . ٧ً مقالة لحنين بن اسحاق في حقيقة الاديان وكيفيَّة ادراكها . ٨ً كلام للآباء الفضلاء في اصناف سياسة الباري . ٩ً ذكر اجتماع مطارنة الطوائف عند بعض الوزراء بالمشرق . ١٠ً مقالة ايليَّا الأشل مطران حمص . يذكر فيها اسباب تنازلهِ عن الاسقفيَّة ويتطرَّق من ذلـك الى التكلُّم عن شرف وعظمة الكهنوت . ١١ً رسالة ايليَّا مطران نصيبين التي ننشرها هنا . ١٢ً مقالة لهُ ايضاً في نعيم الآخرة . ١٣ً مقالة في الزنا . ١٤ً مقالة لساويروس بن المقفَّع . ١٥ً كتاب

آداب الكنيسة مماَّ شرحهُ ابو اسحق ابن ابي الفضل ابن العسَّال . ١٦ً شذرات من كتاب الشفاء لابن سيناء ثم ادعية

ولمَّا كان كتاب درياق العقول اوسع تآليف هذا المجموع قد وسمهُ الجامع باسمهِ في النسخة الاكسفورديَّة التي تاريخها سنة ١٥٩٦ .وعندنا انَّ هذا التاريخ لا يصحّ الَّا على قسمٍ منهُ لأن في المجموع خطوطاً مختلفة .منها ما هو اقدم من هذا العهد . وكذلك ورق الكتاب ترى بعضهُ شبيهاً بورق المخطوطات التي سبقت القرن السادس عشر والله اعلم

امَّا مقالة ايليَّا النّصيبيني فهي كدرَّة من دُرر الآداب النصرانيَّة كما سترى :

سأل القاضي الجليل (١ ادام الله توفيقهُ ان اذكر لهُ اعتقاد النصارى في الباريء تعالى وما معنى قولهم انَّهُ جوهر واحد ثلثة اقانيم وانا ذاكر ذلك حسب ما رسم واقول :

نحن معشر النصارى نعتقد ايَّد الله القاضي انَّ الباريء جلَّت قدرتهُ واحد لا إله الَّا هو وانهُ كيان واحد ثلثة اقانيم . فان قال قائل من الموحّدين : ما حملكم ان تقولوا انهُ كيان ثلثة اقانيم وما معنى ذلك ؟

قلنا قد اتّفقنا وانتم على ان الباريء تعالى واحد وليس يخلو هذا الواحد ان يكون قائماً بنفسه او موجوداً في غيرهِ مثل الاعراض . ومن المحال ان يكون موجوداً في غيرهِ فهو اذن قائم بنفسهِ . وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ ان يكون حيّاً او غير حيّ ومن المحال ان يكون خالقُ الحياة غيرَ حيّ فهو اذن حيّ . وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ الحيّ ان يكون حكيماً او غير حكيم . ومن المحال ان يكون خالق الحكمةِ غيرَ حكيم فهو اذن حكيم . فقد ثبت ان الباريء جلَّت قدرتهُ قائم بنفسه حيّ حكيم والسريانيون يسمُّون كل موجود هو قائم بنفسهِ بالسريانية كياناً (٢ قديماً كان ذلك الموجود او محدثاً اذ كان حدُّ الكيان عندهم هو القائم بنفسهِ . ولمَّا كان الباريء جلَّت قدرته حيّاً حكيماً وكان لا حيّاً الَّا بحياة ولا حكيماً الَّا بحكمة ثبت ان الباريء تعالى كيانٌ واحد من حيث هو قائم بنفسهِ حيّ بحياتهِ حكيم بحكمته

ولمَّا كانت ذاتهُ غير قابلة للاعراض بطل ان تكون حياته وحكمتهُ عرضَين وكل ما ليس بعرَض فهو امَّا كيان وامَّا اقنوم . ولمَّا بطل ان تكون ذات الباريء تعالى وحياته وحكمتهُ ثلثة اكيان او ثلثة اعراض ثبت انَّها ثلثة اقانيم

١) لم يمكنَّا الوقوف على اسم هذا القاضي المسلم الذي عرض السؤَال على اليَّا النصيبيني

٢) يريد بالكيان (ܟܝܢܐ) جوهر الذات الالهية وطبيعتها الروحانيَّة البسيطة مع قطع النظر عن صفاتهِ تعالى عزَّ وجلَّ

ونقول ان الله هو كيان واحد ثلاثة اقانيم . فقولنا « كيان واحد » عبارة عن القائم بنفسهِ وقولنا « ثلثة اقانيم » عبارة عن الذات والحياة والحكمة فلا فرق بين قولنا « كيان واحد ثلثة اقانيم » وبين قولنا « قائم بنفسهِ ذوحياة وحكمة ».

فان قال بعض المسلمين حرسهم الله انكم اذ اثبتُّم للبارئ تعالى حياةً وحكمة فقد اثبتم معهُ قديمَين آخرين وهذا ضدّ التوحيد . (قلنا) قد اجمعنا نحن وانتم على انَّ البارئ تعالى حكيمٌ حيٌ ونعلم من حكم اللُّغة والقوانين المنطقيَّة ان الاسماء المشتقَّة هي مأخوذة من معانٍ موجودة بها للمسمَّيات بالاسماء المشتقَّة والحكيم مشتقٌ من الحكمة والحيُ مشتقٌ من الحياة واذا كان الامر على هذا وكان البارئ حيًّا حكيماً وجب ان يثبت لهُ حياة وحكمة . فان قيل ان هذا يلزم في سائر الاسماء الَّا في اسم البارئ وان ليس الاسماء المشتقَّة لـهُ بمعانٍ موجودة فيهِ كالاسماء المشتقَّة للمخلوقين لمعارفهم . (قلنا) ان هذا الاستثناء في موضع خلاف وهو دعوى بـلا دليل وهذا ما لا يجوز في النظر لان من شَرْط النظر ان لا تجعل الدعوى دليلًا وانتم انَّما هوذا تدَّعون في هذا الموضع خلاف ما يوجبهُ القياس وقوانين المنطق واصول اللغة لانَّ القياس وقوانين النطق واصول اللغة توجب ان لا يكون حكيم الَّا بحكمة ولا حي الَّا بحياة كما لا نحوي الَّا بنحو ولا مهندس الَّا بهندسة ولو لزمنا الشرك لاجل اثباتنا لله حياةً وحكمة لكان اكثر المسلمين حرسهم الله احقَّ منا بالشرك لانهم يثبتون انَّ لله العلم والحياة والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر . فان كانوا مع اثباتهم لله ذلك بريئين من الشرك فنحن ايضاً مع اثبـاتنا لله الحياة والحكمة بريئون من الشرك

فان قال قائل لَّما كان البارئ جلَّت قدرتهُ حكيماً حيًّا خالقاً جوادًا رازقاً رحيماً حليماً سميعاً بصيرًا وغير ذلك من الاوصاف فلِمَ اقتصرتم على ان اثبتُّم لـهُ منها الحكمة والحياة فجعلتم الحكمة والحياة اقنومين وحذفتم ذكر الرحمة والجود وغير ذلك من الصفات التي كان يلزمكم على اصولكم ان تجعلوهـا اقانيم كما جعلتم الحكمة والحياة . (قلنا) ان اسماء البارئ تعالى على ضربين ذاتيَّة وفعليَّة فالاسماء الذاتيّة هي ان تخصَّ كيانهُ وذاتهُ مثل قولنا «القائم بنفسهِ الحكيم الحي» . والاسماء الفعليّة هي مشتقَّة من مثل قولنا الخالق الجواد الرازق الرحيم الحليم السميع البصير وما

شاكل ذلك من الاسماء. فقولنا انَّ البارئ تعالى حكيمٌ حيٌّ مثل قولنا قائم بنفسهِ. وانَّما إثباتُنا لهُ الحكمة والحياة مثل اثباتنا لهُ الذات لان حكمته وحياته ليستا بقوَّتين مركَّبتين مثل حكمة المخلوقين وحياتهم لكنهما ذاتيَّان كيانيَّان غير متجزّئتين من الذات وغير متبعّضتين من الكيان. وقولنا انَّ لهُ خلقاً وجوداً وارادةً ورحمةً وغير ذلك من الصفات فهي صفات فعليَّة تتعلَّق بافعالهِ وذلك انَّ الخالق مشتقٌّ من خَلَقَ يخلق. والجواد من جادَ يجود. والرازق من رزق يرزق. والرحيم من رحم يرحم. والحليم من حَلُم يحلم. والسميع من سمع يسمع. والبصير من بصر يبصر. فجميع هذه الاسماء وما شاكلها هي مشتقَّة من الافعال وهي تتعلَّق بالخالق والمخلوقين. وذلك ان قولنا «جواد» يتعلَّق بهِ وبالذين يُجاد عليهم. وقولنا «خالق» يتعلق بهِ وبالمخلوقين. وقولنا «رازق» يتعلق بهِ وبالمرزوقين. وقولنا «مريد» يتعلق بهِ وبالمراد. وقولنا «رحيم» يتعلق بهِ وبالمرحومين. وعلى هذا المثال تجري الامور في جميع الاسماء الخارجة عن الذات والحكمة والحياة. فلمَّا كانت الذات والحكمة والحياة خواصَّ ذاتيَّة وكانت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفات فعليَّة سُمّيت الذات والحكمة والحياة خواصَّ واقانيم وسُمّيت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفاتٍ

فان قيل ان قولكم بان الله جوهر يؤدي الى القول بان الاعراض تدخل عليهِ تعالى لان حدَّ الجوهر ما حملَ العرَض. (قلنا) ان الذي نعتقدهُ في البارئ تعالى هو انهُ قائم بنفسهِ ونحن نسمّي القائم بنفسهِ بالسريانيَّة كياناً. ولمَّا فسَّر المتقدمون من علمائنا الكتب المنطقيَّة والشرعيَّة عبَّروا عن هذه اللفظة التي هي بالسريانية كياناً ومعناها القائم بنفسهِ باللفظة التي هي بالعربية جوهر. ونرى الخلف في زماننا هذا واقعاً في معنى هذه اللفظة لانَّ متكلّمي المسلمين حرسهم الله تعالى يقولون انَّ حدَّ الجوهر ما حمل العرَض. فان كان معنى الجوهر هو القائم بنفسهِ فلا طَعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان الله قائماً بنفسهِ واذا كان معنى الجوهر عندهم ما حمل الاعراض فليس الله جوهر. واذا رجع الى اقاويل المسلمين رحم الله العلماء وحرس المسلمين عُلم انهُ لا طعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان قَصْده في قولهِ جوهر القائمَ بنفسهِ. ومنهم الشيخ العالم ابو جعفر احمد بن الاشعب فانهُ يقول في الباب الثاني عشر

من المقالة الاولى من كتابهِ في العلم الالهيّ ما هذا حكايتهُ : « قد بُيّن ان المحرّك الاوّل اوّل على الاطلاق فهو اذن علّة الموجودات كلّها وما كان كذلك فلا يخلو من ان يكون اماً جوهرًا واماً عرَضاً . ومن المحال ان يكون عرضاً لان الجوهر علّة وجود العرض والله علّة وجود كل شيء ولولا الجوهر لم يوجد العرض قائماً بذاتهِ فليس الامر في ذلك بالعكس : فبقي ان يكون جوهرًا او شيئاً اشرف من الجوهر او جوهرًا يخصّهُ او كياناً او عيناً كيف شئت تقول بعد ان يكون المعنى محفوظاً » . فهذا القول من هذا العالم يجيز القول بان الله جوهر بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وهو المعنى الذي تذهب اليهِ النصارى في قولهم ان الله جوهر

وقال القاضي الجليل ابو بكر محمَّد ابن الطيِّب (المعروف بابن الباقلاني) في كتاب الطمس على الاصول الخمس ما هذا حكايتهُ :

« اعلم ان النصارى اذا حقّقنا معهم الكلام في قولهم ان الله جوهر واحد ذو ثلثة اقـانيم لم يحصل بيننا وبينهم خلاف الّا في الاسم لانهم يقولون انهُ جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى انهُ قائم بنفسهِ . فالمعنى صحيح وانّما العبارة فاسدة لان الاسماء يُرجع فيها الى اللسان ولم يطلق عليهِ احد منهم جوهرًا . وانّما الكلام معهم في تثبيت النبوّة كاليهود » . فقد دلّ هذا القول من هذا القاضي على انهُ لا طعن على النصارى في قولهم ان الله جوهر بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وانهُ لا خلف بينهم وبين المسلمين حرسهم الله الّا في نبوّة محمَّد بن عبد الله رحمة الله عليهِ

وقال القاضي ابو عبد الله الحسين بن عبد الله بن شبل في كتابهِ في ادب الجدل ما حكايتهُ :

ألا ترى ان سائر الامم تقيس القدير سبحانهُ على الشاهد في جميع ما يثبتونهُ من وحدانيّتهِ وصفاتهِ وعدلهِ وقدرتهِ وفعلهِ . فيقولون الدليل على انهُ قادر وجود افعالهِ لان الفعل في الشاهد من احدنا يدلّ على كونهِ قادرًا . وكذلك الفعل المحكم من احدنا يدلّ على كونهِ عالماً . ويستدلّ بفعل الباري جلّت قدرتهُ المحكَم على كونهِ عالماً فيجمعون بينهما بمعنًى من المعاني وان افترقا من وجوه أخرى . فلو ان قائلًا قال : لا يقاس الباري على احدنا في الشواهد لانهُ قديم ونحن محدَثون ونحن اجسام وهو غير جسم ونحن نعلم ونجهل ونقدر ونعجز وهو لا يجهل ولا يعجز لكان كلاماً فاسدًا . وكذلك

النصارى يقيسون القديم على المحدَث في كونهِ جوهرًا بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وان كان الجوهر في الشاهد محدثاً حاملًا للعرَض. واذا كان ذلك كذلك علمنا ان القياس يصحُّ من جهة واحدة ومعنى واحد وان افترقا من وجوهٍ أُخر». فقد دلَّ قول القاضي على ان الذي دلَّ المسلمين على انَّ الله قادر عالم هو الذي دلَّ النصارى على ان الله جوهر اذ كان الجوهر عندهم القائم بنفسهِ. فاماً عند من يعتقد ان حدَّ الجوهر ما حمل العرض فمعاذ لله ان يكون الله جوهرًا ومن قال انهُ جوهر على هذا الوجه فقد كفر. وبالجملة اذا اجمع اهل لغة العرب على ان حدَّ الجوهر ما حمل العرض فقد ثبت بإقرارهم ان ليس في لغتهم لفظة تصحُّ ان يعبَّر بها عن القائم بنفسهِ. فاذا كنَّا لا نجد في لغة القوم لفظة نعبّر بها عن القائم بنفسهِ اذ ليس في لغتهم لفظة حدُّها القائم بنفسهِ فالأَحوَط ان نعبّر عن ذلك باللفظة السريانيَّة المقدَّم ذكرها وهي الكيان. كما لم نجد في لغتهم لفظة نعبّر بها عن الشيء الذي ليس بكيانٍ عامّ ولا عرض عبَّرنا عنهُ باللفظة السريانية التي هي الاقنوم اذ هي تقع عند السريانيين على كل ما ليس بكيان عام ولا عرض. ولذلك نقول ان الباري جلَّت قدرتهُ كيان واحد ثلثة اقانيم والقاضي الجليل ادام (الله) تأييدهُ يقف على ذلك ويعرّفني ما عنده فيهِ ان شاء الله

صُنّفت هذه الرسالة بالموصل في شهر رمضان سنة عشرين واربعمائة هـ (١٠٢٩م) ولله الحمد

نعيم الآخرة

مقالة لايليَّا مطران نصيبين

عُني بنشرها الاب لويس معلوف اليسوعيّ

هذا اثر ثانٍ للكاتب النسطوري الشهير ايليَّا مطران نصيبين نقتطفهُ من الكتاب المخطوط في خزانة اوكسفرد العربيَّة الذي سبق وصفهُ قبل رسالتهِ في وحدانيَّة الخالق وتثليث اقانيمهِ (ص ١٢٤) وهي المقالة الثانية عشرة من المقالات التي يشتمل عليها الكتاب. امَّا ترجمة صاحبها فنحيل القرَّاء الى ما دوَّنهُ المشرق من سيرتهِ في سنتهِ الخامسة ١٩٠٢ (ص ٢٣٧ – ٢٤١) وفي ذلك كفاية لتعريف فضلهِ

بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد

(المقالة الثانية عشرة)

من قول ايليا مطران نصيبين في نعيم الآخرة

قال لما سألوه عن نعيم دار الآخرة الدائم (أهو اكلٌ وشربٌ) فاجاب قائلاً :

ليس ذلك النعيم اكلاً ولا شرباً بل سروراً ومجداً لا يُنطَق بهِ ولذَّة لا توصف تتَّحد بالنفس والعقل وتوصّلها الى نظر مجد الله والعيشة الملائكيَّة بلا تعب ولا ألم ولا تغيير ولا عرَض ولا استحالة في نوع بالجملة من كل الانواع كما قال الانجيل المقدَّس في القيامة (متى ٢٢ : ٣٠) : تصير الابرار كمثل ملائكة الله الذين في السماء لانهم بنو الله وبنو القيامة

فان قال قائل : ان نعيم الآخرة اكلٌ وشربٌ . قلنا لهُ : ليست هذه اللذَّة اصليَّة في ذاتها ولا خيرًا محضاً في طبعها بل انما هي دَفعُ عرَض من عوارض الدنيا مثل لذَّة الأَمن عند الخوف ولذَّة الراحة عند التعب ولذة الهدوء والسكون عند القلق والانزعاج فتكون تهدِّئ ما قبلها وتسكنهُ الى وقتٍ ما . هكذا يكون وجود لذَّة الطعام عند الجوع فانَّ الانسان اذا اخذ كفوءَهُ من الطعام هدأ عنهُ الجوع الى وقت وليس هو خيرًا في طبعهِ اعني الطعام بل انما صار خيرًا عند ألم الجوع فان زاد عن الحدّ أتخم وضرَّ لأنهُ لو كان خيرًا في طبعهِ لم يكن يضرّ عند الاكثار منهُ بل كان يزداد نفعاً فاضلاً . كذلك لذَّة الشرب عند ألم العطش فاذا روي الانسان انقطع عنهُ ألم العطش ووجد راحة الى وقتٍ ما وليس هذا الآخر خيرًا في طبعهِ بل انما هو صار خيرًا عند ألم العطش لا غير ذلك كما قال القديس غريغوريوس اخو الكبير باسيليوس فاذا زاد منهُ أفسد معدتهُ وأحرف مزاجهُ وان اختنق في مياهٍ كان ذلك سبب موتهِ . فلو كان ذلك خيرًا محضاً لم يكن يهلك بها ولا يتضرَّر منها عند كثرتها فمقدار اللذَّة في هؤلاء الانواع كمقدار ما تحدثهُ عوارض الزمان من الالم فيسكن ذلك الالم الحادث لا غير

فان قال قائل: ان نعيم الآخرة اكلٌ وشربٌ أجناه فأيُّ فضل لها على عوارض هذا الدهر الكثيرة الأتعاب والاعراض ولا خير في لذَّة يوجبها الم ضروري حتى يوجب سلبها كمثل مرض تريد مداواته حتى يهدأ ألمُهُ

فان مارى احد في ذلك وقال: ان الله قادر ان يوصل هذه اللذة بغير ألم. قلنا لهُ: ان الانسان لا يحسّ بلذة الطعام من غير جوع ولا لذَّة الأمن الَّا من بعد جزع وخوف ولا لذة اللباس والتدثُّر الَّا عند ألم البرد ولا لذة الراحة الَّا عند التعب ولا لذة الهدوء الَّا عند القلق كما قلنا اوَّلًا. بل لله الاقتدار بالأحقّ والأفضل ان يبطل ألمها من الجسم بعد القيامة لانها عرضيَّة ولذة خسيسة مناسبة للبهائم الغير عقليَّة كما يبطل شهوة التناسل لكي تبقى حياته مع الله ابديَّة مناسبة الملائكة الروحانية العقلية العلوية بلذَّة تنال الروح لا يُنطَق بها ويبارك الله دائمًا ويقدسه شبيهاً بالملائكة وكافَّة الطغمات النورانيَّة وينسى كل الملاذّ الجسديَّة الكثيرة الاوصاب والآلام

فأخبرنا ايها الانسان أيّما الأفضل العين الصحيحة النظر بالدوام التي لا ينالها ألم او العين التي تتَّجع كل حين وتحتاج الى الاكحال والشيافات (الادوية) لكي تهدأ الضربات الحادثة لها عرضياً . وأيّما اهنأُ عيشاً الذي جسمهُ سالمٌ معافًى من سائر الأوصاب او من يعرض لهُ امراض مُسقمة او اورام صعبة مؤلمة ويحتاج للادوية والى المراهم على الاعصاب ليسكّن مادَّة الم لعلَّهُ يصحّ كما كان اوَّلًا ويحسد المعافى المستريح من الآلام التي هو مكابدها . فمن البيان ان الذي كفاهُ الله هذه الآلام بأسرها وما يشابهها وحملها عنهُ هو الممتدَح اكثر من الذي تعرض لهُ ويتألم منهـا ويحتاج يستعمل ما يهدّئها . وهكذا الذين بعد القيامة كفاهم الله تبارك اسمهُ ألمَ هذه الاعراض وحمل عنهم ثقل الجسم بامرهِ وجعلهم يشهدون في حياة فاضلة ولذة اشرف واعلى وابلغ التي هي خير في طبعها فكلَّما تزايدت عظمت كراماتهم على قدر رتب اعمالهم الفاضلة لا كمثل تلك اللذَّة الجسديَّة المستحيلة الزمنية التي كلما أكثرتَ منها ضرَّتك وربما قتلَتْك فامَّا هذه التي قد استحق ان تتفاضل عليهِ من الله سبحانهُ وتعالى كصفو اعمالهِ فكلَّما ازدادت ازداد مجداً وكرامةً وبهاء وفرحاً ومسرة لا ينالها حزن ولا كآبة غريبة من الاعراض والآفات

فان ظنَّ احد ان اللذة المستأنفة هي الاكل والشرب وقد جعل اللذات الجسديَّة

اشرف من لذة العقول الروحانية فهذا لا يعرف مقدار مواعيد الله بالجملة الكليَّة ولم يصل عقلهُ الَّا لاشياء جسمانية كما يلائم افكار قلبهِ الدنيَّة والدنيويَّة وهذا غاية الغلط لا محالة ان يكون شبه البهائم الغير عقلية افضل من شبه الملائكة السماويَّة . وفي هذا الذي ذكرناهُ كفاية بالغة لمن لهُ عقل زاهد لطيف وتأمل حاذق شريف ان لا يميل للباطل ولا يصغي لقول معيب جاهل . ولربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح المجد والقدرة الى الابد والى ابد الابدين والشكر لله دائمًا ابدًا سرمديًا

مقالة في اقسام الدين

اختصرها ابو الفرج هبة الله المعروف بابن العسَّال

من مقالة الشيخ عيسى بن يحيي المسيحي الجرجاني صاحب كتاب الطبّ (١

هذه المقالة وردت في الباب الثالث عشر من كتاب اصول الدين لابن العسَّال من الصفحة ٢٢٩ الى ٢٤٦ من احدى نسختي مكتبتنا وفي ٩٦-٩٧ في الثانية ل . ش

الدين هو على قسمين : احدهما الايمان والآخر الاعمال العباداتيَّة (كذا) . والايمان هو التصديق بجميع ما يقولهُ الله والإقرار بما يصدر عنهُ على ألسن انبيائهِ واصفيائهِ . وهذا على ضربين : اما التصديق بما يُعلمنا(٢ من حقيقة ذاتهِ وصفاتهِ وسائر ما يتعلق بذلك من العلوم الالهية . واماً ما يتعلق بنا من الوعد والوعيد في الآخرة فان هذين الامرين لسنا نذكرهما حسًا ولا رأيًا عاميًا فيجب ان نصدقهُ بذلك ونقرّ بهِ ولا نشك فيهِ البتة فيكون ايمانًا

والآخر هو العبادات كالصوم والصلاة وغير ذلك مما نتقرّب بهِ اليهِ ونتشبَّه بملائكتهِ فيهِ . وهذا على : إمَّا الانسياق الى ما يأمرنا بهِ من اقامة الخيرات التي هي

١) اعلم انَّ عيسى بن يحيى الذي شرح مقالتهُ ابن عسَّال احد كبار المتطبّبين وائمَّة المصنفين خدم بني بويه في خراسان وبغداد في القرن الخامس للهجرة واسمهُ ابو سهل المسيحيّ الجرجانيّ وعنهُ اخذ ابن سينا علم الطبّ (اطلب تاريخ الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٣٢٧ والقفطي ص٤٠٨)

٢) ويروى : كما علمنا

سعادتنا في الدارين واما الانزجار عما ينهانا عنهُ من التجاسر على الشرور والاثام التي هي شقاوتنا الاولى والاخرى . فيجب ان اقول ذلك في كل واحدٍ من الاقسام واقسام اقسامها شطرًا صالحًا بقدر ما يليق بغرضنا

﴿ القول في الايمان ﴾ الايمان هو ان يقرَّ الانسان بما يقولهُ الله ويصدّقهُ ويعتقدَ ذلك بلا شك يخامرهُ ولا مراءاةٍ تختلجهُ وتعتريهِ واكثر ما يعتريهِ الشكُّ في الايمان ولا يقع في التصديق بهِ هو ان الانسان يظنُّ اذا اعتقد ما لم يشاهدهُ حسًّا او لم يباشرهُ مباشرةً بدنيّة فانهُ يكون تقليدًا وتصديق غرورٍ ولا يعلم ان هذا ما لا يكون تقليدًا بل اعتقادًا ضروريًا وبرهانًا حقيقيًا . لان التقليد هو ان يُفيد الانسان غيرهُ على غير ثقةٍ منهُ ولا حجّةٍ ولا سبب يصدّقهُ ويحقّقهُ عندهُ واما هاهنا فان الله تعالى لمّا كان من أَخبَرَ واحقّ مَن قال يجب ان لا يُشَكّ فيهِ انهُ يغلط فانهُ مستغنٍ عن استجرارِ المنافع ودفع المكاره وهو اخبرنا بجميع ما اخبرنا وامر بكل ما امر رحمةً منهُ وشفقةً علينا ونظرًا وحبًّا لنا من غير ان يكون هو محتاجًا الى شيءٍ . وبلغ من شفقتهِ علينا ورحمتهِ لنا انّا خلائقهُ ومصنوعوه وكان هو اولى بنا منّا بانفسنا اذ هو مالكُنا وربُّنا . فكما تفضَّل علينا بايجادنا بَدْءًا من غير سبب سوى جودهِ كذلك ارشدَنا بدءًا الى ما فيهِ سعادة دارَينا ليكون قد جاد علينا غاية الجود من ايجادنا في البدء وإسعادنا في الآخرة . والاعتقاد الذي هذا سبيلهُ لا يكون تقليدًا وركونًا الى ما لعلّهُ لا يكون . واقوى من كل ما يُحَسّ وابلغ من كل ما يقاس لانَّ حسَّنا الذي يقاوم المحسوس يغلط في كثير من الاشياء . والعقل الذي يستنبط يزلّ ويتيه في كثيرٍ من الاوقات وهو تعالى ذكرهُ لا يزلّ ولا يضلُّ . ولمّا كان الله تعالى ذكرهُ اعلى من ان يُدرَك واجلّ من ان يُتصوَّر واشرف من ان يُحيط بهِ وصفٌ واعظم من ان يعبَّر عنهُ بقولٍ تُحارُ العقول عن ادراكهِ وتتيه دون تصوُّرهِ تفضَّل بارشادنا الى ذلك وتنبيهنا على ما يجب الاعتقاد فيهِ من ذلك فنبَّهنا على اسمائهِ وصفاتهِ لأنهُ لما كنّا محتاجين الى ذكرهِ ومناجاتهِ لم يكن لنا بُدٌّ من ان نعرف اسمهُ الخاصّ بهِ وهو قولنا « الله » لانّا لا نسمّي غيرهُ بهذا الاسم لا بالمجاز ولا بالحقيقة

﴿ القول في الصفات ﴾ واما صفاتهُ فاسماؤُها تُستعمل في غيره على طريق الاستعارة والمجاز لا على التحقيق فان صفاتهِ وافعالهُ لا يشاركهُ فيها احد غيرهُ البتة .

فيكون لا كما يشارك في اللفظ يشارك في المعنى وذاك شيء وهذا شيء آخر . فان هذا الاشتراك هو بالاسم دون المعنى . ثمّ هاهنا لطافة اخرى وهو ان نعلم انهُ ليس الاسم مشتركاً والمعنيان مختلفين بحيث يعمُّهما هذا الاسم عموم الاسماء المشتركة مسمَّياتها ولا يكون بعضها أولى بذلك من بعض . لكن صفاته وافعالهُ مختصَّة بتلك الاسماء وتلك الاسماء حقيقةٌ مطابقةٌ لها واذا اطلقناها على صفات وافعال غيره كانت مجازًا واستعارةً . وهذا مثل ان نقول لزيدٍ انَّهُ قادرٌ على كذا بمعنى ان لهُ من القوّة ما يمكنهُ التصرُّف فيهِ واذا قلنا انَّ الله قادرٌ فانما نعني بذلك انَّهُ قويٌّ على كل شيءٍ حيث لا يعجزهُ شيءٌ . وكذلك العلم فانَّ زيدًا عالم بمعنى انَّهُ عارفٌ حقيقة الاشياء واذا قلنا الله عالم بمعنى انهُ لا يخفى عنهُ شيءٌ فقد صحَّ انَّهُ ليست الشركة والمناسبة لا في اللفظ ولا في المعنى ويجب ان نعتقد باسمائهِ بما انبأنا بهِ السيد المسيح لهُ المجد . ثمّ بعد هذا يجب ان نعلم انَّهُ شرَّفنا بتعليمنا اسماءهُ خاصَّةً مشتملًا على جميع صفاتهِ . وتتمَّتهُ على ما شرحهُ في مقالتهِ . واذا تقرَّر هذا صحَّ قسم الايمان . فلنرجع الى القسم الثاني من الدين وهو العبادات

﴿ العبادات ﴾ اسم يقع على كل حركة وسكون يصدر عن الانسان باختياره ويكون ذلك مما يرضاهُ الله فانهُ لا يرى ان صدر عنّا الّا الخير . فاذًا كل حركة خيرٍ تصدر عن الانسان باختيارهِ فهي عبادةٌ واذا كان فعل الخير والكفّ عن الشر هو رضى الله فرضاهُ سبحانهُ هو غاية السعادات . وكأن الله تعالى قد تفضَّل علينا بإرشادنا اليها وتنبيهنا على كيفيَّاتها وكمّيَّاتها واوقاتها وحالاتها وجب علينا قَبولنا هذا منهُ بالشكر . وهذا لا يكون كاملًا الّا ان نعملهُ بجميع اجزائهِ ونكملهُ بما نقدر عليهِ فيلزم ان نعبدهُ إمَّا بالنفس وامَّا بالبدن او بهما جميعاً وبالخارجات عنَّا كالمال وغيرهِ ممَّا نملكهُ ونقدر عليه وبمجموع ذلك اي النفس والبدن والمال . ويجب ان نقول في كل واحد من هذه الاقسام الثلثة كلاماً كافياً ليتمَّ الغرض الذي قصدناه

﴿ في عبادة النفس ﴾ عبادة النفس حركتها الى الخير وإمساكها عن الشرّ وهو ان نعتقد في الله وفي مسيحهِ وفي روح قدسهِ وفي ملائكتهِ ما جاء بهِ سيدنا المسيح والانبياء قبلهُ والسليحون بعدهُ والصديقون بالحق والصدق كما هو مسطور في كتب البيعة المقدسة ثمَّ نفكر ما امكن في جلالة الله سبحانهُ وعلوهِ وننظر فيما خلق وابدع من هذه التراكيب العجيبة . فهذا وامثالهُ حركة النفس الى الخير . وامَّا إمساكها عن الشر فهو ان لا

نفعل اضداد هذه كلها ونتجنبها غاية التجنُّب ونتقرب الى الله فيها بتحصيل رضاهُ بها

واما «عبادة البدن» فكما ان عبادة النفس هي الشيء الخاصّ بها الذي لا يشاركها فيهِ غيرها لا البدن ولا شيءٌ آخر لانها تحتاج الى العقل في الفكر والاعتقاد والاعمال لا الى البدن. كذلك عبادة البدن يجب ان تكون بالبدن وبالقوى البدنية بحيث لا يشاركهُ فيها غيرهُ لا النفس ولا الخارجات ولا شيءٌ خاصّ بالبدن الّا الغذاء فلا يمكن العبادة بالبدن خاصة بحيث لا يشاركهُ فيها غيرهُ الّا بالإمساك عن الغذاء فانَّ التغذي وان كان خاصًا بالبدن يعود نفعهُ عليهِ فان التغذي هو بمشاركة النفس فليس تبقى عبادة للبدن وحدهُ الّا الامساك عن التغذي وهو الصوم

«في عبادة النفس والبدن معًا» عبادة النفس والبدن معًا ان نستعملهما ونحركهما بالصلاة اوّلًا لانها تُخلص النفس والعقل لتسبيح الله تعالى والشكر لهُ على ما انعم وتفضّل والاستغفار ممّا فرط من زلّةٍ وخطيئة وتستجلب النعم والسعادة وهذه حركات النفس وافعالها. واما حركات البدن وفعلهُ الذي يشارك بهِ النفس فيها فهو ان تقوم منتصبًا مرَّة وراكعًا اخرى وساجدًا دفعةً وان تقرَّ باللسان بصوت شجيّ وتقرأ التسبيح بصوت بهيّ مستحقرًا نفسك عن استحقاقها مقرًّا بالعجز عمّا يلزمك من ذلك نادمًا بالحقيقة على ما فعلتَ متحسّرًا على ما فرط منك متنصلًا عن ان تقابلهُ باستزادةٍ. ثم بعد هذا تقصد الهياكل الشريفة وتسعى الى المشاهد الزكيَّة وتتبارك منها وتدعو الله فيها وبعد هذا تقضي حاجة مَن احتاج اليك وتُعينهُ برأيك حسب ما يمكنك وبالجملة بجميع حركات نفسك وبدنك

«العبادة بالخارجات» كل ما يمكن الانسان ممّا هو خارجٌ عنهُ كالدرهم والدينار والثياب والاواني والطعام والشراب والاملاك والحيوانات والنبات وغير ذلك ممّا يقع عليهِ البيع والشراء فيجب ان نعبد الله بها ونطلب رضاه باستعمالها وإنفاقها واخراجها فيما امرنا به سيدنا لهُ المجد من إشباع الجائع وإرواء الصادي وستر العاري وفكّ الاسير وعلاج العليل وايواء الغريب وتزكية الحيوانات والنبات وبالجملة فيما يعود بمصلحة عمارة العالم. وهذه الخارجات لاكتسابها واقتنائها وجوهٌ وافعال واذ لم تُكتسَب من حيث يجب وكما يجب اوجب اثمًا. ولمّا كان اقتناؤها من وجوه الصلاح صعبًا شاقًا واكتسابها من غير وجوهها ذنبًا عظيمًا امر دين المسيح بترك الحرص في

اكتسابها وسيدُنا ارشدنا الى عبادتهِ بواحدٍ واحدٍ من هذه الاعمـال بالنفس والبدن والمال وارشدنا ايضاً الى العبادة بمجموعها لتكون اتمَّ واكمل. لانهُ لمّا كان كل واحدٍ من هذه الحركات على انفرادها خيرًا وجميلًا اوجب ان يكون مجموعها اكمل حُسْناً واعظمَ خيرًا . وهذا هو الموسوم بالقربان لانهُ عبارة ان يكون الانسان صائمًا وان يكون يسبح الله ويُخلص نفسهُ وعقلهُ لمناجاته والفكرة فيه وان ينفق مـالهُ فيما يتقرَّب بهِ الى الله وهذه غاية العبادات اذا حفظ فيها الشرائط في الحدود والترتيب التي امر بهـا سيدنا لهُ المجد والرسل الاطهار بعده والاباء الفضلاء الذين بعدهم والائمَّة الحكماء بعد ذلك

(قال المصنف: نقلتُ هذا المختصر من نسخةٍ سقيمة فمتى وجد مطالعُهُ اصحَّ منها فليقابل عليها بها ويحرره ليربح الاجر). قلنا. وقد راجعنا المقالة على نسخة كرشونية في مكتبتنا

شرح مقالة عيسى بن يحيي لابن العسَّال

(من النسخة عينها ص ٢٤٧ — ٢٥٩)

واذ قد ذكر الحكيم الفاضل هذا مجمَلًا فلنذكرهُ نحن مفصَّلًا ونقول: الدين المسيحي اصلان احدهما الايمان والثاني الاعمال

«الايمان» هو التصديق والاقرار بالقلب واللسان كما قال بولس الرسول والايمان عبارةٌ عن الاعتقاد. والاعمال خارجةٌ عن مسمَّى الايمان والقائلون بان الاعمال داخلةٌ تحت الايمان اختلفوا في ان الخاطئ لا يخرج عن الايمان وعلى هذا فيكون اسماً لمجموع امور فاذا فات بعضها فات المجموعُ . وقيل انه يخرج عن الايمان ولا يدخل تحت الكفر وهو منزلة بين منزلتين. والايمان على ضربَيْن احدهما التوحيد والتثليث والآخر الاتحاد. الضرب الاوّل ينقسم اربعة اقسام

(الاول) هو ان نعتقد ان الله عزَّ وجل الهٌ واحد ضابط الكل خـالق السماء والارض ما يُرى وما لا يُرى وانهُ جوهر قديمٌ ازليٌّ ليس هو في موضوعٍ ولا يقبل العرض ولا الفساد ولا يتغيَّر ولا يتحيَّز ولا يحلّ في متحيّزٍ

(القسم الثاني) هذا الجوهر الواحد موصوف بصفاتٍ ثلاثٍ ذاتيةٍ قديمةٍ شرعيةٍ يُعبَّر عنها بالخواص وهذه الخواصّ يُعبَّر عنها بالابوّة والبنوّة والانبعاث (١

(والقسم الثالث) حَصْر هذه الصفات في انهُ عقلٌ وعاقل ومعقولٌ وانهُ ايضاً جوادٌ وحكيمٌ وقادرٌ

(والقسم الرابع) ان كل قنوم من هذه الاقانيم الثلثة متفقٌ مع القنوم الآخر في جوهره ومختلفٌ معهُ في خاصّتهِ

(والضرب الثاني من الايمان) هو الاتحاد واعتقاد اليعاقبة فيهِ (٢ ان الاله الواحد عزَّ وجل اتّحد اقنوم كلمتهِ المولود من الاب قبل كل الدهور الموصوف بانهُ نور من نور الهٍ حق من الهٍ حق مساوٍ للاب في الجوهر بانسانيَّة السيد المسيح المولود بالجسد من السيدة مريم العذراء ولادةً زمنيَّة من غير زرعٍ فصار المسيح لهُ المجد جوهرًا واحدًا قنوماً واحدًا من اقنوم الكلمة ومن هذا الانسان مع بقاء جوهر كل واحدٍ منهما على حالهِ ولم يختلطا ولم يمتزجا ولم يستحيلا ولم يتفاسدا ولم يتغير كلٌ واحد عن طبيعتهِ ولم ينفعل بوجهٍ من وجوهِ الانفعال حال الحَمْل ولا حال الولادة ولا فيما بعدهما وانَّ للاله اقنوم الكلمة لم تَحُزْهُ بطن مريم ولم يشتمل عليهِ ولا حلَّ فيهِ (٣

---

١) وزاد في نسخة اخرى : والجوهر مع كل واحد من الخواصّ اقنوم

٢) انَّ ابن عسَّال في شرحهِ الآتي اقرب الى النسطوريَّة منهُ الى اليعقوبيَّة فان اليعاقبة لا يقولون بان لاهوت الكلمة اتّحدت بانسانية المسيح لأنَّ في هذا القول ما يُشعر بوجود اقنومين في المسيح وهو قول النساطرة . وانَّما يقولون كالكاثوليك بان لاهوت المسيح اتّحد بالطبيعة البشرية . واما ضلالهم فبقولهم ان المسيح صار جوهرًا واحدًا من جوهرين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين . ومن ثم ترى انَّ الشرح الوارد هنا يخالف قول اليعاقبة ولعلَّ الناسخ غيَّر شيئاً من الاصل . وما يحملنا على هذا القول انهُ لدينا نسخة اخرى يظهر فيها المذهب اليعقوبي صريحاً وقد جاء فيها هذا النص كما يأتي : « اتحد اقنوم كلمتهِ . . . السيد المسيح (دون ذكر الانسانيَّة) . . من غير زرع فصار المسيح لهُ المجد جوهرًا واحدًا اقنوماً واحدًا من اقنومين طبيعة واحدةً من طبيعتين مع بقاء جوهر كل واحد منهما على حالهِ . . . ولم يتغير كل واحد منهما عن خاصتهِ » فبهذا القول اثبت الكاتب ضلال اليعاقبة وان بقي مترددًا في ذكر الاقنومين . ولا يخفى ان لليعاقبة اقوالاً متباينة لا يتَّفقون فيها . فيسلّم احدهم بما ينكرهُ الاخر شان الهراطقة المتحيرين في التعليم المتقلبين مع كل ريحٍ

٣) وهنا ايضاً ما يشعر بقول النساطرة الذين زعموا انَّ اتحاد الله مع طبيعتنا لم يجرِ من اوّل

وان السيد صُلب على عهد بلاطس البنطي وتألم ومات ودُفن كل ذلك بارادته وان الانفعال والصليب والالم لم يلحق اللاهوت بنحوٍ من الانحاء وان لاهوته لم يفارق ناسوتهُ في هذه الاحوال جميعها وانهُ قام حياً من بين الاموات في اليوم الثالث بارادتهِ وصعد الى السماوات وايضاً ياتي في مجدهِ ليدين الاحياء والاموات وانهُ ليس لملكهِ انقضاء وان اقنوم الروح القدسي منبثقٌ من الآب ومنبعثٌ منهُ ومعلول عنهُ معلوليةً قديمةً ازليَّةً لا زمنيَّة وان السجود واجب للسيد ١(بالروح والحق . ونعترف بعمودية واحدة رسوليَّة غافرة الخطايا وبكنيسة واحدة جامعة رسوليَّة ونترجّى قيامة الموتى قيامة جامعة نفسانيَّة وجسمانيَّة معاً يجازى منَّا فيها واحدٌ واحدٌ كنحو اعماله . ثمَّ نترجى حياة الدهر الآتي . فهذا هو ايمان النصارى [قد تكرر في ابوابهِ مجموعاً ومتفرقاً وليس فيهِ خلفٌ بين الفِرق الثلث سوى في جهة الاتحاد خاصة على ما بيناه في اماكنه])٢

(والاصل الثاني من الاصلين الاولين) هو الاعمال والعبادات المطابقة للايمان وان كانت ليس هي من غرض الكتاب بل هي من الاعمال التي يحيا بها الايمان فلذلك ذكرناها هاهنا وهذه الاعمال هي الصوم والصلاة والصدقة والمحبة والصبر الاختياري والقربان الى غير ذلك من الفضائل النفسانيَّة والجسمانيَّة وهذه يشترك فيها بمجموعها العقل والنفس والجسد لانها مرتبطة بعضها ببعض لاسيا الثلاث الاول

فاما الصوم فهو الامساك النفساني والجسماني بغير رياء ولا تظاهرُ بهِ . وهذا الامساك النفساني هو ان يمسك الانسان حواسَّهُ الخمس الباطنة الفكرية والذكرية والتخيليَّة والتمييزيَّة والوهميَّة عمَّا نهت عنهُ الشريعة وحذَّرت منهُ كتب البيعة . واماَّ الجسمانيّ فهو ان يمسك الانسان حواسهُ الخمس الظاهرة وهي حاسة النظر وحاسة

ما حُبل بهِ كما يقول الكاثوليك واليعاقبة بل بعد ولادة المسيح كقول نسطور. والنسخة الثانية تختلف كذلك في هذا المحل وهي على هذه الصورة: « وكان ذلك بوساطة الملاك جبرائيل حين بشرها حلَّ عليها روح القدس وتضاعفت عليها القوة الالهية وان الاله اقنوم الكلمة سكن في احشائها تسعة اشهر واتخذ منها جسداً كاملاً ما خلا الخطيئة وقبل الالام والصلب على عهد بيلاطوس البنطي وتالم ومات وقُبر وكل ذلك بارادتهِ اتلد بالجسد وتألم بالجسد وذاق الموت بالجسد الخ »

١) في النسخة الكرشونية . « واجب للثالوث الاقدس الاله الواحد »

٢) ما جعلناه بين معكفين ناقص في النسخة الكرشونية

السمع وحاسة الذوق وحاسة اللمس وحاسة الشم عمّا نهت عنهُ الصحف الانجيليّة والكتب والقوانين الرسوليّة بالامساك عنهُ مثل ان لا ينظر صورةً جميلة انسانيّة بشهوة نجسة وان لا يسمع نغم النساء والصبيان الغرباء الرَّخمة المكسورة فيشوّقنا ذلك الى الزنا تارةً بعلمنا وتارة بغير شعورنا الى ان نقع فيهِ والعياذ بالله تعالى. وان لا نسمع الغيبة والنميمة والاحاديث السمجة والهجو والمزاح والغناء الشعري الغزلي وما اشبه ذلك فنصغي اليه وننجذب معهُ من السماع الى الفعل ونشتغل بهِ عن اغاني الروح بالمزامير والتسابيح وان نتجنبهُ غاية التجنُّب في حال الصوم والفطور ولا نحضر مجالسهُ ولا نخالط فيهما اربابهُ وان لا نُدخل في افواهنا في اصوامنا مطعوماً ولا مشروباً ولا غيرهما من الزهومات ولا يخرج منها من قلوبنا ما ينجّسنا كالفكر الشرير والقتل والزنا والفسق والسرقة وشهادة الزور والتجديف ولا نحلف باسم الله عزَّ وجل بل يكون كلامنا اللّا لا والنَّعم نعم . ولا تخرج من افواهنا كلمة باطلة بل نملأها تقديساً وان نحذر من الامتلاء كلَّ ليلة نصبح فيها صائمين فمتى اصبحت المعدة ممتلئةً لا يصحّ مع الامتلاء صوم بل يكون صوماً دوائياً لا دينياً. ولا نلمس بايدينا ولا بجميع جوارحنا واعضائنا جسداً ما للخطيئة. والحاسة الخامسة ان لا نشمّ في صومنا نفساً من انفاس النساء والصبيان ولا طيباً ولا فاكهةً ولا نتسعَّط بسعوط ولا نكتحل بكحلٍ ولا ندَّهن بدهن يرشح الى افواهنا ونستطعمهُ بحناجرنا او بألسنتنا . واعلم ان مقاصد الصوم كثيرة واعظمها طهارة النفس والجسد. وثانيها لنتشبَّه فيهِ بالملائكة السمائيين الذين غذاؤهم التسبيح والتقديس. وثالثها كلّما احسّ الصائم بالم الجوع المرّ فيرحم الفقير الجائع ويُذكّرهُ صومهُ بهِ . ورابعها لنعبد الله بهِ من جهة حيوانيّتنا. وخامسها لنتشبه بسيدنا المسيح في صومه حسب طاقتنا وبصوم موسى والياً وامثالها. وفضائل الصوم لا تحصى ولا تستقصى

﴿ وثاني العبادات الصلاة ﴾ وهي مخاطبة البارئ تعالى بمجموع العقل والنفس والجسد وبمجموع الحواس

(والاول من شروطها) الانتصاب على القدمين وان لا نركب الواحدة على الاخرى وانّ لا يستند المصلي الى حائط في صلوات الفرض السبع

(والثاني) شدّ الوسط بالزنار

(والثالث) التوجّه نحو الشرق مع ترك التلفُّت الى الجهات الثلث يميناً وشمالاً وخلفاً

(والرابع) رشم الوجه بالاصبع الواحد الذي يجاور الابهام وهو السبّابة من الشمال الى اليمين على الرأي اليعقوبي(١ ومن وسط الجبهة الى الصدر مستقرّ الفكر ومن الشمال الى اليمين

(والخامس) ان يكون وجهُ المصلي تارةً مطرقاً الى الارض وتارةً مرفوعاً الى السماء وان يبسط المصلّي يديه ويفتح كفّيهِ وعند الطلب والسؤال والتضرُّع يرفعهما ايضاً

(والسادس) ان يبتدئ في الصلاة بما امرنا السيد ان نصلي بهِ وهو « ابونا الذي في السموات » ثمَّ مزامير داود المناسبة لصلاة كل ساعةٍ وبالتسابيح ثم بآجيوس (٢ وبتلاوة الامانة المستقيمة المشتملة على العقيدة ثمَّ بكيرياليصون احدى واربعين دفعة في كل صلاة وفي صلاة نصف الليل مائة واحدة ودفعة واحدة ثم بالطلبات والابتهالات والتضرُّعات والاستشفاعات المقصورة على طلب ملكوت الله وبرّهِ لا على طلب الامور العالميَّة

(السابع) السجود والركوع . والسجود هو ان يجثو الانسان بركبتيه على الارض ويجعلهما قبالة صدرهِ ويخرَّ بوجههِ عليهما كما سجد اليّا النبي على ما تضمَّنهُ كتاب أسفار الملوك ويُستحبُّ اطالتهُ لمن يمكنهُ . وفائدة تخصيص الجبهة بوضع السجود ان العقل في الدماغ وفي هذا دليل على خضوعهِ لله تعالى بالمجد الذي هو فيهِ والقاء الوجه على الارض لانَّ فيهِ اكثر الحواس فيشتغل بذلك عن محسوساتها المذهلة للعقل فيصفو العقل ويعلو عليها . واما الركوع فهو ان ينكّس الانسان راسهُ وينحني الى ان تصل يداه الى اسفل ركبتَيه ويُبدَّل السجود بالركوع في اوقاتٍ ما وفي الايام المأمور فيها برفع تكليف السجود الى الارض كايام الآحاد والاعياد السيدية وبعد تناول القربان

(والثامن) البكاء لمن يستطيعهُ في وقت الابتهالات والضراعات والاستغفارات

١) يشيرون بذلك الى مذهبهم في وحدة الطبيعة بالمسيح
٢) اي صلاة التقديس المثلث الذي اوَّلهُ باليونانيَّة آجيوس

سيما في صلاة نصف الليل فانهُ مندوبٌ اليهِ لمن يمكنهُ وقد جعلهُ المفسرون(١ معمودية ثانيةً بطريق المجاز

﴿ وثالث العبادات الرحمة ﴾ وانواعها كثيرة وهي افضل القُرُبات الى الله تعالى وأحدها الصدقة التي ينتفع بها آخذها ومعطيها وليس باقي العبادات يتعدَّى النفع بها مثلها وهي التي يجود الانسان بها على المحتاجين من الاهل والاقارب والأرام والمعارف وغيرهم والمستورين في بيوتهم الذين لا يرون الطلب والسؤال والتبذُّل وكشف احوالهم بالشكوى و إرفـادهم سرًا وتفقُّد احوالهم في كل وقت ثمَّ على الفقراء والمساكين الظاهرين بين ظهور النـاس الذين يمدُّون ايديَهم ويسألون ويطلبون بألسنتهم سيما اهل الايمان والارامل والايتام ويجب الصدقة على هؤلاء المذكورين سرًا وجهرًا بنيَّة خالصةٍ من الرياء وطويَّةٍ لا يشوبها كبَر ولا افتخارٌ ولا انتهارٌ لطالبيها وان كثُر لجاجهم فما ادراك انهُ لَشديدٌ احتياجهم . والاسارى فينبغي ان يجعل لهم منها نصيباً صالحاً في القيام بهم مدَّة أسرهم اولاً وثانياً في فديتهم . وكذلك المعتقَلون والمرضى والفقراء يجب تعهُّدهم بما يقوم بأوَدهم ومداواتهم وبما يُعطى للاطباء الى ان يعافيَهم الله تعالى . ثم يتعيَّن على الاغنياء والورَّاث تعهُّد الفقراء والمساكين بالبيت المقدس في كل سنة بما يمكّنهم ان يسيروا اليه ويكون ذلك جميعهُ من خيار المال وأحلّهِ واطهرهِ وانقاهُ . والنوع الثاني بذل جاه اربابهِ في خلاص المسجونين والممتحَنين بالشدائد والمصائب والمصاعب والسعي فيهم من غير كبَرٍ او عزَّة نفس تمنعهم من تركُضهم وتبذُّلهم في خلاصهم بجاههم . فكما ان الصدقة سياج على حفظ المال وسبب لنموهِ كذلك نفع العباد تجاه اربابهِ سياج على إبقائهِ لهم واستمراره عليهم وهو ايضاً من اعظم القُرُبات الى الله تعالى . والنوع الثالث من انواع الرحمة تعزية المحزونين وتسلية المكسورين القلب وزيارة المرضى سيَّما الفقراء وتضميد جراحـات قلوبهم بالكلمات اللطيفة اللينة والمواعظ المفيدة وبالتردد اليهم وقضاء حوائجهم

﴿ ورابع العبادات المحبَّة ﴾ وهي تنقسم قسمين احدهما محبة الله تعالى لقولهِ « أحبَّ الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوَّتك » . والقسم الثاني محبة البشر طرًّا محبةً ظاهرة وباطنة للقريب والغريب والمحبّ والمبغض لقولهِ تعالى : «احبَّ

١) ويروى : فسَّرهُ المعلّمون

قريبك مثل نفسك» . ولقولهِ ايضاً : « واذا احببتم من يُحبكم فايُّ اجرٍ لكم »

﴿وخامس العبادات الصبر الاختياري﴾ من اجل وجوه البرّ على ما ينالهُ المومن في قَبول الشهادة واكراههِ على الدين من الشدائد والعقاب باختلاف انواعهِ كالصبر على البلوى والمحن والتجارب والادب والغضب والعطب والفقر بعد الغنى وسلب المال وتغيُّر الاحوال ونحو ذلك . وقد ورد من مقاصد هذه العبادات واغراضها واقسامها وشروطها ورسومها ولوازمها وحدودها وشهودها وقيودها في مقدَّماتٍ وضعناها كلُّ مقدمةٍ منها مشتملةٌ على علوم كتابها

﴿ وسادس العبادات رفعُ القرابين ﴾ في ايام الاحد والاعياد والاصوام وفي اوقات الشدائد وفي حال المرض وعن حفظ الصحة ودوام الامن ونعمة وجود القوت وتيسيرهِ حلالاً هنيّاً وعن حفظ الافكار من جولانها في حمأة الرذائل النجسة وعن صرفها الى الافكار الطاهرة وفي الاقلاع والاستغفار والتوبة وفي كلّ ما يجب من رفع القرابين عن الانسان وعن نفوس الوالدين والاخوة والاهل والاقارب وجماعة بني المعمودية الاحياء والاموات . وأنْ تكون من أحلّ الاموال واطهرها من الشُّبَه وانقاها من مظالم العباد وأنْ يستعدّ رافعوها الاستعداد التام ويتطهَّروا من جميع الادناس العالية النفسيَّة والجسميَّة والعلميَّة والعمليَّة والاعتقادية . وان يمتحن الانسان نفسهُ ويصلحها ويتطهَّر غاية الطهر النفساني والبدني قبل تناولها اذا عزم على ذلك

ولمَّا ذكرنا ان القرابين لا يجب ان تُرفع الَّا من أحلّ المال واطهرهِ وانقاه من الدنس وانظفهِ من النجس واعراه من الشُّبه ومن الامر الملتبس أردنا ان نبيّن ما الذي يعتمدهُ المؤمن في المال اذا غلط واكتسبه من الخيانات والسرقات والمصانعات ومن الظُّلم والغضب والغش ومن الربا ومن قبول الرشا ومن جميع وجوه الحرام هذه التي ذكرناها وغيرها التي حرَّمها شرع العقل وشرع النقل . ولا يخلو من ان يكون اربابها امواتاً او احياء والاحياء منهم لا يخلون من ان يكونوا ارباب سطوةٍ ونقمة وقدرة او من باقي الناس وهولاء لا يخلون من ان يكونوا حاضرين او غائبين . فان كانوا امواتاً فيعيدها آخذوها على من يستحق ميراثهم وان لم يكن لهم مخلفون يستحقونها فليتصدقوا بها عنهم . وان كانوا ممَّن لهُ سلطة وسطوة وجبرُوت ويخشى ان يعيد عليهم ما يتعلَّق بذمَّتهِ منهم لئلَّا يكون ذلك سبباً لهلاكهِ وتلافهِ فان كانوا من هذا القبيل

فليتصدّق بذلك عنهم من غير شعور احدهم ويحاقق الانسان نفسهُ الى ان يخلّص ذمّتهُ من هذا الوجه. وان كانوا ممن لا يخشون اربابها اذا اعادوا ما لهم عليهم فان كانوا حاضرين فيردُّوا ما اخذوا منهم اليهم ويتحلّلوا منهم وان كانوا غائبين فيرسلوا مالهم اليهم. فان كان قد انقطعت اخبارهم وتوالت السنون على انقطاعها ولم يُعرَف مستقرُّهم ولا هم احياء او اموات فيتصدّقوا بما لهم عنهم. وليُقتدَ في ردّ المال على اربابهِ بزكّا القصير القامة وبما قالهُ افلاطن الحكيم: «شرُّ المال ما لزمَك اثمُ تحصيلهِ وحُرمتَ أجرَ إنفاقهِ». ومن لم يكن لهُ ما يردّ منهُ على اربابهِ ما اغتصبهُ منهم او سرقهُ او حصله من جميع الوجوه المحرَّمة فليردّ ما يمكنهُ ردُّه ويقسّط لهم ما يمكنهُ تقسيطهُ ويتحلّل منهم من الباقي وليرفع لهم من مالهِ على ما وقع فيهِ من الغلط قرابين وصدقات واستغفارات بالاصوام والصلوات ومعاهدة الله انهُ لا يرجع الى معاودة هذا الفعل ويفعل في كلّ ما شرحناه بحسب قدرته من نسبة حالهِ وصحّة جسمهِ ونور عقلهِ وقانون شرعهِ ولا يجعل هذه الشروط التي ذكرناها سبباً وعذراً لهُ في عجزهِ عنها بل يفعل فيها بحسب الاستطاعة والسلامة لهُ

كيفيّة ادراك حقيقة الديانة

للحكيم حنين بن اسحاق النسطوري المتطبّب رحمه الله

هذه المقالة ممّا صانها من الضياع ابن العسّال فأدرجها في كتابهِ المعروف باصول الدين وجعلها الباب الثاني عشر من جزئهِ الاوّل. وكنّا نشرناها اوّلاً في المجموعة التي خصّها المستشرقون ليوبيل العلّامة الشهير نولدكه وشفعناها بترجمة افرنسية وصدّرناها بمقدّمة وجيزة. وحنين بن اسحاق من مشاهير المتطبيين في ايّام المتوكل وتوفي سنة ٨٧٣ م اشتهر خصوصاً بمصنّفاتهِ الطبيّة ولهُ غير ذلك من التآليف من جملتها هذه المقالة التي نوردها هنا نقلاً عن نسختي مكتبتنا الشرقية

(قال) من اين يعلم الانسان انّ ما يعتقدهُ هو الحقّ وانّ ما يعتقدهُ غيرهُ هو الباطل. فانهُ ان قال انّ ذاك انّما اتاهُ عن آبائهِ او قال انّ ذلك اتاهُ من كتاب او من نبيٍ اتى بآيات او من رأيه اذ رأى ذلك فصحّ لهُ بذلك دينهُ عندهُ فجميع

اصحاب الاديان المخالفين لهم ان يقولوا بمثل ما قال . فاذا كان هذا الجواب مشتركاً بين اصحاب جميع الاديان فيجب ضرورةً على مَن قبل دينَهُ بهذه الحجّة ان لا يَرِدَ عليهِ دينٌ من الاديان إلّا قبلهُ لهذه الحجّة بعينها . فان لم يقبل حجة المخالفين لهُ فلا تُقبل تلك الحجّة من اهل مقالتهِ

فنقول لمن قال هذا القول انَّ الحقَّ والباطل من جميع الاقاويل انّما يُعلم من الاسباب التي عنها قبولها منذ اوّل امرها . والاسباب التي منها يُقبَل الكذب غير الاسباب التي يُقبل منها الحق . فاسباب قبول الكذب ستّة : اولها ان يضطرَّ القابل ان يقبل ما يُحمَل عليهِ من غير ارادةٍ منهُ . والثاني ان يفرَّ الانسان من الضيق والشدَّة بارادتهِ اذا لم يقدر على احتمالها فينتقل منهما الى ما يرجو منهُ السهولة والسعة . والثالث ان يؤثر العزَّ على الذلّ والشرف على الضعة والقوَّة على الضعف فيدَع دينهُ وينتقل لغيرهِ . والرابع ان يكون صاحب القول رجلًا خبيثاً محتالًا في الكلام فيموّه ويطغي من يدعوهُ . والخامس ان يستعين بجهل من يدعوهم وقلّة آدابهم . والسادس ان يكون بين المدعوّين غيرهُ نسبٍ طبيعيَ فلا يحبّ قطع ذلك السبب فيما بينهُ وبين مُوافقهِ في الدين

وامّا الاسباب التي بها يُقبل الحق فهي اربعة : الاوَّل ان يرى القابل آيات تعجز عنها طاقة الانسان . والثاني ان يكون ظاهر ما يدعو اليهِ الداعي دليلًا شاهدًا على حقيقة ما هو خفيّ عنهُ . والثالث البرهان المضطرّ الى قبوله . والرابع ان يكون آخر الامر موافقاً لأولهِ وان يكون الاصل هو الصحيح فيما يحدث بعد صحة ما قد سلف ممّا لا يشك فيه فيما يحدث تصحيح ما قد سلف . فقد يقنع هذا ان ينظر من اين لنا ان نعلم انَّ سائر الاديان انّما قُبلت من هذه الخصال الستّ والديانة بالحق من الاربع

وقد يطول عليَّ ان اذكر كل واحد من الاديان ما كان منها قديماً فبطل مع بطلان ما كان بهِ قوامهُ وما يُحدَث منها من بعد ممّا قوامها انّما هو بقوام ما بطل من تلك . فبقدر ما نعلم انهُ بطل منها ذلك الشيء بطلت كما بطلت الملل التي كانت قبلها

والواجب على كل من اراد ان يفهم من ايّ الاسباب في ابتداء الامر قُبل

دينهُ ان كانت من الاسباب التي منها يُقبل الباطل او من الاسباب التي منها يُقبل الحق ان ينظر الان مَن يقبل ذلك الدين ومِن اي الاسباب يقبلهُ ان كان من اسباب الحق او اسباب الباطل حتى يفهم قَبول ما يَردُ عليهِ في وقتهِ بهذا ما كان قبوله من قبلهِ في اوَّل الامر وان يحسّ انَّ الحق هو الذي يُقبَل من تلقاء نفسهِ وانَّ الباطل يحتاج الى اسباب يثبت بها عند قابلهِ . فانَّ مَن نظر في هذا حين ينظر فيهِ يحسُّ ايّ العبادات هي العبادة الصحيحة وايّ العبادات هي العبادة الباطلة

فامّا انا فادَع ذكر سائر العبادات وابيّن في عبادتي انها انَّما قُبلت عن الاسباب التي منها يُقبَل الحق امّا من جميعها وامَّا من بعضها . فاقول انهُ ليس يمكن ان يُفهم ان يقبل الناس عبادةً ما من غير سبب من الاسباب التي يُقبَل بها كل دين وليس يمكن ان يُتوهَّم خلا الخلال العشر التي عدَّدنا ستًّا منها يقبل الباطل واربعاً منها الحق . فان صحّ انَّهُ لم يكن سبب قبول عبادة الله واحدًا من اسباب قبول الباطل وجب ضرورةً ان يكون سبب قبولها الاربعة الاسباب التي بها يُقبل الحقّ إمّا كلّها وامّا بعضها . فان لم يوجد انهُ كان سببُ قبول عبادة الله التي نحن عليها سبب قبول الباطل لكن وجد ان اسبابها كان اضدادها على أبعد ما يكون من المضادَّة كان صحّة الامر اثبت واوجب . فكذا نجد الامر قد كان

النظر في كل واحد من الاسباب

الاول فانَّها لم تُقبَل بعزّ ملك ولا بقهر سلطان لكن ناصبها جميع ملوك الارض وسلاطينها ومنعوا منها جميع النـاس بسائر الانواع من العذاب والقتل المستشنع وأجلَوهم عن الارض فغلبت جميع اولئك وثبتت . واما الثاني فانَّها لم تدعُ الى الخروج من الامر الضيّق الصعب الى الامر الواسع السهل ولكنها دعت من جميع الامور التي هي اسهل واوسع الى الامر الذي هو اضيق واصعب واقرب الى الكراهة فقُبلت احسن قبول . واما الثالث فانَّها لم تدعُ من الضَّعة الى الرفعة ومن الذلّ الى العزّ لكنها دعت من العزّ الى الذلّ فقُبلت حتى كان مَن يقبلهـا يحبّ ان يموت على ان يحيا بسببها . واما الرابع فانها لم تؤخذ من قوم معهم خبث وحذق بالكلام لكنها أُتخذت عن جهَّال واصحاب عيّ وصيَّادي سمك هم ابكم واشدُّ عيًّا من السمك مثلًا . وامَّا الخامس فانَّهم لم يكونوا (لم يكن) قابلوها لا جهَّالًا ولا اعياء ولا عوامّ ولا

همجاً لكنهم كانوا اصحاب المنطق والفلفسة اكثر من العالم كله واصحاب تميز وبحث ومن فاق في الحكمة سائر الناس . واما السادس فانهُ لم يكن مَن قبلها يتصل باحباء واصدقاء بقبوله لكنهُ كان يفارقها اذا قبلها جميع مَن بينهم وبينه نسب اي نسب كان بالقرابة او بالمودة . فان احببتَ ان تزيد خلّة سابعة فانه ضروري لما كان الحواريون اذاعوه من امر هذا الذي في ظاهره لم يكن شيء اضعف منهُ وليس ينبغي لاحد اصلاً يقول قائلاً انهُ اذا كانت هذه الامور كلها على هذا المثال ثم كان قبول ما نحن عليه سوى ظهور الآيات والمعجزات فلا يمكن الّا من مُناصب تقدّم بخبرته . فان قلت هذا تطالب نفسك عن دينك وعن غيره كما وصفنا من امر ديننا فانك تعلم

(جاء في احدى النسختين لابن العسال : تمت المقالة في كيفية الديانة وقد شرحها يوحنا ابن مينا وجعل شرحها مضافاً لها ضاق الزمان عن ايرادها في هذا الكتاب)

مثله

من قول ابي رايطة التكريتي السرياني اسقف نصيبين (١

مستدلاً به على صحة النصرانية المقبولة من الداعين المبشرين بها بالانجيل المقدس

قال : لا تخلو النصرانية من ان تكون امّا حقاً وامّا باطلاً والذين قبلوها من ان يكونوا امّا عقلاء وامّا جهلاء . والعقلاء لا يقبلون ما لا يصح بالقياس المعقول الّا بالقهر . والقهر قهران إمّا قهر بالسيف واما قهر من الله بالآيات ولم نر العقلاء ممّن قبل دين النصرانية قُهر بالسيف فيقبلون ما لا يصح بالقياس المعقول ولا الجهال قُهروا بالسيف فيمتنعون من الانهماك في لذّات الدنيا . وقد قبلها العقلاء بما لا يصح بالقياس المعقول وقبلها الجهال وهي تصدُّ عن الانهماك في لذات الدنيا وقد قُهر الجميع بالآيات لا بالسيف . والآيات أدلُّ دليل على ان الدين الذي تكون فيه هو الدين الصحيح عند الله عزّ وجلّ . والشريعة المسيحية تطابق هذه المقدّمات . والحمد لله دائماً

١) ورد ذكرهُ في جدول الكتبة الكنسيين لابي البركات في مقدّمة كتابه الموسوم بمصباح الظلمة وهو يسميه « حبيب ويعرف بابي رائطة اسقف تكريت » ولم يزد شيئاً في تعريفه

من قول ابي رايطة التكريتي السرياني اسقف نصيبين (١

مستدلًا بهِ على صحة النصرانية المقبولة من الداعين المبشرين بها بالانجيل المقدس

قال: لا تخلو النصرانيَّة من ان تكون امَّا حقًّا وامَّا باطلًا والذين قبلوها من ان يكونوا امَّا عقلاء وامَّا جهلاء. والعقلاء لا يقبلون ما لا يصحّ بالقياس المعقول الَّا بالقهر. والقهر قهران إمَّا قَهْر بالسيف واما قهر من الله بالآيات ولم نرَ العقلاء ممَّن قبل دين النصرانيَّة قُهر بالسيف فيقبلون ما لا يصحّ بالقياس المعقول ولا الجهال قُهروا بالسيف فيمتنعون من الانهماك في لذّات الدنيا. وقد قبلها العقلاء بما لا يصحّ بالقياس المعقول وقبلها الجهال وهي تصدُّ عن الانهماك في لذات الدنيا وقد قُهر الجميع بالآيات لا بالسيف. والآيات أدلُّ دليل على ان الدين الذي تكون فيهِ هو الدين الصحيح عند الله عزَّ وجلَّ. والشريعة المسيحية تطابق هذه المقدّمات. والحمد لله دائمًا

١) ورد ذكرهُ في جدول الكتبة الكنسيين لابي البركات في مقدَّمة كتابهِ الموسوم بمصباح الظلمة وهو يسميهِ «حبيب ويعرف بابي رائطة اسقف تكريت» ولم يزد شيئًا في تعريفهِ

فِهْرِسْ

الصفحة

المقدَّمة



recherché, qui reflète le genre littéraire de l'époque.

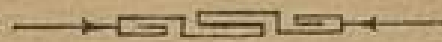
N° XVI (p. 124-129). Second traité sur le même sujet, dû à la plume d'un autre évêque nestorien de Nisibe, Elie Bar Schina († 1049), plus célèbre encore que le précédent et antérieur de près de trois siècles. Le R. P. Malouf a transcrit ce traité d'un ancien manuscrit d'Oxford (Hunter, 240, n° 11). Le style de ce morceau est clair et d'une simplicité élégante.

N° XVII (p. 129-132). Traité fort intéressant du même Elie Bar Schina tiré du Ms. précédent, sur le *Bonheur du Paradis,* qui consiste non dans les voluptés matérielles, comme le prétendent les Musulmans, mais dans les joies spirituelles et la vision béatifique.

Les trois derniers extraits (N^os^ XVIII-XX, p. 132-138) sont empruntés au grand ouvrage théologique d'Ibn 'Assâl, intitulé *Fondements de la Religion,* dont notre Bibliothèque Orientale possède deux manuscrits, l'un arabe écrit en 1392, l'autre carshouni plus récent. C'est d'abord un traité d'un philosophe chrétien du XI^e^ siècle, 'Isâ Ibn Yahia al-Jorjâni, connu sous le nom d'Abu Sahl ; il a pour titre « Principes fondamentaux de la Religion ». Il est suivi d'un « Commentaire » sur le même traité par Ibn 'Assâl. Enfin un dernier extrait contient un traité de Honein Ibn Ishâq († 873) que nous avons publié, avec une traduction française, dans les *Orientalische Studien Theodor Noeldeke zum siebzigsten Geburtstag* (1906). Le fameux écrivain nestorien y démontre à quels signes on peut connaître la vérité de la religion qu'on professe.

Ce volume, on le voit, forme un tout homogène. Il peut donner une idée assez exacte de la théologie des chrétiens orientaux. Puisse cette publication engager d'autres savants à étudier tout particulièrement la littérature arabe chrétienne et à tirer de l'oubli tant de trésors cachés.

Beyrouth, 29 Juin 1920.



le nouveau traité dont nous venons de parler. Il s'adresse à un Juif pour lui prouver que Dieu peut fort bien changer certaines lois positives, sans déroger à son immutabilité.

N° XII (70-75). Traité sur « l'Unité de Nature et la Trinité de Personnes en Dieu » par Yahia Ibn 'Adî, philosophe chrétien de grand mérite, mort en 974. Il appartenait à la confession Jacobite. Quelques-uns de ses ouvrages lui ont survécu et attestent son vaste savoir. Le petit traité que nous lui empruntons est remarquable de lucidité et de précision : nous l'avons tiré d'un recueil théologique conservé à la Bibliothèque Nationale de Paris (Fonds arabe, n° 169, p. 21-23).

N° XIII (p. 75-104). C'est une exposition magistrale de la religion chrétienne contre le Judaïsme et les sectes hétérodoxes : nestorienne, jacobite et monothélite. Elle a été publiée tout d'abord dans notre Revue par l'Abbé Constantin Bacha, religieux salvatorien, d'après un Ms. du couvent de S^t Sauveur, qui date de 1735, copié lui-même sur un Ms. du couvent de S^t Saba de Jérusalem daté de l'an 6550 d'Adam (1051 de J.-C.). Il a pour auteur le fameux Théodore Abucara évêque de Harrân, qui vivait au IX^e siècle. Cette exposition est un véritable traité *De Vera Religione* ; l'autorité de l'Église et de son chef suprême y est défendue avec une logique admirable. L'Abbé Bacha l'a depuis traduite et publiée en français, (Paris, 1905, in-8), comme il a aussi publié tout le manuscrit d'où il l'avait tirée. Nous avons depuis trouvé de lui d'autres traités, dont un publié dans notre Revue en 1912.

Le N° XIV (p. 104-120) est encore du même auteur ; il traite de l'Incarnation. Le R. P. Louis Malouf l'a transcrit sur un manuscrit du British Museum daté de l'an 1188 d'Alexandre (877 de J.-C.). Ce serait le plus ancien manuscrit chrétien connu jusqu'ici ; Arendzen en a déjà tiré un traité sur les Saintes Images, publié à Bonn en 1897.

N° XV (p. 120-124). Traité *de Deo Uno et Trino* par l'évêque Nestorien de Nisibe, Ebed-Jesu († 1317), auteur célèbre par ses ouvrages syriaques dont quelques-uns ont déjà été publiés. Ses compositions arabes sont beaucoup moins connues. Nous avons trouvé ce traité dans le Ms. 204 (fol. 44-48) du fonds arabe de la Bibliothèque Nationale. Le traité de Ebed-Jesu est écrit dans un style

puis recueilli en un petit volume, quelques-uns de leurs traités sur les dogmes du christianisme. Ce n'était qu'un essai, mais ces spécimens ont suffi pour faire apprécier la valeur de ces écrivains si peu étudiés jusqu'ici. On les a même presque tous traduits en Allemagne. Aussi cette première édition a-t-elle été vite épuisée. Nous en donnons une seconde en y ajoutant quelques nouveaux documents.

Ces traités sont maintenant au nombre de vingt; ils ont été composés par des auteurs qui s'échelonnent entre le IX[e] et le XIII[e] siècle et se répartissent entre les trois grandes confessions qui se divisaient alors l'Orient : les Melchites, les Nestoriens et les Jacobites. L'arabe était devenu leur langue nationale, et l'on verra avec quelle aisance, avec quelle pureté ils savaient le manier pour exposer et défendre la religion chrétienne. A part un passage ou deux que nous avons soulignés, on ne soupçonnerait pas que ces traités sont dus à la plume de personnes entachées d'erreurs nestoriennes ou eutychiennes. Quant aux Melchites, leur langage est d'une irréprochable orthodoxie.

Voici maintenant le détail de ces traités avec quelques indications à leur sujet.

N[os] I-X (p. 1-68). Ces dix premiers traités sont l'œuvre d'un écrivain distingué doublé d'un théologien émérite, Paul Rahib d'Antioche, évêque melchite de Sidon, auteur de la fin du XIII[e] siècle. Il y traite des principaux mystères de la religion chrétienne, avec une sûreté de doctrine remarquable. Les dogmes de l'unité de nature en Dieu, de la Trinité, de l'Incarnation, de la prescience divine, la réfutation des hérésies, sont les principaux sujets que traite l'auteur. Nous avons révisé ces pièces sur cinq manuscrits, dont deux, du XV[e] et du XVI[e] siècle, appartiennent à la Bibliothèque Orientale de l'Université S[t] Joseph. Nous donnons aussi d'après de nouveaux manuscrits le traité publié avec une traduction française par le R. P. Buffat S. J., dans la Revue de l'Orient Chrétien (T. VIII, 1903, p. 388-425).

Le X[e] traité, sur l'abolition de l'Ancienne Loi, est nouveau aussi ; nous l'avons trouvé dans un Ms. récemment acquis.

N° XI (p. 68-70). Ce petit traité, d'un auteur musulman Muʿtazilite,et tiré du manuscrit précédent, confirme admirablement

AVANT-PROPOS



Parmi les innombrables publications de textes arabes dont les Orientalistes ont enrichi depuis un demi-siècle l'Histoire, la Géographie, les Lettres et les Sciences orientales, le Christianisme est peu ou point représenté. On serait donc tenté de croire que le domaine intellectuel a été l'apanage presque exclusif du monde musulman, et que les chrétiens d'Orient sont restés en dehors du mouvement littéraire et scientifique. Ce jugement ne serait pas exact : le christianisme, dans les pays de langue arabe, autrefois comme de nos jours, a occupé une place distinguée dans la sphère de l'intelligence. De tout temps, malgré les conditions désavantageuses où ils se sont longtemps trouvés, une pléiade d'auteurs chrétiens ont marché de pair avec les écrivains qui professaient l'Islam. Comme eux, ils ont cultivé toutes les branches du savoir humain et c'est par milliers que se chiffrent leurs œuvres mentionnées par l'histoire. Malheureusement, le plus grand nombre de ces ouvrages ont été perdus ou demeurent enfouis dans les collections privées. Cependant les grandes bibliothèques d'Europe, Rome surtout, Londres et Paris, en possèdent une quantité assez considérable; mais les renseignements qu'on trouve à ce sujet dans leurs catalogues sont d'ordinaire fort maigres ; souvent le nom seul du manuscrit est consigné, sans autre indication.

C'est en partie pour combler ce déficit qu'a été fondée, il y a plus de vingt ans, notre Revue Catholique Orientale « Al-Machriq ». Dès lors, elle a consacré aux anciens monuments de l'Orient chrétien plusieurs centaines de ses pages. Tous les jours, d'heureuses découvertes viennent grossir le nombre de ces restes, témoins d'un glorieux passé, et prouver à ceux qui s'occupent de *Patrologie Orientale* ou de *Collections d'auteurs chrétiens,* que l'arabe leur fournira une ample moisson de textes inédits, sans parler d'un nombre aussi considérable d'ouvrages scientifiques qui s'adressent à un autre public.

Pour donner aux amateurs de littérature chrétienne une idée de ces anciens auteurs, nous avions publié dans notre Revue,


EX BIBLIOTHECA DR IS. GOUSSEN

VINGT
TRAITÉS THÉOLOGIQUES

D'AUTEURS ARABES CHRÉTIENS

(IXe-XIIIe siècles)

Publiés par le

P. LOUIS CHEIKHO, S. J.

avec le concours

des P. P.

LOUIS MALOUF, S. J.

ET

CONSTANTIN BACHA Religieux de Saint-Sauveur.

DEUXIÈME ÉDITION AUGMENTÉE.

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

BEYROUTH

1920

VINGT

TRAITÉS THÉOLOGIQUES

D'AUTEURS ARABES CHRÉTIENS

(IX[e]-XIII[e] siècles)

Publiés par le

P. LOUIS CHEIKHO, S. J.

avec le concours

des P. P.

LOUIS MALOUF, S. J.

ET

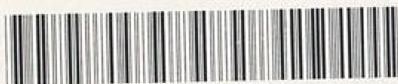
CONSTANTIN BACHA Religieux de Saint-Sauveur.

DEUXIÈME ÉDITION AUGMENTÉE.

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

BEYROUTH

1920


Goussen2362
G+O+U+S+S+E+N2362

Maqālāt dīnīya qadīma li ba'ḍ mašāhīr al-kataba an-naṣāra min al-qarn at-tāsi' ilā l-qarn aṯ-ṯāliṯ 'ašar

Cheikho, Louis

Bairūt = Beyrouth, 1920

urn:nbn:de:hbz:5:1-200276